الفصل الثالث

استخلاف الصديق للفاروق

وقواعد نظام حكمه، وحياته في المجتمع

المبحث الأول

استخلاف الصديق للفاروق وقواعد نظام حكمه

أولاً - استخلاف الصديق للفاروق:

لما اشتد المرض بأبي بكر جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميتاً لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم مَن أحببتم؛ فإنكم إن أمرتم في حياتي كان أجدر ألا تختلفوا بعدي[1]. وتشاور الصحابة ﷺ، وكل يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية؛ لذا رجعوا إليه، فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده.

فدعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال له: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب: فقال: أنت أخبر به، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عَدَوْتُك، ثم دعا أسيد بن حضير فقال له مثل ذلك، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.

وكذلك استشار سعيد بن زيد وعدداً من الأنصار والمهاجرين، وكلهم تقريباً كانوا برأي

---

(1) البداية والنهاية (7/ 18)، تاريخ الطبري (4/ 238).

واحد في عمر إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته، فقال لأبي بكر: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني أبالله تخوفونني؟ خاب من تزود مَن أمركم بظلم، أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك[1]. وبين لهم سبب غلظة عمر وشدته فقال: ذلك لأنه يراني رقيقاً ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما عليه[2]، ثم كتب عهداً مكتوباً يقرأ على الناس في المدينة وفي الأمصار عن طريق أمراء الأجناد، فكان نص العهد: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له، وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرىء ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

إن عمر هو نصح أبي بكر الأخير للأمة، فقد أبصر الدنيا مقبلة تتهادى وفي قومه فاقة قديمة يعرفها، فإذا ما أطلوا لها استشرفوا شهواتها، فنكلت بهم واستبدت، وذاك ما حذرهم رسول الله ﷺ إياه[3]، قال رسول الله ﷺ: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**»[4]، لقد أبصر أبو بكر الداء فأتى لهم رضي الله عنه بدواء ناجع... جبل شاهق، إذا ما رأته الدنيا أيست وولت عنهم مدبرة، إنه الرجل الذي قال فيه النبي ﷺ: «**إيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**»[5]. إن الأحداث الجسام التي مرت بالأمة، قد بدأت بقتل عمر، هذه القواصم خير شاهد على فراسة أبي بكر وصدق رؤيته في العهد لعمر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة صاحبة موسى التي قالت: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]، وصاحب يوسف حيث قال: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف: 21]، وأبو بكر حين استخلف عمر[6]. فقد كان عمر هو سد الأمة المنيع الذي حال بينها وبين أمواج الفتن[7].

(1) الكامل لابن الأثير (2/ 79)، التاريخ الإسلامي محمود شاكر ص101.
(2) الكامل لابن الأثير (2/ 79).
(3) تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء ص66 - 117، أبو بكر رجل دولة ص99.
(4) البخاري، كتاب الجزية والموادعة رقم 3158.
(5) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ قم 3683.
(6) مجمع الزوائد (10/ 268) صحيح الإسناد.
(7) أبو بكر رجل الدولة ص100.

هذا، وقد أخبر عمر بن الخطاب بخطواته القادمة، فقد دخل عليه عمر فعرفه أبو بكر بما عزم، فأبى أن قبل، فتهدده أبو بكر بالسيف، فما كان أمام عمر إلا أن يقبل[1]، وأراد الصدِّيق أن يبلغ الناس بلسانه واعياً مدركاً؛ حتى لا يحصل أي لَبْس، فأشرف أبو بكر على الناس وقال لهم: أترضون بمن أستخلف عليكم، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا. فقالوا: سمعنا وأطعنا[2]. وتوجه الصدِّيق رضي الله عنه بالدعاء إلى الله يناجيه ويبثه كوامن نفسه، وهو يقول: اللهم وليته بغير أمر نبيك، ولم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، واجتهدت لهم رأيي، فولَّيت عليهم خيرهم، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم فهم عبادك[3].

وكلف أبو بكر عثمان رضي الله عنه: بأن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موت أبي بكر، بعد أن ختمه لمزيد من التوثيق والحرص على إمضاء الأمر، دون أي آثار سلبية، وقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. فأقروا بذلك جميعاً ورضوا به[4]، فبعد أن قرأ العهد على الناس ورضوا به أقبلوا عليه وبايعوه[5]، واختلى الصدِّيق بالفاروق وأوصاه بمجموعة من التوصيات لإخلاء ذمته من أي شيء؛ حتى يمضي إلى ربه خالياً من أي تبعة بعد أن بذل قصارى جهده واجتهاده[6]، وقد جاء في الوصية: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدى فريضته، وإنما ثقلت موازين مَن ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم في دار الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفّت موازين مَن خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخوفه عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً وأن الله - تعالى - ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف ألا ألحق بهم، وإن الله - تعالى - ذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لأرجو ألا أكون مع هؤلاء؛ ليكون العبد راغباً راهباً، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله، فإن أنت

(1) مآثر الإنافة (1/ 49).
(2) تاريخ الطبري (4/ 248).
(3) طبقات ابن سعد (3/ 199)، تاريخ المدينة لابن شبهة (2/ 665 - 669).
(4) طبقات ابن سعد (3/ 200).
(5) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع ص272.
(6) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع ص272.

حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتي فلا غائب أبغض إليك من الموت ولست تُعجزه[1].

وباشر عمر بن الخطاب ﷺ أعماله بصفته خليفة للمسلمين فور وفاة أبي بكر ﷺ [2].

ويلحظ الباحث أن ترشيح أبي بكر الصدِّيق ﷺ لعمر بن الخطاب، لم يأخذ قوته الشرعية، ما لم يستند لرضا الغالبية بعمر وهذا ما تحقق حين طلب أبو بكر من الناس أن يبحثوا لأنفسهم عن خليفة من بعده، فوضعوا الأمر بين يديه، وقالوا له: رأينا إنما هو رأيك[3]، ولم يقرّر أبو بكر الترشيح إلا بعد أن استشار أعيان الصحابة فسأل كل واحد على انفراد، ولما ترجح لديه اتفاقهم أعلن ترشيحه لعمر، فكان ترشيح أبي بكر صادراً عن استقراء لآراء الأمة من خلال أعيانها، على أن هذا الترشيح لا يأخذ قوته الشرعية إلا بقبول الأمة به؛ ذلك أن اختيار الحاكم حق للأمة، والخليفة يتصرف بالوكالة عن الأمة. ولا بد من رضا الأصيل؛ ولهذا توجه أبو بكر إلى الأمة: أترضون بمن أستخلف عليكم؟ فإني والله ما ألوت من جهدي الرأي ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب. فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا[4]، وفي قول أبي بكر: أترضون بمن أستخلف عليكم، إشعار بأن الأمر للأمة وأنها هي صاحبة العلاقة والاختصاص[5].

إن عمر ﷺ ولي الخلافة باتفاق أهل الحل والعقد وإرادتهم؛ فهم الذين فوضوا لأبي بكر انتخاب الخليفة، وجعلوه نائباً عنهم في ذلك، فشاور ثم عين الخليفة، ثم عرض هذا التعيين على الناس فأقروه، وأمضوه ووافقوا عليه، وأصحاب الحل والعقد في الأمة هم النواب (الطبيعيون) عن هذه الأمة، وإذن فلم يكن استخلاف عمر ﷺ إلا على أصح الأساليب الشورية وأعدلها[6].

إن الخطوات التي سار عليها أبو بكر الصدِّيق في اختيار خليفته من بعده لا تتجاوز الشورى بأي حال من الأحوال، وإن كانت الإجراءات المتبعة فيها غير الإجراءات المتبعة في تولية أبي بكر نفسه[7]، وهكذا تم عقد الخلافة لعمر ﷺ بالشورى والاتفاق، ولم يورد

(1) صفة الصفوة (2/ 264، 265).
(2) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص272.
(3) القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام ص172.
(4) تاريخ الطبري (4/ 248).
(5) القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام ص172.
(6) أبو بكر الصديق، علي طنطاوي ص237.
(7) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص272.

التاريخ أي خلاف وقع حول خلافته بعد ذلك، ولا أن أحداً نهض طول عهده لينازعه الأمر، بل كان هناك إجماع على خلافته وعلى طاعته في أثناء حكمه، فكان الجميع وحدة واحدة[1].

ثانياً - انعقاد الإجماع على خلافته :

وقد نقل إجماع الصحابة ﷺ ومَن بعدهم على خلافة عمر طائفة من أهل العلم الذين يعتمد عليهم في النقل منهم:

1 - روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى عبد الله بن عباس ﷺ قال: دخلت على عمر حين طعن، فقلت: أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين: أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقبض رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، ولم يختلف في خلافتك اثنان، وقتلت شهيداً، فقال: أعد علي، فأعدت عليه، فقال: والله الذي لا إله غيره، لو أن لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع[2].

2 - وقال أبو نعيم الأصبهاني مبيناً الإجماع على خلافة الفاروق ﷺ: لما علم الصديق ﷺ من فضل عمر ﷺ ونصيحته وقوته على ما يقلده، وما كان يعينه عليه من أيامه من المعونة التامة - لم يكن يسعه في ذات الله ونصيحته لعباد الله - تعالى - أن يعدل هذا الأمر عنه إلى غيره، ولما كان يعلم من أمر شأن الصحابة ﷺ أنهم يعرفون منه ما عرفه ولا يشكل عليهم شيء من أمره، فوض إليهم ذلك فرضي المسلمون ذلك وسلموه، ولو خالطهم في أمره ارتياب أو شبهة لأنكروه، ولم يتبعوه كاتباعهم أبا بكر ﷺ فيما فرض الله عليه الاجتماع، وأن إمامته وخلافته ثبتت على الوجه الذي ثبت للصدِّيق، وإنما كان الدليل لهم على الأفضل والأكمل فتبعوه على ذلك مستسلمين له راضين به[3].

3 - وقال أبو عثمان الصابوني بعد ذكره خلافة الصدِّيق باختيار الصحابة وإجماعهم عليه، قال: ثم خلافة عمر بن الخطاب ﷺ باستخلاف أبي بكر ﷺ إياه واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله - سبحانه - بمكانه في إعلاء الإسلام، وإعظام شأنه، وَعْدَهُ[4].

4 - وقال النووي في معرض ذكره لإجماع الصحابة على تنفيذ عهد الصدِّيق بالخلافة لعمر، قال: أجمعوا على اختيار أبي بكر وعلى تنفيذ عهده إلى عمر[5].

---

(1) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص272.
(2) الاعتقاد للبيهقي ص188.
(3) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص274.
(4) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (1/ 129).
(5) شرح النووي على صحيح مسلم (12/ 206).

5 - وقال ابن تيمية: وأما عمر فإن أبا بكر عهد إليه وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكر؛ فصار إماماً لما حصلت له القدرة والسلطان بمبايعتهم[1].

6 - وقال شارح الطحاوية: وتثبتت الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه[2].

ومن هذه النقول التي تقدم ذكرها تبين أن خلافة عمر رضي الله عنه تمت بإجماع أصحاب رسول الله ﷺ حيث تلقوا عهد أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة لعمر بالقبول والتسليم، ولم يعارض في ذلك أحد، وكذا أجمعت الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة على ما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ ولم يخالفهم إلا من لا يعتد بخلافه ممن ابتلي ببغض أصحاب رسول الله ﷺ، ومَن جرى في ركابهم ممن فُتن بهم، فإن اعترض معترض على إجماع الصحابة المتقدم ذكره بما رواه ابن سعد وغيره من أن بعض الصحابة سمعوا بدخول عبد الرحمن بن عوف وعثمان على أبي بكر فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تخوفونني؟ خاب من تزود مَن أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك، أبلغ عني ما قلت لك من وراءك[3]. والجواب عن هذا الإنكار الصادر - إن صح - من هذا القائل، ليس عن جهالة لتفضيل عمر بعد أبي بكر واستحقاقه للخلافة؛ وإنما كان خوفاً من خشونته وغلظته لا اتهاماً له في قوته وأمانته[4].

ثالثاً - خطبة الفاروق لما تولى الخلافة:

اختلف الرواة في أول خطبة خطبها الفاروق عمر، فقال بعضهم، إنه صعد المنبر فقال: اللهم إني شديد فليِّنِّي، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخِّني[5]. وروي إن أول خطبة كانت قوله: إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم بعد صاحبيّ، فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلو فيه عن أهل الجزء - يعني الكفاية - والأمانة، والله لئن أحسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلنّ بهم، فقال مَن شهد خطبته ورواها عنه: فوالله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا[6]. وروي أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر وهمّ أن يجلس مكان أبي بكر فقال: ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر. فنزل مرقاة، فحمد

(1) منهاج السنة (1/ 142).
(2) شرح الطحاوية ص539.
(3) الطبقات لابن سعد (3/ 199).
(4) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص276.
(5) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص170، 171.
(6) الطبقات (3/ 275).

الله وأثنى عليه ثم قال: اقرؤوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم: إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف[1].

ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افترضنا أن عمر ألقى خطبته أمام جمع من الحاضرين فحفظ بعضهم منها جزءاً فرواه، وحفظ آخر جزءاً غيره فذكره، وليس من الغريب أن يمزج الفاروق في أول خطبة له بين البيان السياسي والإداري والعظة الدينية، فذلك نهج هؤلاء الأئمة الأولين الذين لم يروا فارقاً بين تقوى الله والأمر بها وسياسة البشر تبعاً لمنهجه وشريعته، كما أنه ليس غريباً على عمر أن يراعي حق سلفه العظيم أبي بكر؛ فلا يجلس في موضع كان يجلس فيه فيساويه بذلك في أعين الناس، فراجع عمر نفسه ﷺ ونزل درجة عن مكان الصدِّيق ﷺ [2]، وفي رواية أخرى أنه بعد يومين من استخلافه تحدث الناس فيما كانوا يخافون من شدته وبطشه، وأدرك عمر أنه لا بد من تجليه الأمر بنفسه، فصعد المنبر وخطبهم فذكر بعض شأنهم مع النبي ﷺ وخليفته، وكيف أنهما توفيا وهما عنه راضيان، ثم قال: . . . ثم، إني قد وليت أموركم أيها الناس! فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي، ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خدّه على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق. وإني بعد شدتي تلك أضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها: لكم علي ألا أجتبي شيئاً من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم - إن شاء الله تعالى - وأسُدّ ثغوركم، ولكم عليّ ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمّركم[3] في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم[4]. وجاء في رواية: إنما مثل العرب مثل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق[5].

---

(1) كنز العمال رقم 44214 نقلاً عن الدولة الإسلامية د. حمدي شاهين ص120.

(2) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د. حمدي شاهين ص120.

(3) أجمركم: أي لا أُبقيكم على جبهات القتال بعيداً عن أهليكم مدة طويلة.

(4) الإدارة العسكرية في عهد الفاروق ص106.

(5) السياسة الشرعية. د. إسماعيل بدوي ص160 نقلاً عن الطبري.

وفي هذه الروايات لخطبة عمر ﷺ لما ولي الخلافة يتضح منهجه في الحكم الذي لم يحد عنه، وأبرز ملامحه:

1 - أنه ينظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء ابتلي به سيحاسب على أداء حقه؛ فالحكم عند الراشدين تكليف وواجب وابتلاء، وليس جاهاً وشرفاً واستعلاء.

2 - وهذا الاستخلاف يتطلب منه أن يباشر حمل أعباء الدولة فيما حضره من أمرها، وأن يولي على الرعية التي غابت عنه أفضل الأمراء وأكفأهم، غير أن ذلك - فيما يرى عمر - ليس كافياً لإبراء ذمته أمام الله تعالى؛ بل يرى أن مراقبة هؤلاء العمال والولاة فرض لا فكاك منه، فمن أحسن منهم زاده إحساناً، ومن أساء عاقبه ونكّل به[1]، وسيأتي بيان ذلك - بإذن الله - عند حديثنا عن مؤسسة الولاة، وفقه الفاروق في تطويرها.

3 - إن شدة عمر التي هابها الناس سيخلصها لهم ليناً ورحمة، وسينصب لهم ميزان العدل، فمن ظلم وتعدى فلن يجد إلا التنكيل والهوان «ولست أدع أحداً يظلم أحداً ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض...»، أما من آثر القصد والدين والعفاف فسيجد من الرحمة ما لا مزيد عليه: «أضع خدي لأهل العفاف»[2]، وسيتّضح عدل عمر ﷺ في رعيته من خلال المواقف واهتمامه بمؤسسة القضاء وتطويرها بحيث سيطر العدل على كل ولايات الدولة.

4 - وتكفل الخليفة بالدفاع عن الأمة ودينها وأن يسد الثغور ويدفع الخطر، غير أن ذلك لن يتم بظلم المقاتلين، فلن يحبسهم في الثغور إلى حد لا يطيقونه، وإن غابوا في الجيوش فسيرعى الخليفة وجهازه الإداري أبناءهم وأسرهم[3]، ولقد قام الفاروق بتطوير المؤسسة العسكرية وأصبحت قوة ضاربة لا مثيل لها على مستوى العالم في عصره.

5 - وتعهد الخليفة بأداء الحقوق المالية للرعية كاملة... من خراج وفيء، لا يحتجن[4] منه شيئاً ولا يضعه في غير محله، بل سيزيد عطاياهم وأرزاقهم باستمرار الجهاد والغزو، والحض على العمل وضبط الأداء المالي للدولة[5]، وقد قام بتطوير المؤسسة المالية، وضبط مصادر بيت المال وأوجه الإنفاق في الدولة.

6 - وفي مقابل ذلك يطالب الرعية بأداء واجبها من النصح لخليفتها والسمع والطاعة له والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ مما يشيع الرقابة الإسلامية في المجتمع.

---

(1) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص121.
(2) المصدر نفسه ص121، محض الصواب (1/ 385).
(3) المصدر نفسه (121).
(4) احتجن المال: جمعه، واختص نفسه به.
(5) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص122.

7 - ونبه إلى أنه لا يعين على ذلك إلا بتقوى الله ومحاسبة النفس واستشعار المسؤولية في الآخرة[1].

8 - علق الشيخ عبد الوهاب النجار على قول عمر ﷺ : «إنما مثل العرب كمثل جمل آنف» بقوله: الجمل الآنف: هو الجمل الذلول المواتي الذي يأنف من الزجر والضرب ويعطي ما عنده من السير عفواً سهلاً، وهذا تشخيص حسن للأمة الإسلامية لعهده؛ فإنها كانت سامعة مطواعة إذا أمرت ائتمرت، وإذا نهيت انتهت. ويتبع ذلك المسؤولية الكبرى على قائدها؛ فإنه يجب عليه أن يرتاد لها ويصدر في شأنه بعقل، ويورد بتمييز حتى لا يورطها في خطر، ولا يقحمها في مهلكة، ولا يهمل شأنها إهمالاً يكون من ورائه البطر. وقد أراد بالطريق: الطريق الأقوم الذي لا عوج فيه، وقد برَّ بما أقسم به[2].

9 - سنة الله في الفظاظة والغلظة والرفق: مضت سنة الله في أحوال الناس واجتماعهم وفي إقبالهم على الشخص واجتماعهم عليه وقبولهم منه وسماعهم قوله وأنسهم به، أن ينفضوا عن الفظ الغليظ القلب حتى ولو كان ناصحاً مريداً للخير لهم حريصاً على ما ينفعهم[3]، وقد دل على هذا قول الله - تعالى - : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]؛ ولذلك كان دعاء الفاروق لما تولى الخلافة: اللهم إني شديدٌ فليِّني، وقد استجاب الله هذا الدعاء، وامتلأت نفس عمر بالعطف والرحمة واللين وأصبحت من صفاته بعد توليته الخلافة، فقد عرف الناس عمر في عهدي الرسول ﷺ وأبي بكر شديداً حازماً، وصوره لنا التاريخ على أنه الشخص الوحيد الذي مثل - منذ دخل الإسلام حتى تولى الخلافة - دور الشدة والقوة بجانب الرسول ﷺ وبجانب أبي بكر، حتى آلَ إليه الأمر انقلب رخاء ويسراً ورحمة[4].

10 - كانت البيعة العامّة في سيرة الخلفاء الراشدين مقيدة بأهل المدينة دون غيرهم. وربما حضرها وعقدها الأعراب والقبائل التي كانت محيطة بالمدينة أو نازلة فيها، أما بقية الأمصار، فكانت تبعاً لما يتقرر في مدينة الرسول ﷺ، وهذا لا يطعن بالبيعة، ولا يقلل من شرعيتها؛ لأن جمع المسلمين من كل الأقطار والأمصار كان أمراً مستحيلاً، ولا بد للدولة من قائم بها، ولا يمكن أن تعطل مصالح الخلق، أضف إلى ذلك أن الأمصار الأخرى قد أيدت في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ما جرى في المدينة، تأييداً صريحاً أو ضمينياً، ولا شك أن

---

(1) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص122.
(2) الخلفاء الراشدون ص123.
(3) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، زيدان ص282.
(4) الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص107.

الأساليب التي لجأ إليها الناس في صدر الإسلام كانت تجارب تصب في حقل تطوير الدولة ومؤسساتها[1].

11 - المرأة والبيعة: لم أجد أثناء البحث إشارة إلى أن المرأة قد بايعت في زمن أبي بكر وعمر وفي عصر الخلفاء الراشدين، ولم تشر كتب السياسة الشرعية القديمة إلى حق المرأة أو واجبها في البيعة - على حد علمي القاصر - والظاهر أن البيعة قد اقتصرت في معظم عصور التاريخ الإسلامي على الرجال دون النساء، فلا الرجال دعوها إليها، ولا هي طالبت بها، واعتبر تغيب المرأة عن البيعة أمراً طبيعيًّا، إلى درجة أن علماء الحقوق الدستورية الإسلامية لم يشيروا إليها في قليل ولا كثير، غير أن هذا الواقع التاريخي والفقهي لا يغير من حقيقة الحكم الشرعي شيئاً؛ فليس في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية، وهما المصدران الرئيسيان للشريعة، ما يمنع المرأة من أن تشارك الرجل في البيعة[2].

12 - رد سبايا العرب: كان أول قرار اتخذه عمر في دولته رد سبايا أهل الردة إلى عشائرهم، حيث قال: كرهت أن يكون السبي سنة في العرب[3]. وهذه الخطوة الجريئة ساهمت في شعور العرب جميعاً أنهم أمام شريعة الله سواء، وأنه لا فضل لقبيلة على قبيلة إلا بحسن بلائها وما تقدمه من خدمات للإسلام والمسلمين، وتلت تلك الخطوة خطوة أخرى هي السماح لمن ظهرت توبتهم من أهل الردة بالاشتراك في الحروب ضد أعداء الإسلام، وقد أثبتوا شجاعة في الحروب وصبراً عند اللقاء، ووفاءً للدولة لا يعدله وفاء[4].

13 - تجذر منصب الخلافة في قلب الأمة وأصبح رمزاً للوحدة ولقوة المسلمين، ويرى الباحث القدرة الفائقة التي كان يتمتع بها الصحابة الكرام، ومدى الأصالة في أعمالهم بحيث أن ما أقاموه في سويعات قليلة من نفس يوم وفاة الرسول ﷺ احتاج هدمه إلى ربع قرن في المخطط البريطاني، رغم أن البريطانيين أنفسهم كانوا يطلقون على الخلافة في تلك الفترة الرجل العجوز، فأي شموخ هذا لتلك الخلافة، وأي رسوخ لها حيث تحتاج لهدمها - وبعد أن أصبحت شكلاً لا موضوعاً - ربع قرن كامل، وبعد حياة استمرت قروناً من الزمن[5].

14 - الفرق بين الملك والخليفة: قال عمر رضي الله عنه: والله، ما أدري أخليفة أم ملك، فإن

(1) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ص260.
(2) المصدر نفسه (1/ 277).
(3) الخلافة والخلفاء الراشدون ص160.
(4) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين د. محمد السيد الوكيل ص89.
(5) الحضارة الإسلامية د. محمد عادل ص30.

كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، فقال له قائل: إن بينهما فرقاً، إن الخليفة لا يأخذ إلا حقًّا، ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس، فيأخذ من هذا أو يعطي هذا، فسكت عمر[1]، وفي رواية: أن عمر سأل سلمان الفارسي: أملك أنا أم خليفة؟ فقال سلمان: إن أنت جبيت من الأرض درهماً أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير موضعه فأنت ملك غير خليفة؛ فاستعبر عمر[2].

رابعاً - الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: 38]. لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة؛ فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعاً؛ فكذلك الشورى واجبة شرعاً[3]، وقد اعتمد عمر رضي الله عنه مبدأ الشورى في دولته، فكان رضي الله عنه لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ولا يستبد عليهم في شأن من الشؤون العامة، فإذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ويناقش الرأي معه فيه ويستشيرهم.

ومن مأثور قوله: لا خير في أمر أبرم من غير شورى[4]، وقوله: الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض[5]، وقوله: شاور في أمرك مَن يخاف الله عز وجل[6]، وقوله: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر، لا يأتمر رشداً ولا يقطع مرشداً[7]، وقوله: يحق على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر، ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه

(1) الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب من رواية البلاذري ص257.
(2) المصدر نفسه ص256.
(3) النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس ص9.
(4) الخلفاء الراشدون للنجار ص246.
(5) سراج الملوك للطرطوشي ص132. «المرار»: المِرَّة: إحكام الفتل.
(6) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية، سليمان آل كمال (1/ 273).
(7) المصدر نفسه (1/ 273).

تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم[1]، وكان يحث قادة حربه على الشورى، فعندما بعث أبا عبيد الثقفي لمحاربة الفرس بالعراق قال له: اسمع وأطع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر وخاصة مَن كان منهم من أهل بدر[2]. وكان يكتب إلى قادته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا في أمورهم العسكرية عمرو بن معديكرب وطلحة الأسدي قائلاً: استشيروا واستعينوا في حربكم بطلحة الأسدي وعمرو بن معديكرب ولا تولهما من الأمر شيئاً فإن كل صانع أعلم بصناعته[3]، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: وليكن عندك من العرب أول من أهل الأرض مَن تطمئن إلى نصحه وصدقه؛ فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عيناً لك[4]، ومما قاله عمر رضي الله عنه لعتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: قد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي[5]، أن يمدك بعرفجة بن هرثمة[6]، وهو ذو مجاهدة للعدو ومكايدة، فإذا قدم عليك فاستشره وقربه[7]. وكان مسلك الفاروق في الشورى جميلاً: فإنه كان يستشير العامة أول أمره فيسمع منهم، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرأي منهم، ثم يفضي إليهم بالأمر ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأي محمود، فما استقر عليه رأيهم أمضاه: وعمله هذا يشبه الأنظمة الدستورية في كثير من الممالك النظامية؛ إذ يعرض الأمر على مجلس النواب مثلاً، ثم بعد أن يقرر بالأغلبية يعرض على مجلس آخر يسمى في بعضها مجلس الشيوخ وفي بعضها مجلس اللوردات، فإذا انتهى المجلس من تقريره أمضاه الملك. والفرق بين عمل عمر وعمل هذه الممالك: أن هنا الأمر كان اجتهاداً منه وبغير نظام متبع أو قوانين مسنونة[8]، وكثيراً ما كان عمر يجتهد في الشيء ويبدي رأيه فيه ثم يأتي أضعف الناس فيبيّن له وجه الصواب وقوة الدليل، فيقبله ويرجع عن خطأ ما رأى إلى صواب ما استبان له[9].

وقد توسع نطاق الشورى في خلافة عمر رضي الله عنه لكثرة المستجدات والأحداث، وامتداد

(1) الطبري (3/ 481)، نقلاً عن الإدارة العسكرية.
(2) مروج الذهب (2/ 315).
(3) سير أعلام النبلاء (1/ 317).
(4) نهاية الأرب (6/ 169).
(5) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (1/ 274).
(6) الإصابة (2/ 491).
(7) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (1/ 275).
(8) الخلفاء الراشدون للنجار ص246.
(9) المصدر نفسه ص247.

رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة؛ فولدت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع، مثل: معاملة الأرض المفتوحة، وتنظيم العطاء وفق قواعد جديدة لتنفق أموال الفتوح على الدولة، فكان عمر يجمع للشورى أكبر عدد من الصحابة الكبار[1]، وكان لأشياخ بدر مكانتهم الخاصة في الشورى؛ لفضلهم وعلمهم وسابقتهم، إلا أن عمر ﷺ أخذ يشوبهم بشباب؛ فإنهم على دربهم ماضون لأجلهم ورحمة ربهم ومغفرته، والدولة لا بد لها من تجديد رجالاتها، وكان عمر العبقري الفذ قد فطن إلى هذه الحقيقة؛ فأخذ يختار من شباب الأمة مَن علم منهم علماً وورعاً وتقى، فكان عبد الله بن عباس من أولهم، وما زال عمر يجتهد متخيراً من شباب الأمة مستشارين له متخذاً القرآن فيصلاً في التخيّر حتى قال عبد الله بن عباس: وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً[2]، وقد قال الزهري لغلمان أحداث: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم؛ فإن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم[3]. وقال محمد بن سيرين: إن كان عمر ﷺ ليستشير في الأمر، حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذه، وقد ثبت أنه استشار مرة أم المؤمنين حفصة ﷺ [4]، وقد كان لعمر ﷺ خاصة من عِلْيَةِ الصحابة وذوي الرأي، منهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله، وكان لا يكاد يفارقه في سفر ولا حضر، وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب[5]، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت[6] ونظراؤهم، فكان يستشيرهم ويرجع إلى رأيهم[7].

وكان المستشارون يبدون آراءهم بحرية تامة وصراحة كاملة، ولم يتهم عمر ﷺ أحداً منهم في عدالته وأمانته، وكان عمر ﷺ يستشير في الأمور التي لا نص فيها من كتاب أو سنة، وهو يهدف إلى معرفة إن كان بعض الصحابة يحفظ فيها نصًّا من السنة، فقد كان بعض الصحابة يحفظ منها ما لا يحفظه الآخرون، وكذلك كان يستشير في فهم النصوص المحتملة لأكثر من معنى؛ لمعرفة المعاني والأوجه المختلفة، وفي هذين الأمرين قد يكتفي باستشارة الواحد أو العدد القليل، وأما في النوازل العامة فيجمع الصحابة، ويوسع النطاق ما استطاع

(1) عصر الخلافة الراشدة ص90.
(2) المصدر نفسه ص147.
(3) المصدر نفسه ص90.
(4) المصدر نفسه ص90.
(5) السنن الكبرى للبيهقي (9/ 29) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص90.
(6) الخلفاء الراشدون للنجار ص247.
(7) عصر الخلافة الراشدة ص90.

كما فعل عند وقوع الطاعون بأرض الشام متوجهاً إليها[1]، وبلغ عمر خبره فوافاه الأمراء بسرغ - موضع قرب الشام - وكان معه المهاجرون والأنصار، فجمعهم مستشيراً: أيمضي لوجهه، أم يرجع؟ فاختلفوا عليه: فمن قائل: خرجت لوجه الله فلا يصدنك عنه هذا. ومن قائل: إنه بلاء وفناء؛ فلا نرى أن تقدم عليه. ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش، فلم يختلفوا عليه، بل أشاروا بالعودة، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر[2]. فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟. فقال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل لهبطت وادياً له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف، فجاءهم، وقال: إن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه**»[3].

وكانت مجالات الشورى في عهد عمر متعددة، منها في المجال الإداري والسياسي كاختيار العمال والأمراء، والأمور العسكرية، ومنها في المسائل الشرعية المحضة، كالكشف في الحكم الشرعي من حيث الحل والحرمة والمسائل القضائية[4]، وستتضح مجالات الشورى وتطبيقاتها وبحث عمر رضي الله عنه عن الدليل الأقوى من خلال هذا البحث كل في موضعه - بإذن الله تعالى - والذي نحب أن نؤكد عليه أن الخلافة الراشدة كانت قائمة على مبدأ الشورى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم تكن في عهد عمر فلتة استنبطها ولا بدعة أتى بها، ولكنها قاعدة من قواعد المنهج الرباني.

خامساً - العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد: العدل والمساواة، ففي خطاب الفاروق للأمة أقر هذه المبادئ، فعدالته ومساواته تظهر في نص خطابه الذي ألقاه على الأمة يوم توليه منصب الخلافة؛ ولا شك أن العدل في فكر الفاروق هو عدل الإسلام الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي؛ فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل.

إن إقامة العدل بين الناس أفراداً وجماعات ودولاً ليست من الأمور التطوعية التي تترك

---

(1) عصر الخلفاء الراشدون ص91.

(2) الظهر: الدابة التي تحمل الأثقال ويركب عليها.

(3) مسلم، كتاب السلام (4/ 1740) رقم 2219.

(4) القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام ص167، 168.

لمزاج الحاكم أو الأمير وهواه، بل إن إقامة العدل بين الناس في الدين الإسلامي تعد من أقدس الواجبات وأهمها، وقد اجتمعت الأمة على وجوب العدل[1]، قال الفخر الرازي: أجمعوا على أن مَن كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل[2].

وهذا الحكم تؤيده النصوص القرآنية والسنة النبوية؛ فإنّ من أهداف دولة الإسلام إقامة المجتمع الإسلامي الذي تسود فيه قيم العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربته بجميع أشكاله وأنواعه، وعليها أن تفسح المجال وتيسر السبل أمام كل إنسان يطلب حقّه أن يصل إليه بأيسر السبل وأسرعها، دون أن يكلفه ذلك جهداً أو مالاً، وعليها أن تمنع أي وسيلة من الوسائل التي من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول إليه، وهذا ما فعله الفاروق في دولته؛ فقد فتح الأبواب على مصاريعها لوصول الرعية إلى حقوقها، وتفقد بنفسه أحوالها، فمنعها من الظلم المتوقع عليها، وأقام العدل بين الولاة والرعية، في أبهى صورة عرفها التاريخ، فقد كان يعدل بين المتخاصمين ويحكم بالحق، ولا يهمه أن يكون المحكوم عليهم من الأقرباء أو الأعداء، أو الأغنياء أو الفقراء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].

لقد كان الفاروق قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام به تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول ﷺ، فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، وقد نجح في ذلك على صعيد الواقع والتطبيق نجاحاً منقطع النظير لا تكاد تصدقه العقول، حتى اقترن اسمه بالعدل، وبات من الصعب جدًّا على كل مَن عرف شيئاً يسيراً من سيرته أن يفصل ما بين الاثنين، وقد ساعده على تحقيق ذلك النجاح الكبير عدة أسباب ومجموعة من العوامل منها:

1 - أن مدة خلافته كانت أطول من مدة خلافة أبي بكر بحيث تجاوزت عشر سنوات، في حين اقتصرت خلافة أبي بكر على سنتين وعدة شهور فقط.

2 - أنه كان شديد التمسك بالحق حتى إنه كان على نفسه وأهله أشد منه على الناس، كما سنرى.

3 - أن فقه القدوم على الله كان قويًّا عنده لدرجة أنه كان في كل عمل يقوم به يتوخى مرضاة الله قبل مرضاة الناس، ويخشى الله ولا يخشى أحداً من الناس.

---

(1) فقه التمكين في القرآن الكريم، للصلابي ص455.

(2) تفسير الرازي (10/ 141).

4 - أن سلطان الشرع كان قويًا في نفوس الصحابة والتابعين بحيث كانت أعمال عمر تلقى تأييداً وتجاوباً وتعاوناً من الجميع[1].

5 - وهذه بعض مواقفه في إقامته للعدل والقسط بين الناس: فقد حكم بالحق لرجل يهودي على مسلم، ولم يحمله كفر اليهودي على ظلمه والحيف عليه، أخرج الإمام مالك[2] من طريق سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختصم إليه مسلم ويهودي، فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق[3]. وكان رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالمواسم، فإذا اجتمعوا قال: أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم؛ إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فُعل به غير ذلك فليقم، فما قام أحد إلا رجل واحد قام فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك ضربني مائة سوط، قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أقيد، وقد رأيت رسول الله ﷺ أقاد من نفسه؟! قال: فدعنا فلنرضه، قال: دونكم فأرضوه، فاقتدى منه بمئتي دينار كل سوط بدينارين[4]، ولو لم يرضوه لأقاده رضي الله عنه[5].

وجاء رجل من أهل مصر يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قائلاً: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذاً، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو رضي الله عنه يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه: فقدم عمرو، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين؟ قال أنس: فضرب، فوالله، لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما رفع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: اصنع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني[6].

لقد قامت دولة الخلفاء الراشدين على مبدأ العدل، وما أجمل ما قاله ابن تيمية: إن الله

---

(1) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد عبد الصمد ص145.
(2) الوسيط في القرآن الكريم للصلابي ص96.
(3) الموطأ، كتاب الأقضية، باب الترغيب في القضاء بالحق رقم 2.
(4) الطبقات الكبرى لابن سعد (3/ 293 - 294).
(5) أقاده: اقتصّ منه.
(6) وسطيّة أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم ص170.

ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، . . . بالعدل تستصلح الرجال وتستغزر الأموال[1].

وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده الفاروق في دولته، فيعد أحد المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

إن الناس جميعاً في نظر الإسلام سواسية، الحاكم والمحكوم، الرجال والنساء، العرب والعجم، الأبيض والأسود، لقد ألغى الإسلام الفوارق بين الناس بسبب الجنس واللون أو النسب أو الطبقة، والحكام والمحكومون كلهم في نظر الشرع سواء[2]، وجاءت ممارسة الفاروق لهذا المبدأ خير شاهد وهذه بعض المواقف التي جسدت مبدأ المساواة في دولته:

- أصابت الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سنة (جدب) بالمدينة وما حولها، فكانت تسفي إذا ريحت[3] تراباً كالرماد، فسمي ذلك العام عام الرمادة، فآلى (حلف) عمر ألا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس من أول الحيا فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا، فقدمت السوق عُكَّة من سمن، ووطب من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين، ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، قد أبر الله يمينك، وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن، وعكة من سمن، فابتعتهما بأربعين، فقال عمر: أغليت بهما، فتصدق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافاً، وقال عمر: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم[4]. هذا موقف أمير المؤمنين عام القحط الذي سمي عام الرمادة، ولم يختلف موقفه عام الغلاء، فقد أصاب الناس سنة غلاء، فغلا السمن، فكان عمر يأكل الزيت، فتقرقر بطنه، فيقول: قرقر ما شئت، فوالله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس[5].

ولم يقتصر مبدأ المساواة في التطبيق عند خلفاء الصدر الأول على المعاملة الواحدة للناس كافة، وإنما تعداه إلى شؤون المجتمع الخاصة، ومنها ما يتعلق بالخادم والمخدوم، فعن ابن عباس أنه قال: قدم عمر بن الخطاب حاجًّا، فصنع له صفوان بن أمية طعاماً، فجاؤوا بجفنة يحملها أربعة، فوضعت بين يدي القوم يأكلون وقام الخُدّام، فقال عمر: أترغبونه

---

(1) السياسة الشرعية ص10.
(2) فقه التمكين في القرآن الكريم ص501.
(3) المصدر نفسه.
(4) تاريخ الطبري (4/ 98) نقلاً عن نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (1/ 87).
(5) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص101.

عنهم؟ فقال سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنا نستأثر عليهم، فغضب عمر غضباً شديداً، ثم قال: ما لقوم يستأثرون على خدامهم، فعل الله بهم وفعل، ثم قال للخدام: اجلسوا فكلوا، فقعد الخدام يأكلون، ولم يأكل أمير المؤمنين[1]، وكذلك فإن عمر ﷺ لم يأكل من الطعام ما لا يتيسر لجميع المسلمين، فقد كان يصوم الدهر، فكان زمن الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثُرد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً[2]، فأطعمها الناس وغرفوا له طيِّبها فأتي به، فإذا قديد من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، من الجزور التي نحرناها اليوم. فقال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيِّبها، وأطعمت الناس كرادسها، ارفع هذه الجفنة، هات غير هذا الطعام، فأتي بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز[3].

ولم يكن عمر ليطبق مبدأ المساواة في المدينة وحدها، من غير أن يعلمه لعماله في الأقاليم، حتى في مسائل الطعام والشراب[4]، فعندما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان أتي بالخبيص، فلما أكله وجد شيئاً حلواً طيباً، فقال: والله، لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا، فجعل له سفطين عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين، فسرّح بهما إلى عمر. فلما قدما عليه فتحهما، فقال: أي شيء هذا؟ قالوا: خبيص، فذاقه، فإذا هو شيء حلو. فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قال: أما لا فارددهما. ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك. أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك[5].

ومن صور تطبيق المساواة بين الناس ما قام به عمر عندما جاءه مال فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس، حتى خلص إليه، فعلاه بالدِّرة وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك[6]. فإذا عرفنا أن سعداً كان أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأنه فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم للشورى؛ لأن رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عنهم، وأنه كان يقال له فارس الإسلام... عرفنا مبلغ التزام عمر بتطبيق المساواة[7]، ويروي ابن

(1) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص101.
(2) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (1/ 87).
(3) المصدر نفسه (1/ 188).
(4) المصدر نفسه.
(5) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص147.
(6) الخلفاء الراشدون ص243.
(7) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (1/ 88).

الجوزي أن عمرو بن العاص، أقام حد الخمر على عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، يوم كان عامله على مصر. ومن المألوف أن يقام الحد في الساحة العامة للمدينة؛ لتتحقق من ذلك العبرة للجمهور، غير أن عمرو بن العاص أقام الحد على ابن الخليفة في البيت، فلما بلغ الخبر عمر، كتب إلى عمرو بن العاص: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن العاص: عجبت لك يا ابن العاص ولجرأتك عليّ، وخلاف عهدي. أما إني قد خالفت فيك أصحاب بدر ممن هو خير منك، واخترتك لجدالك عني، وإنفاذ عهدي، فأراك تلوثت بما قد تلوثت، فما أراني إلا عازلك فمسيء عزلك، تضرب عبد الرحمن في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين. ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وقد عرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق يجب لله عليه، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع[1]. وقد تم إحضاره إلى المدينة وضربه الحد جهراً، روى ذلك ابن سعد وأشار إليه ابن الزبير، وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عمر مطولاً[2]، وهكذا نرى المساواة أمام الشريعة في أسمى درجاتها، فالمتهم هو ابن أمير المؤمنين، ولم يعفه الوالي من العقاب، ولكن الفاروق وجد أن ابنه تمتع ببعض الرعاية؛ فآلمه ذلك أشد الألم، وعاقب واليه - وهو فاتح مصر - أشد العقاب وأقساه. وأنزل بالابن ما يستحق من العقاب؛ حرصاً على حدود الله، ورغبة في تأديب ابنه وتقويمه، وإذا كان هذا منهجه مع أقرب الناس عنده فما بالك بالآخرين[3]؟.

ومن الأمثلة التاريخية الهامة التي يستدل بها المؤلفون على عدم الهوادة في تطبيق المساواة، ما صنعه عمر مع جبلة بن الأيهم وهذه هي القصة: كانت جبلة آخر أمراء بني غسان من قبل هرقل، وأن الغساسنة يعيشون في الشام تحت إمرة دولة الروم، وكان الروم يحرضونهم دائماً على غزو الجزيرة العربية، وخاصة بعد نزول الإسلام. ولما انتشرت الفتوحات الإسلامية، وتوالت انتصارات المسلمين على الروم، وأخذت القبائل العربية في الشام تعلن إسلامها - بدا للأمير الغساني أن يدخل الإسلام هو أيضاً، فأسلم وأسلم ذووه معه. وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة؛ ففرح عمر بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة؛ وأقام بها زمناً والفاروق يرعاه ويرحب به، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطئ إزاره رجل من بني فزارة فحله، وغضب الأمير الغساني لذلك - وهو حديث عهد بالإسلام - فلطمه لطمة قاسية هشمت أنفه، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤمنين

(1) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص235.
(2) الخلافة الراشدة والدولة الأموية. يحيى اليحيى ص345.
(3) فن الحكم في الإسلام د. مصطفى أبو زيد ص475، 476.

يشكو إليه ما حل به، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه، ثم سأله فأقر بما حدث فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تلطم أخاك هذا فتهشم أنفه؟

فأجاب بأنه قد ترفق كثيراً بهذا البدوي (وأنه لولا حرمة البيت الحرام لأخذت الذي فيه عيناه).

فقال له عمر: لقد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وإما أن أقتص له منك.

وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذي يجري، وقال: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك؟!

فقال عمر: إن الإسلام قد سوى بينكما.

فقال الأمير الغساني: لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

فقال الفاروق: دع عنك هذا؛ فإنك إن لم ترضِ الرجل اقتصصت له منك.

فقال جبلة: إذن أتنصر.

فقال عمر: إذا تنصرت ضربت عنقك لأنك أسلمت؛ فإن ارتددت قتلتك[1].

وهنا أدرك جبلة أن الجدال لا فائدة منه، وأن المراوغة مع الفاروق لن تجدي، فطلب إلى الفاروق أن يمهله ليفكر في الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكر جبلة بن الأيهم ووصل إلى قرار، وكان غير موفق في قراره، فقد آثر أن يغادر مكة هو وقومه في جنح الظلام وفر إلى القسطنطينية، فوصل إليها متنصراً، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشد الندم، وصاغ ذلك في شعر جميل ما زال التاريخ يردده ويرويه، وفي هذه القصة نرى حرص الفاروق على مبدأ المساواة أمام الشرع، فالإسلام قد سوى بين الملك والسوقة، ولا بد لهذه المساواة أن تكون واقعاً حيًّا وليس مجرد كلمات توضع على الورق أو شعار ترديده الألسنة[2].

لقد طبق عمر رضي الله عنه مبدأ المساواة الذي جاءت به شريعة رب العالمين وجعله واقعاً حيًّا يعيش ويتحرك بين الناس؛ فلم يتراجع أمام عاطفة الأبوة، ولم ينثنِ أمام ألقاب النبالة، ولم تضع المساواة أمام اختلاف الدين أو مجاملة الرجال الفاتحين، لقد كان ذلك المبدأ العظيم واقعاً حيًّا، شعر به كل حاكم ومحكوم، ووجده كل مقهور وكل مظلوم[3]، لقد كان لتطبيق مبدأ المساواة أثره في المجتمع الراشدي؛ فقد أثر الشعور بها على نفوس ذلك الجيل فنبذوا

(1) ابن خلدون (2/ 281) نقلاً عن نظام الحكم للقاسمي (1/ 90).

(2) فن الحكم في الإسلام ص477، 478.

(3) المصدر نفسه ص478.

العصبية التقليدية، من الادعاء بالأولية والزعامة، والأحقية بالكرامة، وأزالت الفوارق الحسبية الجاهلية، ولم يطمع شريف في وضيع، ولم ييأس ضعيف من أخذ حقه، فالكل سواء في الحقوق والواجبات، لقد كان مبدأ المساواة في المجتمع الراشدي نوراً جديداً أضاء به الإسلام جنبات المجتمع الإسلامي وكان لهذا المبدأ الأثر القوي في إنشائه[1].

سابعاً - الحريات:

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس - جميع الناس - دعوة واسعة وعريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله والتوجه له بالعبادة وحده دون سائر الكائنات والمخلوقات، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لبني الإنسان، أضف إلى ذلك أنّ الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلاً إيجابيًا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتارة فعلاً سلبيًا كالامتناع من إكراه أحد في الدخول في الدين، وفي أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشورى والمساواة؛ لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره، ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية، وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامي، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم؛ لأن الإسلام كرَّم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق، ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك في دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية وفِئويّة قاسى بسببها الرعايا، وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم.

فعلى سبيل المثال: كانت دولة الروم تفرض على الآخذين بالمذهب اليعقوبي - ولا سيما في مصر والشام - أن يدينوا بالمذهب الملكاني (دينها الرسمي) وكم أُخذ المخالفون بالمشاعل توقد نيرانها ثم تسلط على أجسامهم حتى يحترقوا ويسيل الدهن من جوانبهم على الأرض، والجبابرة القساة يحملونهم حملاً على الإيمان بما أقرّه مجمع مقدونية أو يضعونهم في كيس مملوء بالرمال ثم يلقون بهم في أعماق البحار. وكذلك كانت دولة فارس في مختلف العصور تضطهد معتنقي الملل السماوية ولاسيّما المسيحيين بعد ازدياد القتال عنفاً بينها وبين

(1) المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه د. محمد أبو عجوة ص165.

دولة الروم، وأما في الإسلام في زمن رسول الله ﷺ، وعصر الخلفاء الراشدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصانة تماماً[1]، وإليك بعض التفصيل عن الحريات في زمن الفاروق رضي الله عنه :

1 - حرية العقيدة الدينية:

إن دين الإسلام لم يكره أحداً من الناس على اعتناقه، بل دعا إلى التفكر والتأمل في كون الله ومخلوقاته وفي هذا الدين، وأمر أتباعه أن يجادلوا الناس بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: 48]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46]. والآيات في ذلك كثيرة؛ ولذلك نجد الفاروق في دولته حرص على حماية الحرية الدينية، ونلاحظ أن عمر سار على هدي النبي والخليفة الراشد أبي بكر في هذا الباب فقد: أقرّ أهل الكتاب على دينهم، وأخذ منهم الجزية وعقد معهم المعاهدات كما سيأتي تفصيله، وخططت معابدهم ولم تهدم وتركت على حالها؛ وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: 40].

فحركة الفتوحات في عهد الفاروق التي قام بها الصحابة تشهد على احترام الإسلام للأديان الأخرى، وحرص القيادة العليا على عدم إكراه أحد في الدخول في الإسلام، حتى إن الفاروق نفسه جاءته ذات يوم امرأة نصرانية عجوز كانت لها حاجة عنده فقال لها: أسلمي تسلمي؛ إن الله بعث محمداً بالحق، فقالت: أنا عجوز كبيرة، والموت إليَّ أقرب، فقضى حاجتها، ولكنه خشي أن يكون في مسلكه هذا ما ينطوي على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام، فاستغفر الله مما فعل وقال: اللهم إني أرشدت ولم أكره[2]. وكان لعمر رضي الله عنه عبد نصراني اسمه (أشق) حدّث فقال: كنت عبداً نصرانيًّا لعمر، فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين؛ لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم، فأبيت فقال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. فلما حضرته الوفاة أعتقني وقال: اذهب حيث شئت[3]. وقد كان أهل الكتاب يمارسون شعائر دينهم وطقوس عبادتهم في معابدهم

(1) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد عبد الصمد ص157، 158.
(2) معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، إدوار غالي ص41.
(3) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (1/ 58).

وبيوتهم، ولم يمنعهم أحد من ذلك؛ لأن الشريعة الإسلامية حفظت لهم حتى الحرية في الاعتقاد، وقد أورد الطبري في العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيليا (القدس) ونص فيه على: إعطاء الأمان لأهل إيلياء على أنفسهم وأموالهم وصلبانهم وكنائسهم[1]، وكتب والي عمر بمصر عمرو بن العاص لأهل مصر عهداً جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، وأكد ذلك العهد بقوله: على ماضي هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين[2]. وقد اتفق الفقهاء[3]، على أن لأهل الذمة ممارسة شعائرهم الدينية، وأنهم لا يمنعون من ذلك ما لم يظهروا، فإن أرادوا ممارسة شعائرهم إعلاناً وجهراً كإخراجهم الصلبان يرون منعهم من ذلك في أمصار المسلمين، وعدم منعهم في بلدانهم وقراهم[4].

يقول الشيخ الغزالي عن كفالة الإسلام لحرية المعتقد: إن الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض، لم يعرف لها نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار، مثل ما صنع الإسلام[5].

لقد حرص الفاروق على تنفيذ قاعدة حرية الاعتقاد في المجتمع، ولخّص سياسته حيال النصارى واليهود بقوله: وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم، وألا نحملهم ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدوهم بسوء قاتلنا دونهم، وعلى أن نخلي بينهم وبين أحكامهم، إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا فنحكم بينهم وإن غيبوا عنا لم نتعرض لهم[6].

وقد ثبت عن عمر أنه كان شديد التسامح مع أهل الذمة، حيث كان يعفيهم من الجزية عندما يعجزون عن تسديدها، فقد ذكر أبو عبيد في كتاب الأموال: أن عمر رضي الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل[7]، ثم أرسل

(1) تاريخ الطبري (4/ 158).
(2) البداية والنهاية (7/ 98).
(3) السلطة التنفيذية د. محمد الدهلوي (2/ 725).
(4) المصدر نفسه (2/ 725) وقد فصل المسألة.
(5) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص111.
(6) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص117.
(7) رضخ له: أعطاه شيئاً له بالكثير.

إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[1]، وقد كتب إلى عماله معمّماً عليهم هذا الأمر[2]. وهذه الأفعال تدل على عدالة الإسلام وحرص الفاروق أن تقوم دولته على العدالة والرفق برعاياه ولو كانوا من غير المسلمين، وقد بقيت الحرية الدينية معلماً بارزاً في عصر الخلافة الراشدة، مكفولة من قبل الدولة، ومصونة بأحكام التشريع الرباني.

2 - حرية التنقل أو حرية الغدو والرواح:

حرص الفاروق على هذه الحرية حرصاً شديداً، ولكنه قيدها في بعض الحالات الاستثنائية التي استدعت ضرورة لذلك، أما الحالات الاستثنائية التي جرى فيها تقييد حرية التنقل أو حرية المأوى فهي قليلة جدًّا، ويكفينا أن نشير إلى حالتين نظراً لأهميتها:

أ - أمسك عمر كبار الصحابة في المدينة، ومنعهم من الذهاب إلى الأقطار، المفتوحة إلا بإذن منه، أو لمهمة رسمية كتعيين بعضهم ولاة أو قادة للجيوش؛ وذلك حتى يتمكن من أخذ مشورتهم والرجوع إليها فيما يصادفه من مشاكل في الحكم، ويحول في الوقت نفسه دون وقوع أية فتنة أو انقسام في صفوف المسلمين في حال خروجهم للأمصار واستقرارهم فيها[3]، فقد كان من حكمته السياسية ومعرفته الدقيقة لطبائع الناس ونفسيتهم، أنه حصر كبار الصحابة في المدينة، وقال: أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد[4]، وكان يعتقد أنه إذا كان التساهل في هذا الشأن، نجمت الفتنة في البلاد المفتوحة، والتفَّ الناس حول الشخصيات المرموقة، وثارت حولها الشبهات، وكثرت القيادات والرايات، وكان من أسباب الفوضى[5]، لقد خشي عمر رضي الله عنه: من تعدد مراكز القوى السياسية والدينية داخل الدولة الإسلامية، حيث يصبح لشخص هذا الصحابي لجليل أو ذاك هالة من الإجلال والاحترام على رأيه، ترقى به إلى مستوى القرار الصادر من السلطة العامة، وتجنباً لتعدد مراكز القوى، وتشتت السلطة، فقد رأى عمر إبقاء كبار الصحابة، داخل المدينة يشاركونه في صناعة القرار، ويتجنبون فوضى الاجتهاد الفردي، ولولا هذا السند الشرعي لكان القرار الصادر عن عمر رضي الله عنه غير مجد ولا ملزم؛ لافتقاده لسببه الشرعي الذي يسوغه؛ إذ التصرف على الرعية منوط بالمصلحة[6].

---

(1) الأموال لأبي عبيد ص57، أحكام أهل الذمة لابن القيم (1/ 38).
(2) نصب الراية للزيلعي (7/ 453).
(3) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص160.
(4) المرتضى سيرة أمير المؤمنين لأبي الحسن الندوي ص109.
(5) المصدر نفسه.
(6) القيود الواردة على سلطة الدولة ص151.

ب - وأما الحالة الثانية فقد حصلت عندما أمر عمر بإجلاء نصارى نجران ويهود خيبر من قلب البلاد العربية إلى العراق والشام، وسبب ذلك أن يهود خيبر ونصارى نجران لم يلتزموا بالعهود والشروط التي أبرموها مع رسول الله ﷺ وجددوها مع الصدِّيق، فقد كانت مقرات يهود خيبر ونصارى نجران أوكاراً للدسائس والمكر، فكان لا بد من إزالة تلك القلاع الشيطانية، وإضعاف قواتهم، أما بقية النصارى واليهود، كأفراد فقد عاشوا في المجتمع المدني يتمتعون بكل حقوقهم، روى البيهقي في سننه، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني في مصنفه عن ابن المسيب وابن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**». قال مالك: قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أتاه الثلج واليقين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**»؛ فأجلى يهود خيبر. قال مالك: قد أجلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهود نجران وفدك[1].

لقد كانت نبوة النبي ﷺ بالنسبة للصحابة يقيناً؛ ولذلك لم يستطع اليهود ولا نصارى نجران أن يلتزموا بعهودهم مع المسلمين لشدة عداوتهم وبغضهم وحسدهم للإسلام والمسلمين، فاليهود في خيبر كان من أسباب إجلائهم، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فدع[2] أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيباً فقال: إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: «**نقركم ما أقركم الله**»، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل، ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا، وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ: «**كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك**[3]**، ليلة بعد ليلة؟**» فقال: كان ذلك هزيلة من أبي القاسم فقال: كذبت يا عدو الله. فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك[4]، لقد غدر اليهود ونقضوا عهودهم، فكان طبيعيًّا أن يخرجوا من جزيرة العرب تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ فأجلاهم عمر إلى تيماء وأريحا.

وأما نصارى نجران فلم يلتزموا بالشروط والعهود التي أبرموها مع رسول الله ﷺ، وجددوها مع الصديق؛ فأخلوا ببعضها وأكلوا الربا وتعاملوا به، فأجلاهم الفاروق من نجران

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي (9/ 208)، مصنف عبد الرزاق (6/ 53).

(2) الفدع: عوج المفاصل، كأنها قد فارقت مواضعها.

(3) قلوصك: الناقة الصابرة على السير.

(4) البخاري، كتاب الشروط، رقم 2730.

إلى العراق وكتب لهم: أما بعد، فمن وقع به من أمراء الشام أو العراق فليوسعهم خريب الأرض[1]، وما اعتملوا من شيء فهو لهم لوجه الله وعقب من أرضهم، فأتوا العراق فاتخذوا النجرانية وهي قرية بالكوفة[2]، وذكر أبو يوسف أن الفاروق خاف من النصارى على المسلمين[3]، وبذلك تتلجى سياسة الفاروق فيما فعل من إخراجهم بعد توفر أسباب أخرى إضافة إلى وصية رسول الله ﷺ، ويتجلى فقه الفاروق في توجيه الضربات المركزة إلى مقرات اليهود في خيبر، والنصارى في نجران بعد أن وجد المبررات اللازمة لإخراجهم من جزيرة العرب بدون ظلم أو عسف أو جور، وهكذا منع أوكار الدسائس والمكر من أن تأخذ نفساً طويلاً للتخطيط من أجل القضاء على دولة الإسلام الفتية.

3 - حق الأمن، وحرمة المسكن، وحرية الملكية:

إن الإسلام أقر حق الأمن في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193]. وقال أيضاً: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194]. وقد عرف الإسلام - أيضاً - حق الحياة الذي هو أوسع من حق الأمن؛ لأن هذا الأخير يتضمن فعلاً سلبيًّا من جانب الدولة يعبر عنه بالامتناع عن الاعتداء أو التهديد، في حين أن حق الحياة يتضمن علاوة على ذلك فعلاً إيجابيًّا وهو حماية الإنسان ودمه من أي اعتداء أو تهديد، ويجعل هذه الحماية مسؤولية عامة ملقاة على عاتق الناس كافة؛ لأن الاعتداء بدون حق على أحدهم هو بمثابة الاعتداء عليهم جميعاً[4]، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]. ومن المنطلق القرآني والممارسة النبوية تكفل الفاروق في عهده للأفراد بحق الأمن وحق الحياة، وسهر على تأمينهما وصيانتهما من أي عبث أو تطاول، وكان الفاروق رضي الله عنه يقول: إني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم ويشتموا أعراضكم ويأخذوا أموالكم، ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم، فمن ظلمه عامله بمظلمة فليرفعها إليَّ حتى أقصه منه[5]. وجاء عن عمر - أيضاً - قوله: ليس الرجل بمأمون على نفسه إن أجعته أو أخفته أو حبسته أن يقر على نفسه[6]. وقوله هذا يدل على عدم جواز الحصول على الإقرار والاعتراف من مشتبه به في جريمة تحت الضغط أو التهديد، سواء أكانت الوسيلة المستعملة بذلك مادية (كحرمانه من

(1) أي: يقطعهم من الأرض التي لا زرع فيها ولا شجر.
(2) الأموال لأبي عبيد ص245.
(3) الخراج لأبي يوسف ص79.
(4) نظام الحكم في عهد الراشدين ص163.
(5) المصدر نفسه ص164.
(6) المصدر نفسه ص165.

عطائه أو مصادرة أمواله) أو معنوية (كاللجوء إلى تهديده أو تخويفه بأي نوع من العقاب) وجاء في كتابه لأبي موسى الأشعري بصفته قاضياً: واجعل للمدعي حقًّا غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء؛ فإن ذلك أنفى للشك)[1] وهذا القول يدل على أن حق الدفاع كان محترماً ومصوناً[2].

وفيما يتعلق بحرمة المسكن، فإن الله - سبحانه - حرم دخول البيوت والمساكن بغير موافقة أهلها أو بغير الطريقة المألوفة لدخولها، فقال - سبحانه - بهذا الشأن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: 27، 28]. وقال أيضاً: ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ﴾ [البقرة: 189]، كما قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: 12] وقد كانت حرمة المسكن مكفولة ومصونة في عهد الفاروق وعصر الخلفاء الراشدين[3].

وأما حرية الملكية فقد كانت مكفولة ومصونة أيضاً في عصر الراشدين ضمن أبعد الحدود التي تقرها الشريعة الإسلامية في هذا المجال، فحين اضطر عمر ﷺ لأسباب سياسية وحربية لإجلاء نصارى نجران ويهود خيبر من قلب شبه الجزيرة العربية، إلى العراق والشام أمر بإعطائهم أرضاً كأرضهم في الأماكن التي انتقلوا إليها احتراماً منه، وإقراراً لحق الملكية الفردية الذي يكفله الإسلام لأهل الذمة مثلما يكفله للمسلمين[4]، وعندما اضطر عمر إلى نزع ملكية بعض الدور من أجل العمل على توسيع المسجد الحرام في مكة، لم يكن دفعه للتعويض العادل إلا اعترافاً منه وإقراراً بحق الملكية الفردية التي لا يجوز مصادرتها حتى في حالة الضرورة إلا بعد إنصاف أصحابها[5]، وحرية الملكية لم تكن في عهد الراشدين مطلقة، وإنما هي مقيدة بالحدود الشرعية وبمراعاة المصلحة العامة، فقد روي أن بلالاً بن الحارث المزني جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب إليه أن يستقطعه أرضاً، فأقطعه أرضاً طويلة عريضة، فلما آلت الخلافة إلى عمر ﷺ، قال له: يا بلال، إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضاً طويلة عريضة فقطعها لك، وإن رسول الله ﷺ لم يكن يمنع شيئاً يسأله، وأنت لا تطيق ما في يدك، فقال: أجل، فقال عمر: فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تطق وما لم تقو عليه فادفعه

(1) القضاء ونظامه في الكتاب والسنة. د.عبد الرحمن الحميض ص(48).
(2) نظام الحكم في عهد الراشدين ص165.
(3) المصدر نفسه ص168.
(4) المصدر نفسه ص189.
(5) المصدر نفسه ص190.

إلينا نقسمه بين المسلمين، قال: لا أفعل والله، شيء أقطعنيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله لتفعلن، فأخذ عمر ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين[1]. وهذا يدل على أن الملكية الفردية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمصلحة الجماعة فإن أحسن المالك القيام بما يتطلبه معنى الاستخلاف في الرعاية والاستثمار فليس لأحد أن ينازعه ملكه، وإلا فإن لولي الأمر أن يتصرف بما يحول دون إهماله[2].

4 - حرية الرأي:

كفل الإسلام للفرد حرية الرأي كفالة تامة، وقد كانت هذه الحرية مؤمنة ومصانة في عهد الخلفاء الراشدين، فكان عمر رضي الله عنه يترك الناس يبدون آراءهم السديدة، ولا يقيدهم ولا يمنعهم من الإفصاح عما تكنه صدورهم[3]، ويترك لهم فرصة الاجتهاد في المسائل التي لا نص فيها، فعن عمر أنه لقي رجلاً فقال: ما صنعت؟ قال: قضى علي وزيد بكذا، قال: لو كنت أنا لقضيت بكذا، قال: فما منعك والأمر إليك؟ قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة نبيه ﷺ لفعلت، ولكني أردك إلى رأي، والرأي مشترك ما قال علي وزيد[4]. وهكذا ترك الفاروق الحرية للصحابة يبدون آراءهم في المسائل الاجتهادية، ولم يمنعهم من الاجتهاد، ولم يحملهم على رأي معين[5]. وكان النقد أو النصح للحاكم في عهد الفاروق والخلفاء الراشدين مفتوحاً على مصراعيه، فقد قام الفاروق رضي الله عنه يخطب قال: أيها الناس، مَن رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه، فقام له رجل وقال: والله، لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة مَن يقوِّم اعوجاج عمر بسيفه[6]. وقد جاء في خطبة عمر لما تولى الخلافة: أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة[7]. واعتبر الفاروق ممارسة الحرية السياسية البناءة (النصيحة) تعد واجباً على الرعية، ومن حق الحاكم أن يطالب بها: أيها الرعية، إن لنا عليكم حقًّا: النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير[8].

وكان يرى أن من حق أي فرد في الأمة أن يراقبه ويقوِّم اعوجاجه ولو بحد السيف إن هو

---

(1) المغني (5/ 579)، نظام الأرض. محمد أبو يحيى ص207.
(2) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين. حمد الصمد ص192.
(3) السلطة التنفيذية للدهلوي (2/ 735).
(4) إعلام الموقعين (1/ 65).
(5) السلطة التنفيذية للدهلوي (2/ 738).
(6) أخبار عمر ص331، 332، نقلاً عن الرياض النضرة.
(7) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص197.
(8) المصدر نفسه.

حاد عن الطريق، فقال: أيها الناس مَن رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه[1]، وكان يقول: أحب الناس إليّ مَن رفع إليّ عيوبي[2]، وقال أيضاً: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيباً مني[3]، وجاءه يوماً رجل فقال له على رؤوس الأشهاد: اتق الله يا عمر؛ فغضب بعض الحاضرين من قوله، وأرادوا أن يسكتوه عن الكلام، فقال لهم عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها[4]، ووقف ذات يوم يخطب في الناس فما كاد يقول: (أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا) حتى قاطعه أحدهم قائلاً: لا سمع ولا طاعة يا عمر، فقال عمر بهدوء: لِمَ يا عبد الله؟ قال: لأن كلاً منا أصابه قميص واحد من القماش لستر عورته. فقال له عمر: مكانك، ثم نادى ولده عبد الله بن عمر، فشرح عبد الله أنه قد أعطى أباه نصيبه من القماش ليكمل به ثوبه، فاقتنع الصحابة، وقال الرجل في احترام وخشوع: الآن السمع والطاعة يا أمير المؤمنين[5]. وخطب ذات يوم، فقال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي القَصَّة - يعني يزيد بن الحصين - فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة معترضة على ذلك: ما ذاك لك، قال: ولم؟ قالت: لأن الله - تعالى - قال: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: 20]. فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ[6]، وجاء في رواية: أنه قال: اللهم غفراً، كل إنسان أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس، إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل[7]. وليست حرية الرأي مطلقة في نظر الشريعة؛ فليس للإنسان أن يقطع في كل ما يشاء، بل هي مقيدة بعدم مضرة الآخرين بإبداء الرأي، سواء كان الضرر عامًّا أو خاصًّا، ومما منعه عمر رضي الله عنه وحظره وقيده:

أ - الآراء الضالة المضلة في الدين واتباع المتشابهات:

ومن ذلك قصة النبطي الذي أنكر القدر بالشام[8]، فقد اعترض على عمر رضي الله عنه وهو

(1) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص197.
(2) المصدر نفسه ص198. الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري ص231.
(3) المصدر نفسه ص198.
(4) المصدر نفسه ص200.
(5) عيون الأخبار (1/ 55) نقلاً عن محض الصواب (2/ 579).
(6) تفسير ابن كثير (2/ 213) عزاه للزبير بن بكار وفيه انقطاع، أخرجه أبو حاتم في مسنده والبيهقي في السنن وقال: مرسل جيد.
(7) قال أبو يعلى: إسناده جيد، مجمع الزوائد (4/ 283).
(8) هو قسطنطين الجاثليق بطريق الشام.

يخطب بالشام حينما قال عمر: ومن يضلل الله فلا هادي له، فاعترض النبطي منكراً للقدر، قائلاً: إن الله لا يضل أحداً! فهدده عمر بالقتل إن أظهر مقولته القدرية مرة أخرى[1]، وعن السائب بن يزيد أنه قال: أتى رجل عمر بن الخطاب ﷺ: فقال: يا أمير المؤمنين: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ [الذاريات: 1، 2] فقال عمر ﷺ أنت هو؟ فقام إليه وحسر[2] عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك، ألبسوه ثيابه، واحملوه على قَتَبٍ[3]، ثم اخرجوا حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيب ثم ليقل: إن صبيغاً[4] ابتغى العلم فأخطأه. فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك[5].

ب - الوقوع في أعراض الناس بدعوى الحرية:

وقد حبس عمر ﷺ الحطيئة[6] من أجل هجائه الزبرقان بن بدر[7] بقوله:

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها ... واقْعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي[8]

لأنه شبهه بالنساء في أنهن يطعمن ويسقين ويكسين[9]، وقد توعد عمر الحطيئة بقطع لسانه إذا تمادى في هجو المسلمين ونهش أعراضهم، وقد استعطفه الحطيئة وهو في سجنه بشعر منه قوله:

ماذا أقول لأفراخٍ بذيْ مَرَخٍ ... زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيتَ كاسبَهم في قَعْرِ مُظْلِمةٍ ... فاغفر عليك سلامُ الله يا عمرُ

أنتَ الأميرُ الذي من بعدِ صاحبِهِ ... أَلْقَى إليك مقاليدَ النُّهى البشرُ

فرَّق له قلب عمر وخلى سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحداً من المسلمين[10]، وقد ورد أن الفاروق اشترى أعراض المسلمين من الحُطيئة بمبلغ ثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر:

---

(1) الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها د.ناصر العقل ص223.

(2) حسر عن ذراعيه: أي أخرجهما من كميه.

(3) القتب: إكاف البعير.

(4) هو صبيغ بن عسل الحنظلي، سأل عمر عن متشابه القرآن واتهمه عمر برأي الخوارج.

(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي (30/ 634، 635).

(6) الحطيئة: هو جرول بن مالك بن جرول، لقب بالحطيئة لقصره.

(7) الزبرقان بن بدر التميمي: صحابي ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه.

(8) السلطة التنفيذية (2/ 745).

(9) تفسير القرطبي (12/ 173، 174).

(10) الشعر والشعراء لابن قتيبة (1/ 327)، عمر بن الخطاب د.أحمد أبو النصر ص223.

أخذت أطراف الكلام فلم تدعْ شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ
ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخف شتمي وأصبح آمناً لا يفزعُ[1]

5 - رأي عمر في الزواج بالكتابيات:

لما علم عمر ﷺ أن حذيفة بن اليمان تزوج يهودية كتب إليه: خلِّ سبيلها، فكتب إليه حذيفة: أتزعم أنها حرام فأخلِّي سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرامٌ، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن، وفي رواية: إني أخشى أن تدعوا المسلمات وتنكحوا المومسات[2].

قال أبو زهرة: (يجب أن نقرر هنا أن الأولى للمسلم ألا يتزوج إلا مسلمة؛ لتمام الألفة من كل وجه، ولقد كان عمر ﷺ ينهى عن الزواج بالكتابيات إلا لغرض سام كارتباط سياسي يقصد به جميع القلوب وتأليفها أو نحو ذلك...)[3].

لقد بيَّن المولى ﷻ في كتابه بأن الزواج بالمؤمنة ولو كانت أَمَةً أولى من الزواج بالمشركة ولو كانت حرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 221]، ففي هذه الآيات الكريمة ينهى الحق - سبحانه وتعالى - عن الزواج بالمشركات حتى يؤمن بالله ويصدقن نبيه، وحكم بأفضلية الأمة المؤمنة بالله ورسوله - وإن كانت سوداء رقيقة الحال - على المشركة الحرة وإن كانت ذات جمال وحسب ومال، ويمنع في المقابل المؤمنات من الزواج بالمشركين ولو كان المشرك أحسن من المؤمن في جماله وماله وحسبه[4]، وإذا كان الزواج بالمشركة حراماً بنص هذه الآية فإن الزواج بالكتابية جائز بنص آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: 5] وهو نص مُخصِّص للعموم في النص الأول، هذا هو رأي الجمهور[5]، إلا أنهم قالوا: إن الزواج بالمسلمة أفضل، هذا فيما إذا لم تكن هنالك مفاسد تلحق الزواج أو الأبناء أو المجتمع المسلم، أما إن وجدت مفاسد فإن الحكم هو المنع، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء المعاصرين[6]، وهو رأي سبق إليه عمر بن الخطاب؛ إذ هو أول مَن منع الزواج بالكتابيات مستنداً في ذلك إلى حجتين:

---

(1) أصحاب الرسول (1/ 110) محمود المصري، محض الصواب (1/ 376).
(2) إسناده صحيح، تفسير ابن كثير (1/ 265).
(3) الأحوال الشخصية لأبي زهرة ص104.
(4) فقه الأولويات دراسة في الضوابط، محمد الوكيل ص77.
(5) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزائري (5/ 76، 77).
(6) فقه الأولويات، محمد الوكيلي ص77.

أ - لأنه يؤدي إلى كساد الفتيات المسلمات وتعنيسهن.

ب - لأن الكتابية تفسد أخلاق الأولاد المسلمين ودينهم.

وهاتان حجتان كافيتان في هذا المنع، إلا أنه إذا نظرنا إلى عصرنا فإننا سنجد مفاسد أخرى كثيرة استجدت تجعل هذا المنع أشد[1]، وقد أورد الأستاذ جميل محمد مبارك مجموعة من هذه المفاسد منها:

ج - قد تكون للزوجة من أهل الكتاب مهمة التجسس على المسلمين.

د - دخول عادات الكفار إلى بلاد المسلمين.

هـ - تعرض المسلم للتجنس بجنسية الكفار.

و - جهل المسلمين المتزوجين بالكتابيات؛ مما يجعلهم عجينة سهلة التشكيل في يد الكتابيات.

ز - شعور المتزوجين بالكتابيات بالنقص، وهو أمر أدى إليه الجهل بدين الله[2].

وهي مفاسد كافية للاستدلال على حرمة الزواج بالكتابية في عصرنا.

إن القيود التي وضعها عمر على الزواج بالكتابيات تنسجم مع المصالح الكبرى للدولة والأهداف العظمى للمجتمعات الإسلامية، فقد عرفت الأمم الواعية ما في زواج أبنائها بالأجنبيات من المضار، وما يجلبه هذا الزواج من أخطار تصيب الوطن عفواً أو قصداً؛ فوضعت لذلك قيوداً وبالذات للذين يمثلونها في المجالات العامة، وهو احتياط له مبرراته الوجيهة؛ فالزوجة تعرف الكثير من أسرار زوجها إن لم تكن تعرفها كلها، على قدر ما بينهما من مودة وانسجام، ولقد كان لهذه الناحية من اهتمام عمر ﷺ مقام الأستاذية الحازمة الحاسبة لكل مَن جاء بعده كحاكم على مر الزمان، إن الزواج من الكتابيات فيه مفاسد عظيمة؛ فإنهن دخيلات علينا ويخالفننا في كل شيء، وأكثرهن يبقين على دينهن، فلا يتذوقن حلاوة الإسلام وما فيه من وفاء وتقدير للزوج، قدر عمر كل ذلك بفهمه لدينه، وبصائر تقديره لطبائع البشر، وبحسن معرفته لما ينفع المسلمين وما يضرهم، فأصدر فيه أوامره وعلى الفور وفي حسم[3].

لقد كانت الحرية في العهد الراشدي مصونة ومكفولة ولها حدودها وقيودها؛ ولذلك ازدهر المجتمع وتقدم في مدار الرقي، فالحرية حق أساسي للفرد والمجتمع، يتمتع بها في تحقيق ذاته وإبراز قدراته، وسلْبُ الحرية من المجتمع سلب لأهم مقوماته فهو أشبه بالأموات.

---

(1) فقه الأولويات، محمّد الوكيلي ص78.

(2) شهيد المحراب، عمر التلمساني ص214.

(3) المصدر نفسه.

إن الحرية في الإسلام إشعاع داخلي ملأ جنبات النفس الإنسانية بارتباطها بالله؛ فارتفع الإنسان بهذا الارتباط إلى درجة السمو والرفعة، فأصبحت النفس تواقة لفعل الصالحات والمسارعة في الخيرات ابتغاء رب الأرض والسموات، فالحرية في المجتمع الإسلامي دعامة من دعائمه تحققت في المجتمع الراشدي في أبهى صور انعكست أنوارها على صفحات الزمان[1].

سابعاً - نفقات الخليفة، والبدء بالتاريخ الهجري ولقب أمير المؤمنين:

1 - نفقات الخليفة:

لما كانت الخلافة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله - تعالى - فإن مَن يتولاها ويحسن فيها فإنه يرجى له مثوبته، وجزاؤه عند الله - سبحانه وتعالى - فإنه يجازي المحسن، بإحسانه، والمسيء بإساءته[2]، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: 94] ذلك بالنسبة للجزاء الأخروي، وأما بالنسبة للجزاء الدنيوي فإن الخليفة الذي يحجز منافعه الصالحة للأمة، ويعمل على أداء الواجب نحوها يستحق عوضاً عن ذلك؛ إذ أن المنافع إذا حجزت قوبلت بعوضين[3]، فالقاعدة الفقهية: أن كل محبوس لمنفعة غيره يلزمه نفقته، كمفت وقاض ووال[4]، وأخذ العوض على تولي الأعمال مشروع بإعطاء النبي ﷺ العمالة[5] لمن ولاه عملاً[6]، ولما ولي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زماناً، لا يأكل من بيت المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، لم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته؛ لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم في ذلك، فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[7]، وقال عمر لعلي رضي الله عنهما: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك، وقد بيَّن عمر حظه من بيت المال فقال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[8]، وجاء في رواية أن عمر خرج على جماعة من الصحابة فسألهم: ما ترونه

---

(1) المجتمع الإسلامي د. محمد أبو عجوة ص245.
(2) السلطة التنفيذية (1/ 215).
(3) المبسوط (15/ 147، 166)، المغني (5/ 445).
(4) السلطة التنفيذية (1/ 215).
(5) العمالة: بالضم، رزق العامل.
(6) السلطة التنفيذية (1/ 216).
(7) سعيد بن زيد العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة.
(8) سنده صحيح، الخلافة الراشدة د. يحيى اليحيى ص270.

يحل لي من مال الله؟ أو قال: من هذا المال؟ فقالوا: أمير المؤمنين أعلم بذلك منا، قال: إن شئتم أخبرتكم ما أستحل منه، ما أحج وأعتمر عليه من الظهر، وحلتي في الشتاء وحلتي في الصيف، وقوت عيالي شبعهم، وسهمي في المسلمين؛ فإنما أنا رجل من المسلمين، قال معمر: وإنما كان الذي يحج عليه ويعتمر بعيراً واحداً[1].

وقد ضرب الخليفة الراشد الفاروق للحكام أروع الأمثلة في أداء الأمانة فيما تحت أيديهم، فقد روى أبو داود عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: ذكر عمر بن الخطاب يوماً الفيء فقال: ما أنا بأحق بهذا الفيء منكم، وما أحد منا بأحق به من أحد، إلا أنَّا على منازلنا من كتاب الله ﷻ وقسم رسول الله ﷺ فالرجل وقدمُهُ، والرجل وبلاؤه، والرجل وعياله، والرجل وحاجته[2]، وعن الربيع بن زياد الحارثي أنه وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعجبته هيئته ونحوه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن أحق الناس بطعام لين، ومركب لين، وملبس لين لأنت - وكان أكل طعاماً غليظاً - فرفع عمر جريدة كانت معه فضرب بها رأسه، ثم قال: أما والله، ما أراك أردت بها الله، ما أردت بها إلا مقاربتي، وإن كنت لعلَّها: لأحسب أن فيك خيراً، ويحك هل تدري مثلي ومثل هؤلاء؟ قال: وما مثلك ومثلهم؟ قال: مثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم، فقالوا: أنفق علينا، فهل يحل له أن يستأثر منها بشيء؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: فذلك مثلي ومثلهم[3]. وقد استنبط الفقهاء من خلال الهدي النبوي والعهد الراشدي مجموعة من الأحكام تتعلق بنفقات الخليفة، منها:

أ - أنه يجوز للخليفة أن يأخذ عوضاً عن عمله، وقد نص النووي[4]، وابن العربي[5]، والبهوتي[6]، وابن مفلح[7] على جواز ذلك.

ب - وأن الخليفتين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد أخذا رزقاً على ذلك.

ج - وأن أخذ الرزق هو مقابل انشغالهما في أمور المسلمين كما قاله أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

د - وأن الخليفة له أن يأخذ ذلك سواء كان بحاجة إليه أو لا، ويرى ابن المنيِّر[8]، أن

(1) مصنف عبد الرزاق رقم 20046 نقلاً عن السلطة التنفيذية.
(2) سنن أبي داود رقم 2950.
(3) محض الصواب (1/ 383)، الطبقات الكبرى (3/ 280، 281).
(4) روضة الطالبين (11/ 137).
(5) البداية والنهاية (12/ 228، 229).
(6) الأعلام للزركلي (8/ 249).
(7) السلطة التنفيذية (1/ 218).
(8) المصدر نفسه (1/ 219).

الأفضل له أن يأخذ؛ لأنه لو أخذ كان أعون في عمله مما لو ترك؛ لأنه بذلك يكون مستشعراً بأن العمل واجب عليه[1].

2 - بدء التاريخ الهجري:

يعد التاريخ بالهجرة تطوراً له خطره في النواحي الحضارية، وكان أول مَن وضع التاريخ بالهجرة عمر، ويحكى في سبب ذلك عدة روايات، فقد جاء عن ميمون بن مهران أنه قال: دُفع إلى عمر رضي الله عنه صَكٌّ محله في شعبان، فقال عمر: شعبان هذا الذي مضى أو الذي هو آتٍ أو الذي نحن فيه، ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه، فقال قائل: اكتبوا على تاريخ الروم، فقيل: إنه يطول وإنهم يكتبون من عند ذي القرنين، فقال قائل: اكتبوا تاريخ الفرس قالوا: كلما قام ملك طرح ما كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة فوجدوه أقام عشر سنين، فكتب أو كتب التاريخ على هجرة رسول الله ﷺ [2]، وعن عثمان بن عبيد الله[3]، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: جمع عمر بن الخطاب المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فقال: متى نكتب التاريخ؟ فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: منذ خرج النبي ﷺ من أرض الشرك، يعني من يوم هاجر، قال: فكتب ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه [4]، وعن ابن المسيب قال: أول من كتب التاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه [5]، وقال أبو الزناد[6]: استشار عمر في التاريخ فأجمعوا على الهجرة[7]، وروى ابن حجر في سبب جعلهم بداية التاريخ في شهر محرم وليس في ربيع الأول الشهر الذي تمت فيه هجرة النبي ﷺ أن الصحابة الذين أشاروا على عمر وجدوا أن الأمور التي يمكن أن يؤرخ بها أربعة، هي مولده ومبعثه وهجرته ووفاته، ووجدوا أن المولد والمبعث لا يخلوان من النزاع في تعيين سنة حدوثهما، وأعرضوا عن التأريخ بوفاته لما يثيره من الحزن والأسى عند المسلمين؛ فلم يبق إلا الهجرة، وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم؛ لأن ابتداء العزم على الهجرة كان من المحرم؛ إذ وقعت بيعة العقبة الثانية في ذي الحجة، وهي مقدمة الهجرة،

---

(1) شرح مسلم للنووي (7/ 137).
(2) محض الصواب (1/ 316)، ابن الجوزي ص69.
(3) ابن أبي رافع مولى النبي ﷺ يروي عن أبيه.
(4) المستدرك (3/ 14) وصححه ووافقه الذهبي.
(5) تاريخ الإسلام للذهبي ص163.
(6) عبد الله بن ذكوان القرشي، ثقة فقيه، التقريب ص302.
(7) محض الصواب (1/ 317).

فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال محرم؛ فناسب أن يُجعل مبتدأ... ثم قال ابن حجر: وهذا أنسب ما وقعت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم[1].

وبهذا الحدث الإداري المتميز أسهم الفاروق في إحداث وحدة شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى في شبه الجزيرة، حيث ظهرت وحدة العقيدة بوجود دين واحد، ووحدة الأمة بإزالة الفوارق، ووحدة الاتجاه باتخاذ تاريخ واحد؛ فاستطاع أن يواجه عدوه وهو واثق من النصر[2].

3 - لقب أمير المؤمنين:

لما مات أبو بكر رضي الله عنه وكان يدعى خليفة رسول الله ﷺ قال المسلمون: من جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة رسول الله ﷺ فيطول هذا، ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة، يُدْعى به من بعده من الخلفاء، فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: نحن المؤمنون وعمر أميرنا، فدعي عمر أمير المؤمنين؛ فهو أول مَن سُمي بذلك[3]، وعن ابن شهاب: أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة[4]: لما كان أبو بكر رضي الله عنه يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ ؟ ثم كان عمر رضي الله عنه يكتب بعده: من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر، مَن أول مَن كتب أمير المؤمنين؟ فقال: حدثتني جدتي الشفاء[5]، وكانت من المهاجرات الأوَل، وكان عمر إذا دخل السوق دخل عليها، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عامل بالعراق[6]: أن ابعث إلي برجلين جلدين نبيلين، أسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه صاحب العراقين بلبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، فقدما المدينة فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص، فقالا له: يا عمرو، استأذن لنا على أمير المؤمنين، فدخل عمرو فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: ما بدا لك في هذا الاسم يا ابن العاص؟ لتخرجن مما قلت، قال: نعم، قدم لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، إنه أمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب من ذلك اليوم[7]، وفي رواية: أن عمر رضي الله عنه قال: أنتم المؤمنون

(1) فتح الباري (7/ 268)، الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى ص286.
(2) جولة تاريخية في الخلفاء الراشدين، محمد الوكيل ص90.
(3) الطبقات الكبرى لابن سعد (3/ 281)، محض الصواب (1/ 311).
(4) العدوي المدني، ثقة، عارف بالنسب من الثالثة، التقريب ص607.
(5) الشفاء بنت عبد الله العدوية، أسلمت قبل الهجرة.
(6) محض الصواب (1/ 312).
(7) المستدرك (3/ 81، 82) قال الذهبي: صحيح.

وأنا أميركم؛ فهو سمى نفسه[1]، وبذاك يكون عمر بن الخطاب ﷺ أول مَن سمي بأمير المؤمنين وأنه لم يسبق إليه، وإذا نظر الباحث في كلام أصحاب النبي ﷺ رأى أن جميعهم قد اتفقوا على تسميته بهذا الاسم وسار له في جميع الأقطار في حال ولايته[2].

المبحث الثاني
صفات الفاروق، وحياته مع أسرته، واحترامه لأهل البيت

أولاً - أهم صفات الفاروق:

إن مفتاح شخصية الفاروق إيمانه بالله - تعالى - والاستعداد لليوم الآخر، وكان هذا الإيمان سبباً في التوازن المدهش والخلّاب في شخصية عمر بن الخطاب ﷺ ولذلك لم يطغ قوته على عدالته، وسلطانه على رحمته، ولا غناه على تواضعه، وأصبح مستحقًّا لتأييد الله وعونه، فقد حقق شروط كلمة التوحيد، من العلم واليقين، والقبول، والانقياد، والإخلاص والمحبة، وكان على فهم صحيح لحقيقة الإيمان وكلمة التوحيد؛ فظهرت آثار إيمانه العميق في حياته والتي من أهمها:

1 - شدة خوفه من الله - تعالى - بمحاسبته لنفسه:

كان ﷺ يقول: أكثروا من ذكر النار، فإن حرّها شديد، وقعرها بعيد، ومقامها حديد[3]. وجاء ذات يوم أعرابي، فوقف عنده وقال:

يا عمر الخير جُزيتَ الجنةْ جهِّزْ بُنيَّاتي وأمهنَّهْ
أُقسمُ باللهِ لتفعلنهْ

قال: فإن لم أفعل ماذا يكون يا أعرابي؟ قال:

أقسمُ إني سوفَ أمضينَّهْ

قال: فإن مضيت ماذا يكون يا أعرابي؟ قال:

والله عنْ حالي لتُسألنهْ ثم تكونُ المَسْألاتُ ثمهْ
والواقف المسؤول بينهنهْ إما إلى نارٍ وإمَّا جَنَّهْ

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم،

(1) محض الصواب (1/ 312).
(2) المصدر نفسه (1/ 313).
(3) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص155.

لا لشعره، والله ما أملك قميصاً غيره[1]. وهكذا بكى أمير المؤمنين عمر ﷺ بكاءً شديداً تأثراً بشعر ذلك الأعرابي الذي ذكّره بموقف الحساب يوم القيامة، مع أنه لا يذكر أنه ظلم أحداً من الناس، ولكنه لعظيم خشيته وشدة خوفه من الله تعالى تنهمر دموعه أمام كل من يذكّره بيوم القيامة[2].

وكان ﷺ من شدة خوفه من الله تعالى يحاسب نفسه حساباً عسيراً، فإذا خيل إليه أنه أخطأ في حق أحد طلبه، وأمره بأن يقتص منه، فكان يقبل على الناس يسألهم عن حاجاتهم، فإذا أفضوا إليه بها قضاها، ولكنه ينهاهم عن أن يشغلوه بالشكاوى الخاصة إذا تفرغ لأمر عام، فذات يوم كان مشغولاً ببعض الأمور العامة[3]، فجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، انطلق معي فأعني على فلان؛ فإنه ظلمني، فرفع عمر الدرة، فخفق بها رأس الرجل، وقال: تتركون عمر وهو مقبل عليكم، حتى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتموه، فانصرف الرجل متذمراً، فقال عمر عليَّ بالرجل: فلما أعادوه ألقى عمر بالدرة إليه، وقال، أمسك الدرة، واخفقني كما خفقتك قال الرجل: لا يا أمير المؤمنين، أدعها لله ولك، قال عمر: ليس كذلك: إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثواب، أو تردها عليّ فأعلم ذلك، فقال الرجل: أعدها لله يا أمير المؤمنين، وانصرف الرجل، أما عمر فقد مشى حتى دخل بيته[4] ومعه بعض الناس منهم الأحنف بن قيس الذي حدثنا عمّا رأى: . . . فافتتح الصلاة فصلى ركعتين ثم جلس، فقال: يا ابن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين، فجاء رجل يستعديك، فضربته، ما تقول لربك غداً إذا أتيته؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه خير أهل الأرض[5].

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر ﷺ وأنا في السوق، وهو مار في حاجة، ومعه الدرة، فقال: هكذا أمِطْ[6] عن الطريق يا سلمة، قال: ثم خفقني بها خفقة فما أصاب إلا طرف ثوبي، فأمطت عن الطريق، فسكت عني حتى كان في العام المقبل، فلقيني في السوق، فقال: يا سلمة، أردت الحج العام؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ بيدي، فما فارقت يدي يده حتى دخل بيته، فأخرج كيساً فيه ستمائة درهم فقال: يا سلمة، استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام أول، قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها حتى ذكرتنيها، قال: والله ما نسيتها بعد[7]. وكان ﷺ يقول في محاسبة النفس ومراقبتها: حاسبوا

(1) تاريخ بغداد (4/ 312).
(2) التاريخ الإسلامي (19/ 46).
(3) الفاروق للشرقاوي ص222.
(4) المصدر نفسه ص222.
(5) محض الصواب (2/ 503).
(6) ماطه وأماطه: نحّاه ودفعه.
(7) تاريخ الطبري (4/ 244) وإسناده ضعيف.

أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيؤوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[1] [الحاقة: 18].

وكان من شدة خشيته لله ومحاسبته لنفسه يقول: لو مات جَدْيٌ بطف[2] الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر[3]، وعن علي ﷺ قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ على قتب يعدو، فقلت: يا أمير المؤمنين، أين تذهب؟ قال: بعيرٌ ندَّ[4] من إبل الصدقة أطلبه، فقلت: أذللت الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن، لا تلمني فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً[5] أخذت بشاطىء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة[6].

وعن أبي سلامة قال: انتهيت إلى عمر وهو يضرب بشاطئ ضرب رجالاً ونساء في الحرم على حوض يتوضؤون منه، حتى فرَّق بينهم، ثم قال: يا فلان، قلت: لبيك، قال: لا لبيك ولا سعديك، ألم آمرك أن تتخذ حياضاً للرجال وحياضاً للنساء، قال: ثم اندفع فلقيه علي ﷺ فقال: أخاف أن أكون هلكتُ قال: وما أهلكك؟ قال: ضربت رجالاً ونساءً في حرم الله ﷻ قال: يا أمير المؤمنين أنت راعٍ من الرعاة، فإن كنت على نصح وإصلاح فلن يعاقبك الله، وإن كنت ضربتهم على غش فأنت الظالم[7].

وعن الحسن البصري أنه قال: بينما عمر ﷺ يجول في سكك المدينة إذ عرضت له هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: 58] فانطلق إلى أبيّ بن كعب، فدخل عليه بيته وهو جالس على وسادة، فانتزعها أبيّ من تحته وقال: دونكها يا أمير المؤمنين، قال: فنبذها برجله وجلس، فقرأ عليه هذه الآية وقال: أخشى أن أكون أنا صاحب الآية، وأوذي المؤمنين، قال: لا تستطيع إلا أن تعاهد رعيتك، فتأمر وتنهي، فقال عمر: قد قلت والله أعلم[8]، وكان عمر ﷺ ربما توقد النار ثم يدلي يده فيها، ثم يقول: ابن الخطاب هل لك على هذا صبر[9].

وعندما بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر ﷺ بقباء كسرى، وسيفه

---

(1) مختصر منهاج القاصدين ص372، فرائد الكلام ص143.
(2) طف: الشاطئ.
(3) مناقب عمر ص160، 161.
(4) ندَّ: شرد وهرب.
(5) العناق: الأنثى من المعز ما لم يتم له سنة.
(6) مناقب عمر ص161.
(7) مصنف عبد الرزاق (1/ 75، 76) وإسناده حسن، محض الصواب (2/ 622).
(8) مناقب عمر ص162، محض الصواب (2/ 623).
(9) المصدر نفسه ص62.

ومنطقته، وسراويله، وقميصه، وتاجه، وخفيه، نظر عمر في وجوه القوم فكان أجسمهم وأمدهم قامة سراقة بن جعشم المدلجي، فقال: يا سراقة، قم فالبس فقام فلبس وطمع فيه، فقال له عمر: أدبر فأدبر، ثم قال: أقبل فأقبل، ثم قال: بخ بخ، أعرابي من بني مدلج عليه قباء كسرى، وسراويله، وسيفه، ومنطقته، وتاجه، وخفاه، رب يوم يا سراقة بن مالك لو كان عليك فيه من متاع كسرى كان شرفاً لك ولقومك، انزع، فنزع سراقة، فقال عمر: إنك منعت هذا رسولك ونبيك وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني، ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك مني، وأكرم عليك مني، ثم أعطيتنيه؛ فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي، ثم بكى حتى رحمه مَنْ عنده ثم قال لعبد الرحمن: أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تمسي[1]. ومواقفه في هذا الباب كثيرة جدًّا.

2 - زهده:

فهم عمر رضي الله عنه من خلال معايشته للقرآن الكريم، ومصاحبته للنبي الأمين ﷺ ومن تفكره في هذه الحياة أن الدنيا دار اختبار وابتلاء؛ وعليه فإنها مزرعة للآخرة، ولذلك تحرّر من سيطرة الدنيا بزخارفها وزينتها وبريقها، وخضع وانقاد وأسلم نفسه لربه ظاهراً وباطناً، وكان وصل إلى حقائق استقرت في قلبه ساعدته على الزهد في هذه الدنيا، ومن هذه الحقائق:

أ - اليقين التام بأننا في هذه الدنيا أشبه بالغرباء، أو عابري سبيل كما قال النبي ﷺ: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**[2].

ب - وأن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قيمة عند رب العزة إلا ما كان منها طاعة لله - تبارك وتعالى - إذ يقول النبي ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء»**[3]، ويقول: **«ألا إنّ الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، أو عالماً، أو متعلماً»**[4].

ج - وأن عمرها قد قارب على الانتهاء، إذ يقول ﷺ: **«بعثتُ أنا والساعة كهاتين»** ويقرن بين أصبعيه بالسبّابة والوسطى[5].

د - وأن الآخرة هي الباقية، وهي دار القرار، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ

(1) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (2/ 625).
(2) الترمذي، كتاب الزهد رقم 2333 وهو حديث صحيح.
(3) الترمذي، كتاب الزهد رقم 2320.
(4) الترمذي، كتاب الزهد رقم 2322 حسن غريب قاله الترمذي.
(5) مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، الحديث رقم 867 الفتن وأشراط الساعة رقم 132 - 135.

﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: 39، 40]. كانت هذه الحقائق قد استقرت في قلب عمر؛ فترفَّع ﷺ عن الدنيا وحطامها وزهد فيها، وإليك شيئاً من مواقفه التي تدل على زهده في هذه الفانية، فعن أبي الأشهب[2] قال: مرّ عمر ﷺ على مزبلة فاحتبس عندها، فكأن أصحابه تأذوا بها، فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها، وتبكون عليها[3].

وعن سالم بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب كان يقول: والله، ما نعبأ بلذات العيش أن نأمر بصغار المعزى أن تسمط[4]، لنا، ونأمر بلباب[5] الخبز فيخبز لنا، ونأمر بالزبيب فينبذ لنا في الأسعان[6]، حتى إذا صار مثل عين اليعقوب[7]، أكلنا هذا وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقي طيباتنا؛ لأنا سمعنا الله يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: 20]، وعن أبي عمران الجوني قال: قال عمر بن الخطاب: لنحن أعلم بليِّن الطعام من كثير من آكليه، ولكنا ندعه ليوم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: 2]، وقد قال عمر ﷺ: نظرت في هذا الأمر، فجعلت إن أردت الدنيا أضرّ بالآخرة، وإن أردت الآخرة أضر بالدنيا، فإذا كان الأمر هكذا، فأضر بالفانية[8]، وقد خطب ﷺ الناس، وهو خليفة، وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة[9]، وطاف ببيت الله الحرام وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة، إحداهن بأدم أحمر[10]، وأبطأ على الناس يوم الجمعة، ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه، وقال: إنما حبسني غسل ثوبي هذا - كان يغسل - ولم يكن لي ثوب غيره[11].

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ حاجًّا من المدينة

---

(1) من أخلاق النصر في جيل الصحابة د. السيد محمد نوح ص48، 49.
(2) جعفر بن حيان السعدي.
(3) الزهد للإمام أحمد ص118.
(4) سمط الذبيحة: غمسها في الماء الحار، لإزالة ما على جلدها من شعر، أو ريش قبل طبخها، أو شيّها، أو دبغ جلدها، فالجدي سميطٌ ومسموطٌ.
(5) اللباب: الخالص من كل شيء.
(6) الأسعان: جمع سعن، والسعن: قربة تقطع من نصفها وينتبذ فيها.
(7) اليعقوب: الحجل.
(8) الحلية (1/ 50) وهو ضعيف لانقطاعه، مناقب عمر لابن الجوزي ص137.
(9) الزهد للإمام أحمد ص124 له طرق تقويه.
(10) الطبقات الكبرى (3/ 328) إسناده صحيح.
(11) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب (2/ 566).

إلى مكة، إلى أن رجعنا، فما ضرب له فسطاطاً[1]، ولا خباء، كان يلقي الكساء[2] والنطع[3]. على الشجرة فيستظل تحته[4].

هذا هو أمير المؤمنين الذي يسوس رعية من المشرق والمغرب يجلس على التراب وتحته رادءٌ كأنه أدنى الرعية، أو من عامّة الناس، ودخلت عليه مرة حفصة أم المؤمنين ﵂ وقد رأت ما هو فيه من شدة العيش والزهد الظاهر عليه فقالت: إن الله أكثر من الخير، وأوسع عليك من الرزق، فلو أكلت طعاماً أطيب من ذلك، ولبست ثياباً ألين من ثوبك؟ قال: سأخصمك إلى نفسك[5]، فذكر أمر رسول الله ﷺ وما كان يلقى من شدة العيش، فلم يزل يُذكرها ما كان فيه رسول الله ﷺ وكانت معه حتى أبكاها، ثم قال: إنه كان لي صاحبان سلكا طريقاً، فإن سلكت الشديد، لعلي أن أدرك معهما عيشهما الرخي[6].

لقد بُسِطت الدنيا بين يدي عمر ﵁ وتحت قدميه، وفتحت بلاد الدنيا في عهده، وأقبلت إليه الدنيا راغمة، فما طرف لها بعين، ولا اهتز لها قلبه، بل كان كل سعادته في إعزاز دين الله، وخَضْدِ شوكة المشركين، فكان الزهد صفة بارزة في شخصية الفاروق[7]، يقول سعد ابن أبي وقاص ﵁: والله، ما كان عمر بن الخطاب بأقدمنا هجرة، وقد عرفت بأي شيء فَضَلَنا، كان أزهدنا في الدنيا[8].

3 - ورعه:

ومما يدل على ورعه ﵁ ما أخرجه أبو زيد عمر بن شبة من خبر معدان بن أبي طلحة اليعمري أنه قدم على عمر ﵁ بقطائف وطعام، فأمر به فقسم، ثم قال: اللهم، إنك تعلم أني لم أرزقهم ولن أستأثر عليهم إلا أن أضع يدي في طعامهم، وقد خفت أن تجعله ناراً في بطن عمر، قال معدان: ثم لم أبرح حتى رأيته اتخذ صحفة من خالص ماله فجعلها بينه وبين جفان العامة. فأمير المؤمنين عمر ﵁ يرغب في أن يأكل مع عامة المسلمين؛ لما في ذلك من المصالح الاجتماعية، ولكنه يتحرج من أن يأكل من طعام صنع من مال المسلمين العام، فيأمر بإحضار طعام خاص له من خالص ماله، وهذا مثال رفيع في العفة والورع؛ إذ أن الأكل من

(1) الفسطاط: بيت من شعر.
(2) في الطبقات والمناقب الكساء أو النطع.
(3) النِّطع: بساط من الأديم.
(4) الطبقات لابن سعد (3/ 279) وإسناده صحيح.
(5) سأخصمك إلى نفسك: أي سأجعلك حكماً على نفسك.
(6) الزهد للإمام أحمد ص125، الطبقات (3/ 277).
(7) القاروق أمير المؤمنين د.لماضة ص11.
(8) إسناده جيد: أخرجه ابن أبي شيبة (8/ 149) في مصنفه، وابن عساكر (52/ 244).

مال المسلمين العام معهم ليس فيه شبهة تحريم؛ لأنه منهم ولكنه قد أعف نفسه من ذلك ابتغاء مما عند الله - تعالى - ولشدة خوفه من الله - تعالى - خشي أن يكون ذلك من الشبهات فحمى نفسه منه[1]، وعن عبد الرحمن بن نجيح قال: نزلت على عمر ﷺ، فكانت له ناقة يحلبها، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبناً أنكره، فقال: ويحك من أين هذا اللبن لك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن الناقة انفلت عليها ولدها فشربها، فحلبت لك ناقة من مال الله، فقال: ويحك، تسقيني ناراً؟! واستحل ذلك اللبن من بعض الناس، فقيل هو لك حلال يا أمير المؤمنين ولحمها[2]. فهذا مثل من ورع أمير المؤمنين عمر ﷺ، حيث خشي من عذاب الله - جل وعلا - لما شرب ذلك اللبن مع أنه لم يتعمد ذلك، ولم تطمئن نفسه إلا بعد أن استحل ذلك من بعض كبار الصحابة ﷺ الذين يمثلون المسلمين في ذلك الأمر، وهذا الخبر وأمثاله يدل على أن ذكر الآخرة بما فيها من حساب ونعيم أو شقاء أخذ بمجامع عمر وملأ عليه تفكيره، حتى أصبح ذلك موجهاً لسلوكه في هذه الحياة[3]، لقد كان عمر ﷺ شديد الورع، وقد بلغ به الورع فيما يحق له ولا يحق، فقد مرض يوماً، فوصفوا له العسل دواء، وكان في بيت المال عسل جاء من بعض البلاد المفتوحة، فلم يتداوَ عمر بالعسل كما نصحه الأطباء، حتى جمع الناس، وصعد المنبر واستأذن الناس: إن أذنتم لي، وإلا فهو عليَّ حرام؛ فبكى الناس إشفاقاً عليه وأذنوا له جميعاً، ومضى بعضهم يقول لبعض، لله درُّك يا عمر! لقد أتعبت الخلفاء بعدك[4].

4 - تواضعه:

عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صبَّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثياباً غير ثيابه، ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله، إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس[5]. وعن الحسن البصري قال: خرج عمر ﷺ في يوم حارّ واضعاً رداءه على رأسه، فمرَّ به غلام على حمار، فقال: يا غلام، احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا، اركب وأركب أنا خلفك، تريد تحملني على المكان

(1) التاريخ الإسلامي (19/ 37).
(2) تاريخ المدينة المنورة ص702.
(3) التاريخ الإسلامي (19/ 28).
(4) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص113، الفاروق، للشرقاوي ص275.
(5) صفة الصفوة (1/ 285).

الوطيء، وتركب أنت على الموضع الخشن، فركب خلف الغلام، فدخل المدينة، وهو خلفه والناس ينظرون إليه[1]. وعن سنان بن سلمة الهذلي قال: خرجت مع الغلمان ونحن نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه الدِّرَّة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، قال: وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته، فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا ما تلقي الريح، قال: فنظر إليه في إزاري فلم يضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين، الغلمان الآن بين يديَّ، وسيأخذون ما معي، قال: كلا، امش، قال: فجاء معي إلى أهلي[2].

وقدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس في يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجر (معمَّمٌ) بعباءة يهنأ بعيراً من إبل الصدقة (أي يطليه بالقطران) فقال: يا أحنف ضع ثيابك، وهلم، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم، والأرملة، والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال عمر: وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف؟ إنه مَن ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة، وأداء الأمانة[3]. وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوة؛ فأردت أن أكسرها[4]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب يوماً، وخرجت معه حتى دخل حائطاً، فسمعته يقول وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين، بخ، والله يا ابن الخطاب، لتتقين الله، أو ليعذبنك[5]. وعن جبير ابن نفير: أن نفراً قالوا لعمر بن الخطاب: ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، ولا أقول للحق ولا أشدَّ على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال عوف بن مالك رضي الله عنه [6]: كذبتم - والله - لقد رأينا بعد رسول الله ﷺ، فقالوا: مَن هو؟ فقال: أبو بكر، فقال عمر: صدق عوف، وكذبتم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بعير أهلي - يعني قبل أن يسلم - لأن أبا بكر أسلم قبله بست سنين[7].

وهذا يدل على تواضع عمر وتقديره للفضلاء ولا يقتصر على الأحياء منهم، ولكنه يعم

---

(1) أصحاب الرسول ﷺ، محمود المصري (1/ 157).
(2) صلاح الأمة في علو الهمة، سيد العفاني (5/ 425).
(3) أخبار عمر ص343، أصحاب الرسول ﷺ، محمود المصري (1/ 156).
(4) مدارج السالكين (2/ 330).
(5) مالك في الموطأ (2/ 992) إسناده صحيح.
(6) الأشجعي، صحابي مشهور، من مسلمة الفتح.
(7) مناقب عمر لابن الجوزي ص14، محض الصواب (2/ 586).

منهم الموتى كذلك، فلا يرضى أن ينكر فضلهم أو يغفل ذكرهم، ويظل يذكرهم بالخير في كل موقف، ويحمل الناس على احترام هذا المعنى النبيل وعدم نسيان ما قدموه من جلائل الأعمال؛ فيبقى العمل النافع متواصل الحلقات يحمله رجال من رجال إلى رجال، فلا ينسى العمل الطيب بغياب صاحبه أو وفاته، وفي هذا وفاء وفيه إيمان[1].

إن عمر ﷺ لا يقر إغفال فضل مَن سبقه في هذا المقام، ولا يرضى أن تذهب أفضال السابقين أدراج النسيان. إن الأمة التي تنسى أو تغفل ذكر مَن خدموها، أمة مقضي عليها بالتبار، أليس من الخير أن يربي الناس على هذه الخلال السامية؟ لقد تربى عمر على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فعلّماه ما تعجز عنه كتب التربية والأخلاق قديمها وحديثها، وما يزال كتاب الله بين أيدينا، وما تزال سنة رسول الله ﷺ محفوظة لدينا وفيها علم وتربية وأخلاق بما لا يقاس عليه[2].

5 - حلمه:

عن ابن عباس ﷺ قال: قدم عيينة بن حصين بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس[3]، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: إيه، أو هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل[4]، ولا تحكم فينا بالعدل؛ فغضب عمر حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله - تعالى - قال لنبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله[5]. فعندما سمع ﷺ الآية الكريمة هدأت ثائرته، وأعرض عن الرجل الذي أساء إليه في خلقه عندما اتهمه بالبخل، وفي دينه عندما اتهمه بالجور في القسم، وتلك التي يهتم لها عمر وينصب، ومَن منا يملك نفسه عند الغضب؟ وخاصة إذا كان للغضب ما يحمل عليه، كثيرون؟ لا أظن، ولا قليلون، متى نتجمل بهذه التعاليم لنكون مثلاً قرآنيًّا نتحرك وفق ما نقرأ في كتاب الله الكريم؟ متى يكون خلقنا القرآن[6]؟ وعندما خطب عمر بالجابية في الشام تحدث عن الأموال

(1) شهيد المحراب ص144.
(2) المصدر نفسه ص144، 145.
(3) الحر بن قيس الفزاري، صحابي أسلم مع وفد بني فزارة.
(4) الجزل: الجزيل العظيم، وأجزلت له العطاء: أي أكثرت.
(5) البخاري، كتاب تفسير القرآن رقم 4642.
(6) شهيد المحراب ص181.

وكيفية القسمة وعن أمور، ذكر منها . . . : وإني أعتذر إليكم عن خالد بن الوليد؛ فإني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطى ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته وأمرت أبا عبيدة بن الجراح، فقام أبو عمرو بن حفص بن المغيرة[1]، فقال: والله، ما اعتذرت يا عمر، ولقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ وأغمدت سيفاً سله رسول الله ﷺ ووضعت أمراً نصبه رسول الله ﷺ، وقطعت رحماً، وحسدت ابن العم. فقال عمر رضي الله عنه: أمراً نصبه رسول الله ﷺ، وقطعت رحماً، وحسدت ابن العم. فقال عمر رضي الله عنه: إنك قريب القرابة، حديث السن، تغضب في ابن عمك[2].

هذه بعض صفاته التي كانت ثماراً لتوحيده وإيمانه بالله واستعداده للقدوم على الله - تعالى - وقد تحدث العلماء والباحثون عن صفاته الشخصية والتي من أهمها: القوة الدينية، والشجاعة، والإيمان القوي، والعدل، والعلم، والخبرة، وسعة الاطلاع، والهيبة وقوة الشخصية، والفراسة والفطنة وبعد النظر والكرم، والقدرة الحسنة، والرحمة، والشدة والحزم، والغلظة، والتقوى والورع، وتكلموا عن سمات السلوك القيادي عند الخليفة عمر بن الخطاب والتي من أهمها: سماع النقد، والقدرة على تفعيل الناس وإيجاد العمل، والمشاركة في اتخاذ القرارات بالشورى، والقدرة على إحداث التغيير والتقلب من المواقف الطارئة، وشدة مراقبته للولاة والأمراء، وفي ثنايا البحث سوف يلاحظ القارئ الكريم هذه الصفات وأكثر ولا أريد حصرها في هذا المبحث خوفاً من التكرار.

ثانياً - حياته مع أسرته:

قال عمر رضي الله عنه: إن الناس ليؤدون إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله، وإن الإمام إذا رتع رتعت الرعية[3]؛ ولذلك كان رضي الله عنه شديداً في محاسبة نفسه وأهله، فقد كان يعلم أن الأبصار مشرئبة نحوه وطامحة إليه، وأنه لا جدوى إن قسا على نفسه ورتع أهله فحوسب عنهم في الآخرة، ولم ترحمه ألسنة الخلائق في الدنيا؛ فكان عمر إذا نهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم فإن وقعتهم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني والله لا أوتى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلا أضعفت له العذاب؛ لمكانه مني، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن شاء منكم أن يتأخر[4] وكان شديد المراقبة والمتابعة لتصرفات أولاده وأزواجه وأقاربه، وهذه بعض المواقف:

---

(1) المخزومي.
(2) محض الصواب (2/ 602).
(3) موسوعة فقه عمر بن الخطاب د. محمد قلعجي ص146.
(4) محض الصواب (3/ 893).

1 - المرافق العامة:

منع عمر رضي الله عنه أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس؛ خوفاً من أن يحابي أهله به، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: اشتريت إبلاً أنجعْتُها الحمى فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً، فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر، بخ بخ... ابن أمير المؤمنين، قال: ما هذه الإبل؟ قال: قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فيقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر، اغد إلى رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين[1].

2 - محاسبته لابنه عبد الله لما اشترى فيء جلولاء:

قال عبد الله بن عمر: شهدت جلولاء - إحدى المعارك ببلاد فارس - فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً، فلما قدمت على عمر قال: أرأيت لو عُرضتُ على النار فقيل لك: افتده، أكنت مفتدياً به؟ قلت: والله، ما من شيء يؤذي بك إلا كنت مفتدياً بك منه، قال: كأني شاهد الناس حين تبايعوا فقالوا: عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ، وابن أمير المؤمنين وأحب الناس إليه، وأنت كذلك؛ فكان أن يرخصوا عليك أحب إليهم من أن يغلوا عليك، وإني قاسم مسؤول، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش، لك ربح الدرهم درهم، قال: ثم دعا التجار فابتاعوه منه بأربعمائة ألف درهم، فدفع إلي ثمانين ألفاً، وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه[2].

3 - منع جرّ المنافع بسبب صلة القربى به:

عن أسلم قال: خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر في جيش إلى العراق، فلما قفلا مرا على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو أمير البصرة، فرحب بهما وسهل وقال: لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال: بلى، هاهنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين وأسلفكماه فتبيعان به متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة، فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح، ففعلا، وكتب إلى عمر أن يأخذ منهما المال. فلما قدما على عمر رضي الله عنه قال: أكلّ الجيش أسلف كما أسلفكما؟ فقالا: لا. فقال عمر رضي الله عنه: أديا المال وربحه، فأمّا عبد الله فسكت، وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، لو هلك المال أو نقص لضمّناه. فقال: أديا المال. فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله رضي الله عنهما. فقال رجل من جلساء

---

(1) مناقب عمر لابن الجوزي ص157، 158.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين ص270، 271.

عمر: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً «شركة»[1]. فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال. قالوا: هو أول قراض في الإسلام.

4 - تفضيل أسامة بن زيد على عبد الله بن عمر ﷺ في العطاء:

كان عمر ﷺ يقسم المال ويفضل بين الناس على السابقة والنسب، ففرض لأسامة بن زيد ﷺ أربعة آلاف، وفرض لعبد الله بن عمر ﷺ ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت، فرضت لأُسامة بن زيد أربعة آلاف، وفرضت لي ثلاثة آلاف؟ فما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لك! وما كان له من الفضل ما لم يكن لي! فقال عمر: إن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وهو كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك[2]!!

5 - أنفقت عليك شهراً:

قال عاصم بن عمر: أرسل إليّ عمر يرفأ (مولاه) فأتيته - وهو جالسٌ في المسجد، فحمد الله ﷻ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني لم أكن أرى شيئاً من هذا المال يحل لي قبل أن أليه إلا بحقه، ثم ما كان أحرم علي منه حين وليته فعاد أمانتي، وإني كنت أنفقت عليك من مال الله شهراً، فلست بزائدك عليه، وإني أعطيت ثمرك بالعالية منحة، فخذ ثمنه، ثم ائت رجلاً من تجار قومك فكن إلى جانبه، فإذا ابتاع شيئاً فاستشركه وأنفق عليك وعلى أهلك، قال: فذهبت ففعلت[3].

6 - خذه يا معيقيب فاجعله في بيت المال:

قال معيقيب: أرسل إليّ عمر ﷺ مع الظهيرة، فإذا هو في بيت يطالب ابنه عاصماً. فقال لي: أتدري ما صنع هذا؟ إنه انطلق إلى العراق فأخبرهم أنه ابن أمير المؤمنين، فانتفقهم «سألهم النفقة»، فأعطوه آنية وفضة ومتاعاً، وسيفاً محلى. فقال: عاصم: ما فعلتُ، إنما قدمت على ناس من قومي، فأعطوني هذا. فقال عمر: خذه يا معيقيب، فاجعله في بيت المال[4].

فهذا مثل من التحري في المال الذي يكتسبه الإنسان عن طريق جاهه، ومنصبه، فحيث شعر أمير المؤمنين عمر بأنّ ابنه عاصماً قد اكتسب هذا المال لكونه ابن أمير المؤمنين تحرج في إبقاء ذلك المال عنده؛ لكونه اكتسبه بغير جهده الخاص فدخل ذلك في مجال الشبهات[5].

---

(1) الخلفاء الراشدون للنجار ص244.
(2) فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص113.
(3) الطبقات (3/ 277) إسناده صحيح، محض الصواب (2/ 491).
(4) عصر الخلافة الراشدة للعمري ص236، الأثر حسن.
(5) التاريخ الإسلامي (19/ 40).

7 - عاتكة زوجة عمر والمسك:

قدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين، فقال عمر: والله، لوددت أني وجدت امرأة حسنة الوزن تَزِنُ لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل: أنا جيدة الوزن فهلمّ أزن لك، قال: لا، قالت: لِمَ؟ قال: إني أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا - وأدخل أصابعه في صدغيه - وتمسحي به عنقك، فأصيب فضلاً على المسلمين[1]. فهذا مثلٌ من ورع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه واحتياطه البالغ لأمر دينه، فقد أبى على امرأته أن تتولى قسمة ذلك الطيب؛ حتى لا تمسح عنقها منه فيكون قد أصاب شيئاً من مال المسلمين، وهذه الدقة المتناهية في ملاحظة الاحتمالات يهبها الله لأوليائه السابقين إلى الخيرات، وفرقان يفرقون به بين الحلال والحرام والحق والباطل، بينما تفوت هذه الملاحظات على الذين لم يشغلوا تفكيرهم بحماية أنفسهم من المخالفات[2].

8 - رفضه هدية لزوجته:

قال ابن عمر: أهدى أبو موسى الأشعري لامرأة عمر عاتكة بنت زيد طنفسة، أراها تكون ذراعاً وشبراً، فرآها عمر عندها، فقال: أنَّى لك هذه؟ فقالت: أهداها لي أبو موسى الأشعري، فأخذها عمر رضي الله عنه فضرب بها رأسها، حتى نفض رأسها[3]، ثم قال: علي بأبي موسى وأتعبوه فأتى به وقد أتعب، وهو يقول: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ما يحملك على أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال: خذها، فلا حاجة لنا فيها[4]، وكان رضي الله عنه يمنع أزواجه من التدخل في شؤون الدولة، فعندما كتب عمر رضي الله عنه إلى بعض عماله يعزله، فكلمته امرأته فيه فقالت: يا أمير المؤمنين، فيم وجدت عليه؟ قال: يا عدوة الله وفيم أنتِ وهذا؟ إنما أنتِ لعبة يلعب بك ثم تتركين، وفي رواية: فأقبلي على مغزلك ولا تعرضي فيما ليس من شأنك[5].

9 - هدية ملكة الروم لزوجته أم كلثوم:

ذكر الأستاذ الخضري في محاضراته، أنه لما ترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وسيَّر إليه عمر الرسل مع البريد، بعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحناش من أحناش النساء، ودسته إلى البريد فأبلغه لها فأخذ منه، وجاءت امرأة

---

(1) الزهد للإمام أحمد ص11، نقلاً عن التاريخ الإسلامي (19/ 30).
(2) التاريخ الإسلامي (19/ 30).
(3) نفض الرأس: حرّكه في ارتجاف.
(4) الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري ص260.
(5) أخبار عمر ص293، الشيخان رواية البلاذري ص188.

قيصر وجمعت نساءها وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم، وكاتبتها وأهدت لها، وفيما أهدت لها عقد فاخر، فلما انتهى به البريد إليه أمر بإمساكه ودعا الصلاة جامعة، فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين وقال: إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى من أموري. قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها بالذي لها، وليست امرأة الملك بذمَّةٍ فتصانع به ولا تحت يديك فتبقيك. وقال آخرون: قد كنا نهدي الثياب لنستثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب شيئاً، فقال: ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها؛ فأمر بردها إلى بيت المال، ورد عليها بقدر نفقتها[1].

10 - أم سليط أحق به:

عن ثعلبة بن أبي مالك أنه قال: إن عمر بن الخطاب ﷺ قسم مروطاً بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مرطٌ جيد فقال له بعض مَن عنده: يا أمير المؤمنين، أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي - فقال عمر: أم سليط أحق به، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ، قال عمر ﷺ: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد[2].

11 - غششت أباك ونصحت أقرباءك:

جيء إلى عمر ﷺ بمال، فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين، فقالت: يا أمير المؤمنين، حق أقربائك من هذا المال، قد أوصى الله ﷻ بالأقربين من هذا المال، فقال: يا بنية، حق أقربائي في مالي، وأما هذا ففي سداد المسلمين، غششت أباك ونصحت أقربائك. قومي[3].

12 - أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً؟!

قدم صهرٌ لعمر عليه فطلب أن يعطيه عمر من بيت المال فانتهره عمر وقال: أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً! فلما كان بعد ذلك أعطاه من صُلب ماله عشرة آلاف درهم[4].

هذه بعض المواقف التي تدل على ترفع عمر عن الأموال العامة ومنع أقربائه وأهله من الاستفادة من سلطانه ومكانته، ولو أن عمر أرخى العنان لنفسه أو لأهل بيته لرتعوا ولرتع من بعدهم، وكان مال الله - تعالى - حبساً على أولياء الأمور. ومن القواعد الطبيعية المؤيدة بالمشاهد أن الحاكم إذا امتدت يده إلى مال الدولة اتسع الفتق على الراتق، واختل بيت المال

(1) الخلفاء الراشدون د. عبد الوهاب النجار ص245.
(2) فتح الباري (7/ 424)، (6/ 93)، الخلافة الراشدة ص273.
(3) الزهد للإمام أحمد ص17، فرائد الكلام ص139.
(4) تاريخ الإسلام للذهبي ص271.

أو مالية الحكومة، وسرى الخلل إلى جميع فروع المصالح، وجهر المستتر بالخيانة وانحل النظام، ومن المعلوم أن الإنسان إذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس، زاهداً في حقوقهم دعاهم ذلك إلى محبته والرغبة فيه، وإذا كان حاكماً حدبوا عليه وأخلصوا في طاعته وكان أكرم عليهم من أنفسهم[1].

ومن خلال حياته مع أسرته وأقربائه يظهر لنا مَعْلَمٌ من معالم الفاروق في ممارسة منصب الخلافة، وهي القدوة الحسنة في حياته الخاصة والعامة، حتى قال في حقه علي بن أبي طالب: عففت فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعوا. وكان لالتزامه بما يدعو إليه، ومحاسبته نفسه وأهل بيته أكثر مما يحاسب به ولاته وعماله - الأثر الكبير في زيادة هيبته في النفوس وتصديق الخاصة والعامة له[2].

هذا هو عمر الخليفة الراشد الذي بلغ الذروة في القدوة رباه الإسلام، فملأ الإيمان بالله شغاف قلبه، إنه الإيمان العميق، الذي صنع منه قدوة للأجيال، ويبقى الإيمان بالله والتربية على تعاليم هذا الدين سبباً عظيماً في جعل الحاكم قدوة في أروع ما تكون القدوة من هنا إلى يوم القيامة[3].

ثالثاً - احترامه ومحبته لأهل البيت:

لا شك أن لأهل بيت النبي ﷺ منزلة رفيعة ودرجة عالية من الاحترام والتقدير عند أهل السنة والجماعة حيث يرعون حقوق آل البيت التي شرعها الله لهم، فيحبونهم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ التي قالها يوم غدير خم: «**أذكركم الله في أهل بيتي**»[4]. فهم أسعد الناس بالأخذ بهذه الوصية وتطبيقها، فيتبرؤون من طريقة الذين غلوا في بعض أهل البيت غلواً مفرطاً، وطريقة النواصب الذين يؤذونهم ويبغضونهم، فأهل السنة متفقون على وجوب محبة أهل البيت وتحريم إيذائهم أو الإساءة إليهم بقول أو فعل[5]، وهذا الفاروق رضي الله عنه يوضح لنا معتقد أهل السنة في أهل البيت من خلال تصرفاته ومواقفه معهم.

1 - معاملته لأزواج النبي ﷺ:

كان رضي الله عنه يتفقد أزواج النبي ﷺ ويجزل لهن العطاء، وكان لا يأكل طريفة ولا فاكهة إلا جعل

(1) الخلفاء الراشدون للذهبي ص271.
(2) القيادة والتغيير ص182.
(3) فن الحكم ص74.
(4) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم 2408.
(5) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص59.

منها لأزواج النبي ﷺ، وآخر مَن يبعث إليه حفصة، فإن كان نقصان كان في حقها[1]، وكان يرسل العطاء لهن، فهذه القصة وقعت مع أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: لما خرج العطاء أرسل عمر إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها بالذي لها، فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني، فقالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب، قالت: صبوه، واطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت لبرزة بنت رافع: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان، وبني فلان (من أهل رحمها وأيتامها) فقسمته حتى بقيت تحت الثوب. فقالت برزة: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق. قالت: فلكم ما تحت هذا الثوب. قالت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً. ثم رفعت يديها إلى السماء فقالت: اللهم، لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا. فماتت رضي الله عنها، فكانت أول أزواج النبي ﷺ لحوقاً به[2]، ومن صور إكرامه لأزواج النبي ﷺ ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: كان عمر بن الخطاب يرسل إلينا بأحظائنا حتى من الرؤوس والأكارع[3].

وعندما استأذن أزواج النبي ﷺ عمر في الحج، فأبى أن يأذن لهن حتى أكثرن عليه فقال: سآذن لكن بعد العام، وليس هذا من رأيي، فأرسل معهن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وأمرهما أن يسير أحدهما بين أيديهن، والآخر خلفهن، ولا يسايرهن أحد، فإذا نزلن فأنزلوهن شعباً، ثم كونا على باب الشعب لا يدخلن عليهن أحد، ثم أمرهما إذا طفن بالبيت: لا يطوف معهن أحد إلا النساء[4].

2 - علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأولاده:

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله ﷺ وإيثارهم على أبنائه، وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

- جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنه: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بُنَيّ، لو جعلت تأتينا وتغشانا؟ فجئت يوماً وهو خالٍ بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعدُ، فقال: يا بني، لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خالٍ بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجع، فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت من رؤوسنا ما ترى: الله ثم أنتم، ووضع يده على رأسه[5].

---

(1) الزهد، ص166 من طريق مالك وإسناده صحيح.
(2) خبر حسن: أخرجه ابن سعد (8/ 109)، أخبار عمر ص100.
(3) خبر صحيح، أخرجه ابن سعد (3/ 303).
(4) الإدارة في عهد بن الخطاب ص126، والفتح (4/ 87).
(5) المرتضى للندوي ص118. نقلاً عن الإصابة (1/ 133).

وروى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حُلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة ﷺ يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر مُقَطِّب بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء، كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى اليمن: أن ابعث بحلتين لحسن وحسين، وعجِّل، فبعث إليه بحلتين فكساهما[1].

وعن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعد ما فتح الله عليه، جمع ناساً من أصحاب النبي ﷺ فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله، بالأقرب من رسول الله ﷺ، ومن بني هاشم رهط رسول الله ﷺ، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب: مَن شهد بدراً مَن بني هاشم، ثم من شهد بدراً من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم، وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله ﷺ[2].

يقول العلامة شبلي النعماني في كتاب «الفاروق» حول عنوان: «رعاية الحقوق والآداب بين الآل والأصحاب»: إن عمر رضي الله عنه لم يكن يبتُّ برأي في مهمات الأمور قبل أن يستشير عليًّا رضي الله عنه، الذي كان يشير عليه بغاية من النصح ودافع من الإخلاص، ولما سافر إلى بيت المقدس استخلفه في جميع شؤون الخلافة على المدينة، وقد تمثل مدى الانسجام والتضامن بينهما حينما زوجه علي رضي الله عنه من السيدة أم كلثوم التي كانت بنت فاطمة رضي الله عنها[3]، وسمى أحد أولاده عمر، كما سمى أحدهم أبا بكر، وسمى الثالث عثمان[4]، ولا يسمي الإنسان أبناءه إلا بأحب الأسماء، وبمن يرى فيهم القدوة المثالية[5].

كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال

(1) المصدر نفسه ص118 نقلاً عن الإصابة (1/ 106).
(2) المرتضى للندوي ص119.
(3) المصدر نفسه.
(4) البداية والنهاية (7/ 331 - 332).
(5) المرتضى للندوى ص119.

الروم، وفي موضوع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[1]، وكان علي ﷺ طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر خائفاً عليه، وكان عمر يحب علياً وكانت بينهما مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أناس إلا أن يزوِّروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تناسب أمزجتهم ومشاربهم؛ ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقضَّ عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[2].

يقول الدكتور البوطي: إن من أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر ذلك التعاون المتميز الصافي، بين عمر وعلي ﷺ، فقد كان علي المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علي على عمر رأياً إلا واتجه إلى تنفيذه عن قناعة، وحسبك في ذلك قوله: لولا علي لهلك عمر، أما علي فقد كان يمحضه النصح في كل شؤونه وأحواله، وقد رأيت أن عمر استشاره في أن يذهب بنفسه على رأس جيش لقتال الفرس، فنصحه نصيحة المحب له الغيور عليه والضنين به، ألا يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجهه، أرأيت لو أن رسول الله ﷺ أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يعرض عن أمر رسول الله ﷺ هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه، بل لواجبه في الخلافة، بمثل هذا التعاون المخلص البنَّاء؟ بل أفكان للصحابة - رضوان الله عليهم كلهم - أن يضيعوا أمر رسول الله ﷺ؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا وفي مقدمتهم علي - رضوان الله عليه - على ذلك؟ ثم يقول بعد ذلك بقليل: بوسعنا أن نعلم إذن، بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد - نهاية عهد عمر ﷺ - بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة أو بشأن مَن هو أحق بها[3].

3 - الخلاف بين العباس وعلي ﷺ في فيء رسول الله ﷺ من بني النضير:

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع[4] النهار، إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر، فإذا هو جالس على رمال[5] سرير وليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت لهم برضخ، فاقبضه، فاقسمه

(1) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، محمد الحاجي ص99.
(2) المصدر نفسه ص138.
(3) فقه السيرة النبوية ص529.
(4) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.
(5) المراد: أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف، ولم يكن.

بينهم، قلت: يا أمير المؤمنين، لو أمرت به غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ، وقال: هل لك في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، يستأذنون؟ قال: نعم، فأذن لهم فدخلوا، فسلموا وجلسوا، ثم يرفأ يسيراً، ثم قال: لك في علي وعباس؟ قال: نعم، فأذن لهما، فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا. وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير، فقال الرهط - عثمان وأصحابه -: يا أمير المؤمنين، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. فقال عمر: تيدكم[1]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة**». يريد رسول الله ﷺ نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك.

فأقبل عمر على علي وعباس، فقال: أنشدكما بالله، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، ثم قرأ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6] إلى قوله: ﴿قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6]، فكانت هذه خاصة لرسول الله ﷺ ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل رسول الله ﷺ بذلك حياته، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثم قال لعلي وعباس: أنشدكما بالله، هل تعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال عمر: ثم توفى الله نبيه ﷺ فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فقبضها أبو بكر، فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ والله يعلم إنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولي أبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم إني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة، وأمركما واحد، جئتني يا عباس، تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا «يريد عليًّا» يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركناه صدقة**». فلما بدا لي أن أدفعه إليكما، قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه: لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ وما عمل أبو بكر، وما عملت فيها منذ وليتها؟ فقلتما: ادفعها إلينا، فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك؟ قال الرهط: نعم، ثم أقبل على علي وعباس فقال: أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان

(1) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أي اتَّئِدْ.

مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض إلا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي؛ فإني أكفيكماها[1].

4 - احترام عمر رضي الله عنه للعباس وابنه عبد الله رضي الله عنهم:

بيَّن الفارق رضي الله عنه للأمة عامة فضل العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ومدى احترامه وتواضعه ومعرفته لحقه، وذلك عندما استسقى به في عام الرمادة كما سيأتي بإذن الله - تعالى - بل قد أقسم عمر رضي الله عنه للعباس كما تقدم: أن إسلامه أحب إليه من إسلام أبيه لو أسلم؛ لأن إسلام العباس أحب إلى رسول الله ﷺ[2]، ومن المحبة التي كان يكنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن عم رسول الله ﷺ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه كان يدخله في مجلس كبار الصحابة من مشيخة بدر رضي الله عنهم، وقد كان لهم أبناء في سنه ولم يحظ بهذا التكريم سواه، وفي هذا بيان لفضيلته ومكانته العلمية لدى الفاروق رضي الله عنهم أجمعين. فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تدخل هذا الفتى معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمته، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذٍ إلا ليريهم مني فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر: 1، 2] حتى ختم السورة فقال بعضهم: لا ندري، أولم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن العباس، أكذلك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له إذا جاء نصر الله وفتح مكة، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان تواباً، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وأخرج البغوي[4]، في معجم الصحابة من طريق زيد بن أسلم رضي الله عنه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إني رأيت رسول الله ﷺ دعاك يوماً فمسح رأسك وقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[5]، ففعل عمر رضي الله عنه هذا؛ تقريراً لجلالة قدر ابن عباس، وبياناً لكبير منزلته في العلم والفهم، وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن عمر رضي الله عنه كان يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكان يقول إذا أقبل: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول، والقلب العقول[6]. لقد كان الحب والود متبادلاً بين عمر وبين أهل بيت رسول الله ﷺ.

---

(1) رواه البخاري، كتاب فرض الخمس رقم 3094، مسلم رقم 1757 واللفظ للبخاري.
(2) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص210.
(3) البخاري، رقم (4294).
(4) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص210.
(5) فتح الباري (1/ 170).
(6) البداية والنهاية (8/ 303).

المبحث الثالث

حياة عمر في المجتمع واهتمامه بنظام الحسبة

أولاً - حياة عمر في المجتمع:

كانت حياة عمر رضي الله عنه في المجتمع تطبيقاً حيًّا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن خلال مواقفه المتنوعة نرى الإسلام متجسداً في سيرته، وإليك بعض هذه المواقف:

1 - عمر رضي الله عنه ورعايته لنساء المجتمع:

كان عمر رضي الله عنه يهتم بنساء المسلمين وبناتهم، وعجائزهم ويعطي لهن حقوقهن، ويرفع عنهن ما يقع من الظلم عليهن، ويرعى شؤون الأسر التي غاب عنها رجالها في الجهاد، ويحرص على إيصال حقوق الأرامل إليهن، حتى قال قولته المشهورة: والله، لئن سلمني الله لا أدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى أحد بعدي أبداً[1]. وهذه بعض المشاهد التي كتبت على صفحات الزمن بأحرف من نور:

- ثكلتك أمك! عثرات عمر تتبع؟!

خرج عمر رضي الله عنه في سواد الليل، فرآه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك! عثرات عمر تتبع؟![2].

إن الاهتمام بضعفاء المجتمع من عوامل النصر، ومن القربات العظيمة التي يُتقرب بها إلى المولى عز وجل، فينبغي لقادة الحركات الإسلامية، وحكام الشعوب الإسلامية، وأئمة المساجد وأبناء المسلمين أن يعتنوا بهذا الجانب الإنساني في مجتمعاتهم ويعطوه حقه.

- هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سمٰوات:

خرج عمر رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود العبدي، فإذا امرأة برزت على ظهر الطريق، فسلم عليها عمر بن الخطاب فردت عليه السلام، وقالت: يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عُميراً في سوق عكاظ تذعر الصبيان بعصاك، فلم تذهب الأيام حتى سُميت عمراً، ولم تذهب الأيام

---

(1) صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطاب ص373.

(2) أخبار عمر ص344، محض الصواب (1/ 356) فيه ضعف لإعضاله.

حتى سُمّيت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه مَن خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومَن خاف الموت خشي الفوت، فقال الجارود: أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين، فقال عمر: دعها أما تعرف هذه؟ هذه هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سمٰوات، فعمر أحق أن يسمع لها[1]، وجاء في رواية: فوالله، لو أنها وقفت إلى الليل لما فارقتها إلا إلى الصلاة ثم أرجع إليها[2]، وجاء في رواية: هذه خولة التي أنزل الله فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1][3].

- مرحباً بنسب قريب:

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صبية صغاراً، والله ما ينضجون كُراعاً ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبُع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري[4]، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي، فوقف معها عمر ولم يمض، وقال: مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير[5]، وكان مربوطاً في الدار، فحمل عليه غرارتين[6] ملأهما طعاماً، وجعل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها؟ فقال عمر: ثكلتك أمك! والله إني رأيت أبا هذه وأخاها قد حاصراً حصناً زماناً فافتتحناه[7]، ثم أصبحنا نستفيء سُهماننا فيه[8].

وهذا دليل على وفاء الفاروق لكل مَنْ قدم للإسلام شيئاً، لو كان صغيراً... ويا له من وفاء نحن في أشد الحاجة إليه في هذا الزمان الذي يكاد ينعدم فيه الوفاء عند كثير من الناس[9]!

- خطبته لأم كلثوم بنت الصديق:

تقدم عمر بن الخطاب ﷺ إلى عائشة أم المؤمنين ﷺ يخطب إليه أختها الصغرى أم كلثوم، وحدثت عائشة أختها فردت عليها: لا حاجة لي في ذلك، فقالت لها: أترغبين عن أمير

(1) محض الصواب (3/ 777)، ضعيف لانقطاعه بين قتادة وعمر بن الخطاب.
(2) الدارمي الرد على الجهمية ص45.
(3) العلو للعلي الغفار للذهبي ص63.
(4) إمام بني غفار وخطيبهم شهد الحديبية توفي في خلافة عمر.
(5) بعير ظهير: أي قوي للظهر معد للحاجة.
(6) الغرارة: الجوالق، واحدة الغرائر.
(7) لفظ البخاري: ففتحناه.
(8) البخاري، كتاب المغازي رقم 4161.
(9) أصحاب الرسول، محمود المصري (1/ 177).

المؤمنين؟ قالت: نعم، إنه خشن العيش شديد على النساء، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته، فقال: يا أم المؤمنين، لا تراعي، أنا أكفيك هذا الأمر، ثم مضى إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني خبر أعيذك بالله منه، قال: ما هو؟ قال: خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر؟ قال: نعم، أفرغبت بي عنها، أم رغبت بها عني؟ قال: لا هذا ولا ذاك، ولكنها حَدَثَة نشأت في كنف أم المؤمنين عائشة في لين ورفق، وفيك غلظة، ونحن نهابك، وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك، فكيف بها إن خالفتك في شيء فسطوت بها؟ كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق لك، قال عمر: فكيف بعائشة وقد كلمتها؟ قال: أنا أكفيك عائشة يا أمير المؤمنين[1]، وفي رواية: أن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: يا أمير المؤمنين لو ضممت إليك امرأة؟ قال عمر: عسى أن يكون ذلك في أيّامك هذه، قال عمرو: ومن ذكر أمير المؤمنين؟ قال عمر: أم كلثوم بنت أبي بكر، قال عمرو: ما لك وللجارية تنعي إليك أباها بكرة وعشيًّا، قال عمر: أعائشة أمرتك بهذا؟ قال عمرو: نعم؛ فتركها وتزوجها طلحة بن عبيد الله[2].

من الأماني الحلوة التي تداعب خيال الفتيات، الزواج من عظيم قومها، وهنا يتقدم أمير المؤمنين خاطباً غير آمر ولا مُكْرِه، وفي تمام الحرية والتصميم ترفض الفتاة أمير المؤمنين، رفضاً مسبباً ويبلِّغ أمير المؤمنين بالرفض فيعدل، ويقلع غير حانق ولا ضائق ولا مهدد ولا متوعد؛ لأنه يعلم أن الإسلام لا يرغم الفتاة على الزواج بمن لا تريد، ولقد كان عمرو بارعاً في لباقة مدخله بتبليغ الرفض، كما كان عمر لماحاً في معرفة مصدره رغم دقة عمرو في التعبير[3]، بل إن عمر رضي الله عنه يقف بجانب الفتيات في حقهن في الموافقة على مَن يتقدم إليهن حيث يقول: لا تُكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح؛ فإنهن يحببن ما تحبون[4].

- رجل يكلم امرأة في الطريق:

بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمرّ في الطريق، فإذا هو برجل يكلم امرأة، فعلاه بالدرة فقال: يا أمير المؤمنين، إنما هي امرأتي، فقال له: فلمَ تقف مع زوجتك في الطريق تعرضان المسلمين غيبتكما؟ فقال: يا أمير المؤمنين، الآن قد دخلنا المدينة ونحن نتشاور أين ننزل، فدفع إليه الدرة وقال: اقتص مني يا عبد الله، فقال: هي لك يا أمير المؤمنين، فقال: خذ واقتصّ، فقال: بعد ثلاث: هي لله، قال: لله لك فيها[5].

(1) الفاروق عمر للشرقاوي ص210، 211.
(2) شهيد المحراب ص204.
(3) المصدر نفسه ص205.
(4) عيون الأخبار (4/ 11)، فرائد الكلام ص141.
(5) أخبار عمر ص190 نقلاً عن الرياض النضرة.

- امرأة تشتكي إلى عمر من زوجها:

جاءت امرأة إلى عمر ﷺ فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي قد كثر شره، وقل خيره، قال لها عمر: ومَن زوجك؟ قالت: أبو سلمة، قال: فعرفه عمر ﷺ فإذا رجل له صحبة، فقال لها عمر: ما نعلم من زوجك إلا خيراً، ثم قال لرجل عنده: ما تقول أنت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا نعلم إلا ذلك، فأرسل إلى زوجها وأمرها فقعدت خلف ظهره، فلم يلبث أن جاء الرجل مع زوجها، فقال له عمر: أتعرف هذه؟ قال: ومن هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه امرأتك، قال: وتقول ماذا؟ قال: تزعم أنه كثر شرُّك وقل خيرك، قال: بئسما قالت يا أمير المؤمنين، والله، إنها لأكثر نسائها كسوة، وأكثرها رفاهية بيت، ولكن بعلها بَكِيء[1]، فقال: ما تقولين؟ قالت: صدق؛ فأخذ الدرة فقام إليها فتناولها وهو يقول: يا عدوة نفسها، أفنيت شبابه، وأكلت ماله، ثم أنشأت تشنين عليه ما ليس فيه، فقالت: يا أمير المؤمنين، أقلني في هذه المرة، والله لا تراني في هذا المقعد أبداً، فدعا بأثواب ثلاثة فقال لها: اتقي الله وأحسني صحبة هذا الشيخ، ثم أقبل عليه فقال: لا يمنعك ما رأيتني صنعت بها أن تحسن صحبتها، قال: أفعل يا أمير المؤمنين، قال الراوي: كأني أنظر إليها أخذت الأثواب منطلقة، ثم إني سمعت عمر ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير أمتي القرن الذي أنا فيه، ثم الذين يلونه، ثم الذين يلونه، ثم يجيء قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، يشهدون قبل أن يستشهدوا لهم في أسواقهم لغط**»[2].

- لِمَ تطلقها؟ قال لا أحبها:

قال عمر ﷺ لرجل همّ بطلاق امرأته: لِمَ تطلقها؟ قال: لا أحبها، فقال عمر: أَوَكلُّ البيوت بنيت على الحب؟ فأين الرعاية والتذمم[3].

- رزق أولاد الخنساء:

عندما استشهد أبناء الخنساء الأربعة في القادسية وبلغ عمر ﷺ الخبر قال: أعطوا الخنساء أرزاق أولادها الأربعة، وأجروا عليها ذلك حتى تُقبَض، فلم تزل تأخذ عن كل واحد منهم مئتي درهم في كل شهر حتى قبضت[4].

- هند بنت عتبة تقترض من بيت المال وتتاجر:

كان زوجها قبل أبي سفيان حفص بن المغيرة عمّ خالد بن الوليد وكان ذلك في

---

(1) بكيء وبكيئة: الناقة والشاة إذا قل لبنها، وكأنه يعني أن زوجها لا يستطيع الجماع.

(2) اللغط: الصوت والجلبة، مجمع الزوائد (10/ 91) رجاله ثقات.

(3) البيان والتبيين (2/ 101)، فرائد الكلام ص113.

(4) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية، د. سليمان آل كمال (2/ 764).

الجاهلية، وكانت هند من أحسن نساء قريش وأعقلهن، ثم إن أبا سفيان طلقها في آخر الأمر، فاستقرضت من عمر من بيت المال أربعة آلاف درهم، فخرجت إلى بلاد كلب فاشترت وباعت، وأتت ابنها معاوية وهو أمير على الشام لعمر، فقالت: أي بني، إنه عمر وإنما يعمل لله[1].

إن المرأة في العصر الراشدي كانت لها مكانتها فقد رفع الإسلام مكانتها، فنراها شاركت في العصر الراشدي بخوض العديد من المجالات الفكرية والأدبية والتجارية: فالسيدة عائشة وأم سلمة وحبيبة بنت أمّ حبيبة، وأروى بنت كريز بن عبد شمس وأسماء بنت سلمة التميمية - برعن في الحديث والفقه والأدب والفتيا، وغيرهن أجدن قول الشعر كالخنساء وهند بنت عتبة[2]، وكان عمر رضي الله عنه يعرف للمرأة فضلها، وأنها مخلوق يحس ويشعر، وينظر ويفكر، وأنه كما كان يستشير الرجال فقد كان يستشير النساء، فقد كان يقدم الشفاء بنت عبد الله العدوية في الرأي، فماذا بقي بعد ذلك للمرأة حتى تبحث عنه في غير الإسلام إذا كان أمير المؤمنين يستشيرها في أعمال الدولة ويرضى رأيها[3]، وكان رضي الله عنه يعتبر نفسه أبا العيال، فيمشي إلى المغيبات اللواتي غاب أزواجهن فيقف على أبوابهن ويقول: ألكنّ حاجة؟ وأيتكنَّ تريد أن تشتري شيئاً ؟ فإنّي أكره أن تخدعن في البيع والشراء، فيرسلن معه بجواريهن فيدخل السوق ووراءه من جواري النساء وغلمانهنّ ما لا يحصى، فيشتري لهن حوائجهن، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده، وإذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه في منازلهن بكتب أزواجهنّ ويقول: أزواجكن في سبيل الله، وأنتن في بلاد رسول الله ﷺ، إن كان عندكنّ مَن يقرأ، وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكنَّ، ثم يقول: الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبي حتى نبعث بكتبكنّ، ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة: هذه دواة وقرطاس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكنّ، ويمرّ إلى المغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها إلى أزواجهنّ[4].

2 - حفظ سوابق الخير للرعية:

كان رضي الله عنه يحفظ سوابق الخير للمسلمين، وكان لديه ميزان دقيق في تقييم الرجال، فقد قال رضي الله عنه: لا يعجبنكم طنطنة الرجل ولكن مَن أدّى الأمانة وكف عن أعراض الناس، فهو الرجل[5]. وكان رضي الله عنه يقول: لا تنظروا إلى صلاة امرىء، ولا صيامه، ولكن انظروا إلى عقله

(1) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص298، 299.
(2) تطور تاريخ العرب السياسي والحضاري، د. فاطمة الشامي ص175.
(3) شهيد المحراب ص205.
(4) أخبار عمر ص339، سراج الملوك ص109.
(5) فقه الائتلاف، محمود محمد الخزندار ص164.

وصدقه، ويقول: إني لا أخاف عليكم أحد رجلين: مؤمناً قد تبين إيمانه، وكافراً قد تبين كفره، ولكني أخاف عليكم منافقاً يتعوذ بالإيمان، ويعمل لغيره. وسأل عمر عن رجل شهد عنده بشهادة، وأراد أن يعرف هل له مَن يزكّيه فقال له الرجل: إني أشهد له وأزكيه يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أأنت جاره في مسكنه؟ قال: لا، قال: أعاشرته يوماً فعرفت حقيقة أمره؟ قال: لا، قال: أسافرت يوماً معه؛ فإن السفر والاغتراب محك للرجال؟ قال: لا، قال عمر: لعلك رأيته في المسجد قائماً قاعداً يصلي؟ قال: نعم، قال: اذهب فأنت لا تعرفه[1].

وقد حظي مجموعة من المسلمين بالثناء والتقدير من عمر ﷺ بفضل توفيق الله لهم للأعمال المجيدة لخدمة الإسلام وهذه بعض المواقف الدالة على ذلك:

- آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا:

عن عدي بن حاتم قال: أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي، فجعل يفرض للرجل من طَيِّىء في ألفين ويعرض عني، قال: فاستقبلته فأعرض عني، ثم أتيته في حيال وجهه فأعرض عني، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتعرفني؟ فضحك حتى استلقى على قفاه، ثم قال: نعم، والله إني لأعرفك، آمنت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طَيِّىء، جئت بها إلى رسول الله ﷺ[2] ثم أخذ يعتذر، ثم قال: إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة، وهم سادة عشائرهم؛ لما ينوبهم من الحقوق[3].

وجاء في رواية: فقال عدي: فلا أبالي إذن[4].

- حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ:

أسرت الروم الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي، فجاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تنصَّر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، فقال: إذن أقتلك، فقال: أنت وذاك، فأمر به فصُلب وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر - وفي رواية ببقرة من نحاس - فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يلقى

(1) عمر بن الخطاب، صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله ص66.
(2) مسند أحمد رقم 316.
(3) مسلم رقم 2523.
(4) الخلافة الراشدة د.يحيى اليحيى ص297، فتح الباري (7/ 706).

فيه؛ فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى؛ فطمع فيه ودعاه، فقال: إني إنما بكيت؛ لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله؛ فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله.

وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي ولم أكن لأشمتك بي، فقال له الملك: فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه؛ فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه رضي الله عنه [1].

- أفيكم أويس بن عامر؟

كان عمر بن الخطاب، إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مُراد ثم من قَرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرئت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: ألك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه، إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**»، فاستغفِرْ لي، فاستغفر له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: آتي الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبرات[2] الناس أحب إليَّ، قال: فلما كان من العام المقبل، رجع رجل من أشرافهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، فقال: «تركته رثَّ الهيئة[3]، قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرّ، لو أقسم على الله لأبرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**»، فأتى أويساً فقال: استغفِرْ لي، قال: أنت أحدثُ عهداً بسفر صالح، فاستغفر لي، قال: استغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، قال: فاستغفر له، قال: ففطن له الناس، فانطلق على وجهه[4].

(1) تفسير ابن كثير (2/ 610).
(2) أراد أن يبقى مع البقية المتأخرين لا المتقدمين المشهورين.
(3) لفظ مسلم: رث البيت.
(4) مسلم، كتاب فضائل الصحابة رقم 2542.

- عمر ﷺ ومجاهد بار بأمه:

أقبل قوم غزاة من الشام يريدون اليمن، وكانت لعمر جفنات يضعها إذا صلى الغداة، فجاء رجل منهم فجلس يأكل، فجعل يتناول بشماله، فقال له عمر: - وكان يتعهد الناس عند طعامهم - كل بيمينك، فلم يجبه، فأعاد عليه، فقال: هي يا أمير المؤمنين مشغولة، فلما فرغ من طعامه دعا به فقال: ما شغل يدك اليمنى؟ فأخرجها، فإذا هي مقطوعة، فقال: ما هذا؟ فقال: أصيبت يدي يوم اليرموك، قال: فمن يوضئك؟ قال أتوضأ بشمالي، ويعين الله، قال: فأين تريد؟ قال: اليمن، إلى أم لي لم أرها منذ كذا وكذا سنة، قال: أوَ برٌّ أيضاً، فأمر له بخادم وخمسة أباعر من إبل الصدقة وأوقرها له[1].

- رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت في وجهه:

بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر ﷺ إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة، فسأله فأخبره: أنه أصابته في غزاة كان فيها، فقال: عُدّوا له ألفاً، فأعطي ألف درهم، ثم قال: عدّوا له ألفاً، فأعطي الرجل ألفاً أخرى، قال له ذلك أربع مرات كل ذلك يعطيه ألف درهم؛ فاستحيا الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج، فسأل عنه، فقيل له: رأينا أنه استحيا من كثرة ما أعطي فخرج، فقال: أما والله، لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي منها درهم، رجل يضرب ضربة في سبيل الله حفرت في وجهه[2].

- أمنية عمرية:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال لأصحابه: تمنّوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله وأتصدق به، وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجداً وجواهراً فأنفقه في سبيل الله، وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، فقال: أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان[3]، فأستعملهم في طاعة الله[4]. وهؤلاء من إخوانه في الله، وقد وصف عمر ﷺ إخوان الصدق بقوله: عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقليك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا مَن يخشى الله، ولا

(1) الشيخان أبو بكر وعمر ﷺ من رواية البلاذري ص174، 175.
(2) مناقب عمر لابن الجوزي ص74 وإسناده ضعيف لانقطاعه، محض الصواب (1/ 368).
(3) الحاكم في المستدرك (3/ 266) وصححه الذهبي، أصحاب الرسول ﷺ (1/ 174).
(4) تهذيب الكمال للمزي (5/ 505)، حذيفة بن اليمان، إبراهيم محمد العلي ص62.

تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك مَن يخشى الله تعالى[1].

وكان عمر رضي الله عنه يذكر الأخ من إخوانه في الليل فيقول: يا طولها من ليلة، فإذا صلى الغداة غدا إليه، فإذا لقيه التزمه أو اعتنقه[2]، وكان يقول: لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جنبي في التراب لله، أو أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما تلتقط الثمرة، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله[3].

- العمل عنده هو معيار التفاضل بين الناس:

كان العمل عند الفاروق رضي الله عنه هو معيار التفاضل بين البشر، فعندما حضر إليه جمع من سادات قريش على رأسهم سهيل بن عمرو بن الحارث، وأبو سفيان بن حرب، وبعض عبيد قريش السابقين: صهيب وبلال، أذن في لقائه للموالي الفقراء قبل أن يأذن للسادة من قريش وأشرافها؛ فغضب السادة لذلك، فقال: أبو سفيان لبعض أصحابه: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه؟ فقال سهيل: أيها القوم، إني والله أرى الذي في وجوهكم... إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم - إلى الإسلام - ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟![4]

- عمر رضي الله عنه يشهد للجنازة:

عن أبي الأسود، أنه قال: أتيت المدينة فوافيتها[5]، وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً، فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمرت به جنازة فأُثنِيَ على صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبت، ثم مُرّ بأخرى فأثني على صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبت، ثم مُرّ بالثالثة فأثني عليها شرًّا، فقال عمر رضي الله عنه: وجبت، فقال أبو الأسود: ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال رسول الله ﷺ: «**أيّما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة**»، قال: فقلنا: وثلاثة؟ قال: فقال: «**وثلاثة**»، قال: قلنا: واثنان؟ قال: «**واثنان**»، قال: ثم لم نسأله عن الواحد[6].

---

(1) مختصر منهاج القاصدين ص100، فرائد الكلام ص139.
(2) أخبار عمر ص321.
(3) الشيخان من رواية البلاذري ص225.
(4) مناقب عمر ص129، فن الحكم ص 367.
(5) في رواية: فوافقتها.
(6) البخاري رقم 2643، مسند أحمد رقم 139 الموسوعة الحديثية.

- **عمر رضي الله عنه وعطاء حكيم بن حزام رضي الله عنهما:**

عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال لي: «**يا حكيم، إن هذا المال خضِرٌ حلوٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى**»، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لا أرزأ[1] أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه؛ فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال عمر رضي الله عنه: يا معشر المسلمين، إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يَرْزَأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ[2] حتى توفي رحمه الله.

- **عمر يقبل رأس علي رضي الله عنهما:**

شكا رجل عليًّا إلى عمر رضي الله عنهما فلما جلس عمر لينظر في الدعوى قال عمر لعلي: ساو خصمك يا أبا الحسن؛ فتغير وجه علي، وقضى عمر في الدعوى، ثم قال لعلي: أغضبت يا أبا الحسن؛ لأني سويت بينك وبين خصمك؟ فقال علي: بل لأنك لم تسو بيني وبين خصمي يا أمير المؤمنين، إذ كرمتني فناديتني: يا أبا الحسن، بكنيتي، ولم تناد خصمي بكنيته؛ فقبل عمر رأس عليّ، وقال: لا أبقاني الله بأرض ليس فيها أبو الحسن[3].

- **جرير البجلي ينصح عمر رضي الله عنه:**

عن عاصم بن بهدلة عن رجل من أصحاب عمر، قال: كنا عند عمر بن الخطاب، فخرجْت من رجل ريح، وحضرت الصلاة، فقال عمر: عزمت على مَن كانت هذه الريح منه إلا قام فتوضأ، فقال جرير بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، اعزم علينا جميعاً أن نقوم فنتوضأ؛ فهو أستر، ففعل[4].

- **رجل من الموالي يخطب من قريش:**

شجع عمر رضي الله عنه التزاوج بين القبائل، كوسيلة للتأليف بينها، حتى إن رجلاً من الموالي خطب إلى رجل من قريش أخته، فرفض القرشي، فتدخل عمر لديه قائلاً: ما يمنعك أن تزوجه؟ فإن له صلاحاً، وقد جاءك بخير الدنيا (المال) وخير الآخرة (التقوى)، زوج الرجل إن رضيت أختك، فزوجه إياها[5].

---

(1) ما رزأ فلاناً شيئاً: أي ما أصاب من ماله شيئاً ولا نقص منه.

(2) البخاري رقم 1472، 2750، 3143، 6441، مسلم رقم 1035.

(3) عمر بن الخطاب، صالح عبد الرحمن ص79.

(4) الشيخان من رواية البلاذري ص219.

(5) المرتضى للندوي ص106.

3 - مهابته في وسط المجتمع وحرصه على قضاء حوائج الناس:

- مهابته في وسط المجتمع:

كان لعمر رضي الله عنه هيمنة على النفوس والقلوب، ومهابة تكبح من جماح النفوس وتضبط من نزواتها، وأصح دليل على ذلك: عزله لخالد بن الوليد رضي الله عنه وهو في أوج شهرته، وقد اقترنت به تجارب الانتصار في كل حرب، وأحاطت به هالات الإكبار والإعجاب، وقد أنفذ أمر عزله يوم كان الناس في أشد حاجة إليه، ووصل أمر العزل والناس مصافُّون جيوش الروم يوم اليرموك، وأمّر على الجيوش أبا عبيدة، فقال خالد: سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين، ولما نبَّه أحد الجنود على وقوع الفتنة بهذا التغيير، قال خالد: لا مجال لفتنة ما دام عمر[1].

وهذا إن دل على خضوع خالد - وهو القائد المنصور المُحَبَّب - لأمر الخليفة وتنازله عن القيادة في تواضع وإيثار قلّما يوجد له نظير في تاريخ القيادات العسكرية والإمارات الحربية، فهو يدل كذلك على سطوة سيدنا عمر وامتلاكه لزمام الأمور[2]، فقد كانت له مهابة عظيمة في قلوب الناس، فعن الحسن البصري رحمه الله قال: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن امرأة يتحدث عنها الرجال فأرسل إليها، قال: وكان عمر رجلاً مهيباً، فلما جاءها الرسول، قالت: يا ويلها، ما لها ولعمر، فخرجت فضربها المخاض فمرت بنسوة فعرفن الذي بها، فقدمت بغلام فصاح صيحة ثم طفا[3]، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فجمع المهاجرين والأنصار واستشارهم، وفي آخر القوم رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنما كنت مؤدباً وإنما أنت راعٍ، قال: ما تقول يا فلان؟ قال: أقول إن كان القوم تابعوك على هواك فوالله ما نصحوا لك، وإن يك اجتهادهم أراهم والله لقد أخطأ رأيهم يا أمير المؤمنين، قال: فعزمت عليك لما قمت فقسمتها على قومك[4]، فقيل للحسن: مَن الرجل؟ قال: علي بن أبي طالب[5]. واجتمع علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد رضي الله عنهم.

وكان أجرأهم على عمر عبد الرحمن بن عوف، فقالوا: يا عبد الرحمٰن، لو كلمت أمير المؤمنين للناس؛ فإنه يأتي طالب الحاجة، فتمنعه هيبته أن يكلمه حتى يرجع ولم يقض حاجته، فدخل عليه فكلمه في ذلك، فقال: يا عبد الرحمن، أنشدك الله، أعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد، أو بعضهم أمرك بهذا؟ قال: اللهم نعم، فقال: يا عبد الرحمن، والله،

(1) المرتضى للندوي ص107.
(2) المصدر نفسه.
(3) طفا فلان: مات.
(4) يقصد الدية، والله أعلم.
(5) مناقب عمر ص135، مراسيل الحسن، محض الصواب (1/ 273).

لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خفت الله في الشدة، فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي ويجر إزاره ويقول بيده: أف لهم بعدك، أفٌ لهم بعدك[1].

وعن عمر بن مرة[2]، قال: لقي رجل من قريش عمر فقال: لِنْ لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة، قال: أفي ذلك ظلم؟ قال: لا، قال: فزادني الله في صدوركم مهابة[3]. وحدّث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر رضي الله عنه عن آية، فلا أستطيع أن أسأله هيبة[4]. وعن عكرمة مولى ابن عباس: أن حجّاماً كان يقص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان رجلاً مهيباً، فتنحنح عمر؛ فأحدث الحجّام، فأمر له عمر بأربعين درهماً[5]. وكان عندما يرى شدة هيبته في نفوس الناس يقول: اللهم، تعلم أني منك أشد فرقاً منهم مني[6].

- حرصه على قضاء حوائج الناس:

قال ابن عباس: كان عمر رضي الله عنه كلما صلى صلاة جلس للناس، فمن كانت له حاجة نظر فيها، فصلى صلوات لم يجلس بعدها، فأتيت الباب، فقلت: يا يرفأ، أبأمير المؤمنين علة من شكو[7]؟ قال: لا، فبينما أنا كذلك إذ جاء عثمان، فدخل يرفأ، ثم خرج علينا فقال: قم يا ابن عفان، قم يا ابن عباس، فدخلنا على عمر وبين يديه صُبَر[8] من مال، فقال: إني نظرت فلم أجد بالمدينة أكثر عشيرة منكما، فخذا هذا المال فاقسماه بين الناس، وإن فضل فضلٌ فردّاه، قال: فجثوت لركبتي فقلت: وإن كان نقصان رددت علينا؟ فقال: شنشنة أعرفها من أخزم[9]، أين كان هذا ومحمد ﷺ وأصحابه يأكلون القِدّ؟ قلت: لو فتح الله لصنع غير الذي تصنع، قال: وما كان يصنع؟ قلت: إذن لأكل، وأطعمنا، قال: فَنَشِجَ حتى اختلفت أضلاعه وقال: لوددت أني خرجت من الأمر كفافاً لا عليّ ولا لي[10]. وعن سعيد بن المسيب، قال: أصيب بعير من الفيء، فنحره عمر رضي الله عنه، وأرسل منه إلى أزواج النبي ﷺ، وصنع ما بقي، فدعا إليه جماعة من المسلمين، وفيهم العباس بن عبد المطلب، فقال العباس: يا أمير

(1) الشيخان من رواية البلاذري ص220.
(2) الشني: بصري، مقبول، من الرابعة، التقريب ص417.
(3) مناقب عمر لابن الجوزي ص135، محض الصواب (1/ 273).
(4) مسلم، كتاب الطلاق رقم 1479.
(5) الطبقات لابن سعد (3/ 287) منقطع، مناقب عمر ص134.
(6) مناقب عمر لابن الجوزي ص134، منقطع.
(7) شكا شكواً وشكوة وشكاية.
(8) صُبر المال: أكوام المال.
(9) الشيخان في رواية البلاذري ص221.
(10) المصدر نفسه.

المؤمنين، لو صنعت لنا كل يوم مثل هذا فأكلنا عندك وتحدثنا، فقال عمر: لا أعود لمثلها، إنه مضى صاحباي وقد عملا عملاً، وسلكا طريقاً، وإني إن عملت بغير عملهما سُلك بي غير طريقهما[1].

وعن أسلم مولى عمر: استعمل عمر مولى له على الحِمَى فقال: يا هُنَيُّ، اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم؛ فإنها مستجابة، وأدخل ربَّ الصُّريمة والغنيمة، وإياي ونَعم ابن عوف ونعم ابن عفان؛ فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى زرع ونخل، وإن ربّ الصُّرَيمة والغُنيمة إن تهلك ماشيتهما، يأتيني ببنيه فيقول: يا أمير المؤمنين، أفتاركهم أنا؟ لا أبا لك، فالماء والكلأ أيسر عليّ من الذهب والفضة، وايم الله، إنهم ليرون أني ظلمتهم، إنها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام، والذي نفسي بيده، لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم بلادهم شبراً[2]. وعن موسى بن أنس بن مالك: أن سيرين - والد محمد بن سيرين - سأل أنساً المكاتبة، وكان كثير المال فأبى، فانطلق إلى عمر، فقال: كاتِبْهُ، فأبى؛ فضربه بالدرة وهو يتلو: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[النور: 33]، فكاتبه[3]. وفي القصة الأخيرة نرى عبداً يطلب حريته، وسيداً يأبى، وحاكماً ينصف، وينفذ رأي العبد، ويترك رأي السيّد، أين تجد هذا في التاريخ على طوله وعرضه؟![4].

4 - تربيته لبعض زعماء المجتمع:

لم يسمح عمر رضي الله عنه في خلافته للأعيان أن يتسلطوا على أبناء المجتمع أو يتطاولوا عليهم أو يشعروا بنوع من الرفعة على الناس، وإليك بعض هذه المواقف:

- **أبو سفيان رضي الله عنه وداره بمكة:**

قدم عمر مكة فأقبل أهل مكة يسعون، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن أبا سفيان ابتنى داراً، فحبس عنا مسيل الماء ليهدم منازلنا، فأقبل عمر ومعه الدّرة، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجاراً فقال: ارفع هذا، فرفعه، ثم قال: وهذا وهذا... حتى رفع أحجاراً كثيرة خمسة أو ستة، ثم استقبل عمر الكعبة، فقال: الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة فيطيعه[5].

---

(1) الطبقات الكبرى (3/ 288)، الشيخان من البلاذري ص222.
(2) تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين، ص272.
(3) محض الصواب (3/ 975).
(4) شهيد المحراب ص222.
(5) أخبار عمر ص321، مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص128.

- عيينة بن حصن ومالك بن أبي زفر:

زار عيينة بن حصن عمر ﷺ وعنده مالك بن أبي زفر من فقراء المسلمين، فتطاول عليه قائلاً: أصبح الضعيف قويًّا، والدَّنِيُّ مرتفعاً، فقال مالك: أيفخر علينا هذا بأعظُم حائلة، وأرواح في النار؛ فغضب عمر لما اعترض عيينة على هذا القصاص، وقال له: كنْ ذليلاً في الإسلام، فوالله لا أرضى عنك حتى يشفع لك مالك، ولم يجد عيينة بدًّا من أن يستشفع بمالك لدى عمر[1].

- الجارود، وأبيّ بن كعب ﷺ:

أقبل الجارود على عمر ﷺ، فقال رجل: هذا سيد ربيعة؛ فاعتلاه عمر بالدرة، وقال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء. وفعل عمر ذات الصنيع مع أبيّ بن كعب، لما رأى الناس قد اجتمعت عليه تسأله بعد خروجه من المسجد، وقال: إن هذا الذي تصنع فتنة للمتبوع، مذلة للتابع[2].

5 - إنكاره لبعض التصرفات في المجتمع:

كانت حياة الفاروق ﷺ على وفق شرع الله - تعالى - الحكيم، ولذلك كان لا يرضى عن أي سلوك منحرف، أو تصرف يتولد عنه مفاسد للمجتمع الإسلامي، وهذه بعض المواقف التي وجّه فيها الفاروق بعض المخطئين إلى الصواب:

- مجزرة الزبير بن العوام ﷺ:

كان عمر ﷺ يأتي إلى مجزرة الزبير بن العوام، وكانت الوحيدة بالمدينة، ومعه الدرة، فإذا رأى رجلاً اشترى لحماً يومين متتابعين ضربه بالدرة، وقال له: ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك[3].

- الآن سل ما بدا لك:

رأى عمر ﷺ سائلاً يسأل، وعلى ظهره جراب مملوء طعاماً، فأخذ الطعام ونثره لإبل الصدقة، ثم قال له: الآن سل ما بدا لك[4].

- دع هذه المشية:

أقبل رجل مرخياً يديه طارحاً رجليه، يتبختر، فقال له عمر ﷺ: دع هذه المشية، فقال:

---

(1) تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (2/ 690)، الدور السياسي للصفوة ص191.
(2) المصدر نفسه (2/ 690)، الدور السياسي للصفوة ص191.
(3) الدور السياسي للصفوة ص231 نقلاً عن مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي.
(4) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص101.

ما أطيق، فجلده ثم تبختر، فجلده فترك التبختر فقال عمر: إذا لم أجلد في مثل هذا ففيم أجلد؟! فجاءه الرجل بعد ذلك فقال: جزاك الله خيراً، إن كان إلا شيطاناً أذهبه الله بك[1].

- **لا تمت علينا ديننا:**

نظر عمر رضي الله عنه إلى رجل مظهر للنسك متماوت، فخفقه بالدرة، وقال: لا تُمت علينا ديننا، أماتك الله[2]. وعن الشفاء بنت عبد الله وقد رأت فتياناً يقصدون في المشي، ويتكلمون رويداً، فقالت: ما هؤلاء؟ قالوا: نُسّاك، فقالت: كان والله عمر بن الخطاب إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله الناسك حقًّا[3].

- **اهتمامه بصحة الرعية:**

اهتم الخليفة عمر رضي الله عنه بصحة الرعية، فكان يحذرهم من مغبة السمنة ومخاطرها، ويدعوهم إلى تخفيف أوزانهم؛ لما فيه من القوة على العمل والقدرة على أداء الواجبات، فكان يقول: أيها الناس، إياكم والبطنة عن الطعام؛ فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم، مورثة للسقم، وإن الله عز وجل يبغض الحبر السمين، ولكن عليكم بالقصد في قوْتكم؛ فإنه أدنى من الصلاح وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله عز وجل ولن يهلك عبد، حتى يؤثر شهوته على دينه[4]. ويذكر ابن الجوزي: أن عمر رضي الله عنه رأى رجلاً عظيم البطن، فقال: ما هذه؟ قال: بركة من الله، فقال: بل عذاب من الله[5].

وأما اهتمامه بالصحة العامة للمواطنين، فإنه كان ينهى مَن به مرض معد منهم أن يختلط بهم؛ لمنع انتشار المرض، وكان ينصح المريض بالبقاء في بيته حتى يتماثل إلى الشفاء، فيروى أنه رضي الله عنه مر بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال لها: يا أمة الله، لو قعدت في بيتك لا تؤذينَّ الناس، فقعدت، فمر بها رجل بعد ذلك فقال: إن الذي نهاك قد مات فاخرجي، فقالت: والله، ما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتاً[6]. كما كان يؤكد على الرياضة والفروسية وركوب الخيل، وكان يقول: علِّموا أولادكم العوم، والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً، ورووهم ما جَمُل من الشعر[7].

---

(1) أخبار عمر ص175.
(2) المصدر نفسه ص190.
(3) الشيخان من رواية البلاذري ص226.
(4) الخليفة الفاروق د.عبد الرحمن العاني ص124.
(5) مناقب عمر أمير المؤمنين ص200.
(6) الخليفة الفاروق ص124 نقلاً عن الرياض النضرة.
(7) المصدر نفسه 125.

- نصيحة عمرية لمن وقع في شرب الخمر:

تفقد عمر ﷺ رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام، فقيل له: إنه تتابع في الشرب، فقال لكاتبه: اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك، وأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر: 1 - 3] ثم ختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً، ثم أمر مَن معه بالدعاء له بالتوبة، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني ربي أن يغفر لي، وحذرني عقابه، فلم يزل يرددها حتى بكى، ثم نزع فأحسن النزع، وحسنت توبته، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أحدكم زل فسددوه وادعوا له، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه[1].

وفي هذا الموقف تظهر عبقرية عمر في تربية النفوس ومعرفته بطبائع البشر، ووسائل التقويم، فما ينفع شخصاً قد يضر غيره، فهذا درس من دروس التربية الناجحة، وأسلوب رقيق في التوجيه، أمير المؤمنين - على ضخامة مسؤولياته ومشاغله - يغيب عن مجلسه واحد من رواده فلا يفوته هذا الغياب، ولكن يسأل ليعالج فيصلح، واليوم يغيب الأخ عن أخيه، فلا يشعر أحدهما بغياب الآخر، وإن شعر فلا يسأل عن سبب الغياب وإذا تحرى السؤال، فلا يسعى وراء علاج إن كان في الأمر ما يستدعي العلاج، إن هذا التفلت معول من معاول هدم الأخوة الإسلامية، وما هذا بحال مسلمين يعرفون أنهم إخوة، فهل من التفاتة؟! لعل وعسى[2].

- رأي عمر في المجالس الخاصة:

كان عمر ﷺ يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوي إليها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم، وكان يكره اختصاص الناس بمجالس؛ لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة تنتهي بأحزاب متعادية[3]، روى ابن عباس أن عمر قال لناس من قريش: بلغني أنكم تتخذون مجالس، لا يجلس اثنان معاً حتى يقال: من صحابة فلان، من جلساء فلان، حتى تُحُومِيت المجالس، وايم الله، إن هذا لسريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في ذات بينكم، ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول: هذا رأي فلان قد قسموا الإسلام أقساماً، أفيضوا مجالسكم بينكم، وتجالسوا معاً؛ فإنه أدوم لألفتكم، وأهيب لكم في الناس[4]. وفي

(1) تفسير القرطبي (15/ 256).
(2) شهيد المحراب ص208.
(3) الخلفاء الراشدون حسن أيوب ص115.
(4) فرائد الكلام ص116، تاريخ الطبري (3/ 281).

الحق: إن ابتعاد الخاصة عن عامة الناس، واختصاصهم بأفراد يجلسون إليهم - مضيع كثيراً لما ينتظر من تربية الخاصة للعامة، واجتماعهم مفيد فائدة كبرى وهي نقل أقوالهم غير محرفة ولا مشوبة بما يطمس حقيقتها، ثم إن كثرة المجالس تدعو بدون ريب إلى كثرة الاختلاف في المسائل التي تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة في الدين، وهذا هو الذي خافه عمر رضي الله عنه على الناس وعلى مَن يأتي[1].

ثانياً - اهتمامه بالحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

أخبر المولى عز وجل عن أصحاب نبيه الكريم ﷺ الذين أخرجوا من ديارهم أنهم عند تمكين الله لهم في الأرض سيقومون بأربعة أمور: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[2] [الحج: 40، 41].

يقول الإمام أبو بكر الجصاص في تفسيره: وهذه صفة المهاجرين؛ لأنهم هم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، فأخبر - تعالى - أنه إن مكنهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وهي صفة الخلفاء الراشدين الذين مكنهم الله في الأرض، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم[3].

وقد شهد التاريخ وثبت بالتواتر أن الفاروق رضي الله عنه قام بتلك الأمور خير قيام[4]، واهتم رضي الله عنه بحماية وتطوير مؤسسات الدولة كالمالية، والقضائية، والعسكرية، والمتعلّقة بالولاة، واجتهد رضي الله عنه في حمل الناس على امتثال أوامر الله - تعالى - وأوامر نبيه محمد ﷺ وعمل على حمل الناس على اجتناب ما نهى الله عنه ونهى عنه نبيه ﷺ من خلال منصبه كخليفة للمسلمين، ومن خلال الولايات الإسلامية المنتشرة في الدولة الإسلامية، قال ابن تيمية رحمه الله: وجميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

---

(1) الخلفاء الراشدون، حسن أيوب ص115.
(2) الصوامع للرهبان، والصلوات: كنائس اليهود.
(3) أحكام القرآن (3/ 246).
(4) الحسبة في العصر الراشدي، د. فضل إلهي ص15.
(5) الحسبة في الإسلام ص6، السلطة التنفيذية (1/ 309).

وقد قام الفاروق رضي الله عنه، بحماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ، وإقامة العبادات في المجتمع الإسلامي، وحارب المنكر، وشجع على المعروف.

1 - حماية جانب التوحيد ومحاربة الزيغ والبدع:

لما كان من مقاصد قيام الدولة الإسلامية حراسة الدين، فإن من أهم ما قام به الفاروق القيام بهذا المقصد وهو حفظ أصل الدين بحمل الناس على العقيدة الصحيحة الصافية التي تركهم عليها رسول الله ﷺ، وحارب شبهات الزائغين ورد كيد أعداء الدين الذين يروجون للعقائد المنحرفة والخرافات المنكرة التي زينها لهم الشيطان، فظنوا أنهم يحسنون صنعاً، وإليك بعض المواقف التي تشهد للفاروق في حمايته لجانب التوحيد ومحاربته للزيغ:

- عروس النيل:

أرسل عمرو بن العاص إلى الفاروق رضي الله عنه يخبره عن عادة أهل مصر في رمي فتاة في النيل كل عام، وقالوا له: أيها الأمير، لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحُلِيِّ والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا فترة والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجلاء؛ فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك فنسأل الله - تعالى - أن يجريك، قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع الله هذه السُّنة السيئة عن أهل مصر إلى اليوم[1].

فقد بيَّن الفاروق معاني التوحيد في البطاقة وأن النيل إنما يجري بمشيئة الله وقدرته - سبحانه وتعالى - وكشف للناس زيف معتقدهم الفاسد الذي تغلغل في النفوس، وكان بتصرفه الحكيم قد نسف هذا المعتقد من نفوس المصريين[2].

- إنك حجر لا تنفع ولا تضر:

عن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله فقال: إني أعلم أنك

---

(1) البداية والنهاية (7/ 102 - 103) قال علي طنطاوي: نشرناها لشهرتها لا لصحتها.

(2) فن الحكم، ص347.

حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبيﷺ يقبلك ما قبلتك[1] . إنه الاتباع في أحسن صوره، وأجمل معانيه[2] ، قال ابن حجر: قال الطبري: إنما قال ذلك عمر؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي أن يظن الجهَّال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار، كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فأراد عمر أن يعلم أن استلامه اتباع لفعل النبيﷺ .

ثم قال ابن حجر رحمه الله : وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين، وحسن الاتباع، فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبيﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه[3] .

وهذا الخلق - وهو اتباع السنة والحرص عليها - من أخلاق النصر في جيل الصحابة رضي الله عنهم ، فقد علموا بأنه لا بد من اتباع السُّنة؛ كي يَحْبُوهم الله بالنصر والتأييد[4] .

- قطع شجرة الرضوان:

أخرج ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع: أن عمر بلغه أن قوماً يأتون الشجرة - شجرة الرضوان - فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقُطعت[5] .

فهذا موقف لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في حماية التوحيد، والقضاء على موارد الفتن، حيث قام أولئك التابعون بعمل لم يعمله الصحابة رضي الله عنهم ؛ فهو أمر مبتدع، وقد يؤدي بعد ذلك إلى عبادة، وأمر بها فقُطعت[6] .

- قبر دانيال:

لما ظهر قبر دانيال بتُسْتَر كتب فيه أبو موسى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إليه عمر: إذا كان بالنهار فاحفر ثلاثة عشر قبراً، ثم ادفنه بالليل في واحد منها، وعفِّر قبره؛ لئلا يفتتن به الناس[7] .

- أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟

ثبت بالإسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في السفر فرأى قوماً ينتابون

---

(1) البخاري رقم 1597.
(2) أصحاب الرسول (1/ 161).
(3) فتح الباري (3/ 590، 591).
(4) من أخلاق النصر في جيل الصحابة ص23.
(5) التاريخ الإسلامي (19، 20/ 260)، طبقات ابن سعد (2/ 100).
(6) المصدر نفسه (19، 20/ 260).
(7) الفتاوى (15/ 90).

مكاناً يصلون، فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلى فيه رسول الله ﷺ، فقال: إنما هلك مَن كان قبلكم بهذا، إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد، مَن أدركته الصلاة فليصل وإلا فليمض[1].

- فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع:

إن عزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش في الشام لم يكن له أي سبب غير المصلحة العامة للأمة؛ فقد خشي الفاروق من تعلق الناس بخالد، فيعتقدون أن النصر معلق ببركة خالد وحنكته الحربية، فيتكلمون على ذلك، فأراد أن يعلمهم أن الله هو الناصر وأنه الفعال لما يريد، فأصدر قراره بعزله، وأكد ذلك في كتابه المفسر للقرار الذي عمّمه على الولايات؛ حرصاً منه على جانب التوحيد حيث جاء فيه: إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، ولكنّ الناس فتنوا به؛ فأحببت أن يعلموا: أن الله هو الصانع[2].

- إنما المتوكّل مَن يُلقي حبَّة في الأرض:

عن معاوية بن قرَّة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي ناساً من أهل اليمن فقال: مَن أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المُتَّكلون؛ إنما المتوكل مَن يلقي حبة في الأرض ويتوكل على الله عز وجل[3].

- ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر: ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا برأيهم؛ فضلوا وأضلوا، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ما نضل ما تمسكنا بالأثر. وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنا لما فتحنا المدائن أصبنا كتاباً فيه كلام معجب، قال: أمن كتاب الله؟ قال: لا فدعا بالدرّة فجعل يضربه بها وجعل يقرأ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: 1 - 3] ثم قال: إنما هلك مَن كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم، وتركوا التوراة والإنجيل، حتى درسا[4]، وذهب ما فيهما من العلم[5].

---

(1) الفتاوى (10/ 235).

(2) البداية والنهاية (7/ 82).

(3) أصحاب الرسول، إسناده صحيح (1/ 164).

(4) درس الشيء: عفا.

(5) فيه ضعف لانقطاعه، مناقب عمر لابن الجوزي ص23 وله طرق تقويه.

وعن أسلم قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: فيم الرّملان[1] الآن؟! ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ[2]. وعن الحسن البصري: أن عمران بن حصين ﷺ، أحرم من البصرة فقدم على عمر؛ فأغلظ له ونهاه عن ذلك، وقال: يتحدث الناس أن رجلاً من أصحاب محمد ﷺ أحرم من مصر من الأمصار[3]. وعن أبي وائل[4]، قال: كنت جالساً على كرسي شيبة بن عثمان[5] في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر، فقال: لقد هممت ألا أدع فيه صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها، فقلت: ما كنت لتفعل، قال: ولِمَ؟ قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال: هما المرآن أقتدي بهما[6].

هذه بعض مواقف الفاروق التي ترشدنا إلى حمايته لجانب التوحيد، ومحاربته للبدع، فقد فهم التوحيد الذي أرشد إليه الإسلام، وعرفه وعمل به وحرص على محو كل أثر من آثار الوثنية في النفوس والقلوب، وأقام صرح التوحيد في أعماق الكينونة البشرية[7]، لقد عمل الفاروق على تعميق حقيقة الإيمان في المجتمع الإسلامي بكل معانيه وبكل أركانه، ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه، ومحاربة البدع، والاقتداء برسول الله في أقواله وأفعاله ﷺ فهذه الأصول تدخل ضمن فقه التمكين الذي فهمه الفاروق وعاش به في دنيا الناس.

2 - اهتمامه بأمر العبادات:

فهم الفاروق ﷺ من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: أن الدين كله داخل في العبادة، والدين منهاج الله جاء ليسع الحياة كلها، وينظم جميع أمورها من أدب الأكل والشرب، وقضاء الحاجة، إلى بناء الدولة، وسياسة الحكم، وسياسة المال، وشؤون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب، وأن الشعائر التعبدية من صلاة وصوم، وزكاة، وحج، لها أهميتها ومكانتها ولكنها ليست العبادة كلها، بل هي جزء من العبادة التي يريدها الله - تعالى[8] -، وتطبيق هذا الفهم للعبادة في دنيا الناس من شروط التمكين في الأرض، كما أن العبادة لها أهمية في حياة الإنسان في تثبيت الاعتقاد، وتثبيت

(1) الرملان والرّمل: أن يهزّ منكبيه ويسرع في المشي.
(2) محض الصواب (2/ 532).
(3) محض الصواب (2/ 532).
(4) هو شقيق بن سلمة.
(5) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي العبدري حاجب الكعبة.
(6) محض الصواب (2/ 537) إسناده صحيح.
(7) أشهر مشاهير الإسلام، رفيق العظم (2/ 256، 257).
(8) فقه التمكين في القرآن الكريم، للصّلاّبي ص181.

القيم الأخلاقية، وإصلاح الجانب الاجتماعي، وإليك بعض اهتمامات الفاروق بشعائر الصلاة والزكاة والحج والصوم والذكر وحرصه على تحقيق معاني العبادة في نفسه وفي المجتمع الإسلامي.

- الصلاة:

كان النبي ﷺ يأمر المسلمين بالصلاة ويبالغ في الإنكار على مَن يتخلف عن الجماعة ويشتد نكيره على تاركها وسار الصدِّيق على هديه، ولما تولى الفاروق الخلافة اهتم بأمر الصلاة وحمل الناس عليها وتعقب تاركها، وكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمَن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومَن ضيعها فهو لما سواها أضيع[1]. وكان رضي الله عنه شديد الحرص على الخشوع في الصلاة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: صليت خلف عمر فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف[2]، وجاء في رواية: أنه قرأ في صلاة الفجر: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86] وبكى حتى سمع نشيجه من آخر الصفوف[3]. وقد قال رضي الله عنه لمن يعبث في صلاته: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه[4].

وكان رضي الله عنه إذا أبطأ عليه خبر الجيوش قنت[5]، وكان يدعو للمجاهدين في صلاته ويقنت لذلك، فعندما قاتل أهل الكتاب قنت عليهم في الصلاة المكتوبة[6]، وكان رضي الله عنه يربي الناس ونفسه على الاهتمام بأمر الصلاة فرائضها وسننها، ويرشد الناس إلى السنة وينهاهم عن البدع، فعندما تأخر رضي الله عنه في صلاة المغرب حتى طلع نجمان بسبب شغله ببعض الأمور أعتق رقبتين بعد الصلاة[7]، وكان يرى الجمع بين صلاتين من غير عذر من الكبائر، وكان ينهى مَن يصلي بعد العصر[8]، وكان يؤنب مَن تأخر عن التقدم لصلاة الجمعة، فعن سالم بن عبد الله، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ قال: إني شغلت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين فلم أزد أن توضأت، فقال: والوضوء أيضاً؟

(1) الفتاوى (10/ 249)، الموطأ مع شرحه أوجز المسالك (1/ 154).
(2) حلية الأولياء (1/ 52).
(3) الفتاوى (10/ 374).
(4) الفتاوى (18/ 154).
(5) الفتاوى (23/ 62).
(6) الفتاوى (21/ 91).
(7) التاريخ الإسلامي الحميدي (19، 20/ 42) نقلاً عن تاريخ دمشق.
(8) الفتاوى (21/ 98)، (32/ 23).

وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغُسل[1]. وكان ﷺ يمنع رفع الأصوات في المسجد، فعن السائب ابن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر ابن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: مَن أنتم - أو من أين أنتما - قال: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ[2]. وكان ﷺ يعظم توجيهات رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استأذنت أحدكم امرأته أن تأتي المسجد فلا يمنعها**»، قال: وكانت امرأة عمر بن الخطاب ﷺ تصلي في المسجد فقال لها: إنك لتعلمين ما أحب، فقالت: والله لا أنتهي حتى تنهاني، قال: فطعن عمر وإنها لفي المسجد[3]، فهذا الخبر يدل على تعظيم أمير المؤمنين عمر ﷺ لأمور الشريعة، ووقوفه عند كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث قدّم تنفيذ ذلك على ما تحبه نفسه[4].

وكان ﷺ يحب الصلاة في كبد الليل - يعني وسط الليل - وكان يصلي ما شاء الله حتى إذا كان من آخر الليل، أيقظ أهله، ويقول: الصلاة الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 132][5]، وقد قام ذات ليلة فغشيه همّ عظيم من تفكيره في أمور الناس، فما استطاع أن يصلي، وما استطاع أن يرقد، فقد قال: فوالله، ما أستطيع أن أصلي ولا أستطيع أن أرقد، وإني لأفتتح السورة فما أدري أفي أولها أنا أم في آخرها، فلما سئل: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: من همّي بالناس[6].

وكان يعوّض ما فاته من قيام بالليل بالنهار، فقد روى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مَن نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل**»[7]، وكان ﷺ يتمنى أن يكون مؤذناً فقد قال: لو كنت أطيق الأذان مع الخلافة لأذّنت[8]. وكان كثير الدعاء والتضرع لله ﷻ ومن أدعيته وأقواله في شأن الدعاء: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[9]، ومن دعائه

(1) الفتح (2/ 415 - 430)، الخلافة الراشدة ص294، د. يحيى اليحيى.
(2) الفتح (1/ 668).
(3) البخاري، رقم 865. وأحمد رقم 4522 الموسوعة الحديثية، واللفظ للإمام أحمد.
(4) التاريخ الإسلامي (19، 20/ 40).
(5) محض الصواب (2/ 635) إسناده ضعيف.
(6) الفاروق عمر، للشرقاوي ص214.
(7) مسلم رقم 747.
(8) الشيخان من رواية البلاذري ص225.
(9) الفتاوى (1/ 232).

أيضاً: اللهم إن كنت كتبتني شقيًّا فامحني واكتبني سعيداً، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت[1].

وكان يقول: إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه[2]، وكان يحث الناس على الاقتراب من المطيعين ويقول: اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون؛ فإنهم تتجلى لهم أمور صادقة[3]. وكان عمر ﷺ يحب التذكير بالله، فقد كان يقول لأبي موسى الأشعري ﷺ: يا أبا موسى، ذكِّرنا ربنا، فيقرأ ويستمع عمر ومَن معه فيبكون[4].

وكان يحب الجلوس مع أهل الذكر، فعن أبي سعيد مولى أبي أُسيد قال: كان عمر يعس في المسجد بعد العشاء، فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه، إلا رجلاً قائماً يصلي، فمر بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبيّ بن كعب، فقال: مَنْ هؤلاء؟ قال: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلفكم بعد الصلاة؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، فجلس معهم، ثم قال لأدناهم: خذ في الدعاء فدعا، فاستقرأهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليّ، وأنا بجانبه، فقال: هات، فحُصرتُ وأخذني أفْكَلُ[5]، فقال: قل، ولو أن تقول: اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا، قال: ثم أخذ عمر في الدعاء، فما كان أحد أكثر دمعة ولا أشد بكاء منه، ثم قال: تفرقوا الآن[6].

- **التراويح:**

أول مَن جمع الناس على صلاة التراويح هو عمر بن الخطاب ﷺ، وكتب بذلك إلى البلدان، وسبب ذلك: أن الفاروق خرج في ليلة من ليالي رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع[7] متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب، قال الراوي: عبد الرحمن بن عبد القاري: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نِعْمَ البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوّله[8]. ولا يتوهم متوهم أن التراويح من وضع عمر، ولا أنه أول مَن وضعها، بل كانت موضوعة من زمن النبي ﷺ ولكن عمر ﷺ أول مَن جمع الناس على قارئ واحد فيها، فإنهم كانوا يصلون لأنفسهم فجمعهم على قارئ واحد[9]، وأما دليل أصلها من هدي النبي ﷺ، فقد كان ﷺ يحث الناس على قيام شهر رمضان فقد قال: «مَن قام

---

(1) الفتاوى (14/ 275).
(2) الفتاوى (8/ 118).
(3) الفتاوى (15/ 60).
(4) الفتاوى (10/ 51).
(5) الأفكل: الرعدة، وأفكل تعني رعدة.
(6) الشيخان من رواية البلاذري ص236.
(7) أوزاع: جماعات، لا واحد له من لفظه.
(8) البخاري رقم 2010.
(9) محض الصواب (1/ 349).

رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[1]، وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلّى في المسجد، وصلّى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلّى فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلّى الناس فصلوا بصلاته، فلما كانت الليل الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلمّا قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد، فإنه لم يَخْفَ علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها»، فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[2]، وأما قول عمر بن الخطاب: نِعْمَ البدعة هذه، فإنما سماها بدعة؛ لأنها بدعة في اللغة؛ إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة[3]، وما فعله الفاروق من جمع الناس على إمام في صلاة التراويح وتعميم ذلك في الولايات يدل على حبه وولعه بالنظام.

- **الزكاة، والحج، ورمضان:**

اهتم الفاروق بالزكاة، ونظم هذه الفريضة، وأصبحت من ضمن مصادر دخل الدولة، وسنتحدث عن هذه الفريضة عند حديثنا عن المؤسسة المالية بإذن الله تعالى.

وأما الحج، فقد كان يحج بالناس خلال فترة خلافته، وقيل: حج عشر سنين، أي: فترة خلافته كلها، وقيل: تسع سنين منها[4].

ومن واجبات الخليفة أو الولاة الذين ينوبون عنه في الولايات أمور منها:

- إشعار الناس بأوقات الحج والخروج إلى المشاعر.
- ترتيبهم للمناسك وفق الشرع.
- تقديره للمواقف بمقامه فيها.
- اتباعه في الأركان المشروعة.
- إمامتهم في الصلوات وإلقاؤه الخطب المشروعة[5].

وكان رضي الله عنه يحث الناس على الحج ويأمرهم بذلك حتى قال: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل مَن كان عنده جِدَةٌ - أي سعة - فلم يحج، فيضربوا عليهم الجزية[6]. وكان رضي الله عنه قد اجتهد بحيث يكون البيت معموراً في غير أشهر الحج، فقد كان الناس في عهد أبي بكر وعمر يقتصرون على العمرة في أشهر الحج، ويتركون سائر

(1) البخاري، رقم 2009.
(2) البخاري، رقم 2012.
(3) الفتاوى (31/ 23).
(4) السلطة التنفيذية (1/ 382).
(5) المصدر نفسه (1/ 383).
(6) فرائد الكلام ص173.

الأشهر، لا يعتمرون فيها من أمصارهم، فصار البيت يعرى من العمار من أهل الأمصار سائرالحول؛ فأمرهم عمر بن الخطاب بما هو أكمل لهم بأن يعتمروا في غير أشهر الحج؛ فيصير البيت مقصوداً معموراً في أشهر الحج، وغير أشهر الحج، وهذا الذي اختاره لهم عمر هو الأفضل، حتى عند القائلين بأن التمتع أفضل من الإفراد والقِران كالإمام أحمد وغيره[1]، وقد ثبت عنه بأنه: كان يتصدق كل عام بكسوة الكعبة ويقسمها بين الحجاج[2].

وأما الصيام، فقد سار فيه على نهج رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه أنه أفطر في يوم غيم ثم طلعت الشمس فقال عمر رضي الله عنه: الخطب يسير وقد اجتهدنا[3]. وعندما بلغ عمر أن رجلاً يصوم الدهر، أتاه فعلاه بالدرة وجعل يقول: كل يا دهري[4]، فقد كان رضي الله عنه كثير التعبد والاجتهاد في الطاعات: فإنه كان من الصلاة إلى الغاية القصوى، والصوم أخذ منه غايته وخصوصاً في آخر عمره، والصدقة أكثر منها، وكان لما ولي الخلافة يحج كل عام، والجهاد غزا مع النبي ﷺ جميع المشاهد، وغزا بعده، وجميع ما وقع في خلافته من الغزوات والفتوحات فله أجره لأنّه سببه[5]، وكان من أهل الذكر، فقد قال رضي الله عنه: عليكم بذكر الله؛ فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء[6]، وكان يقول: خذوا بحظكم من العزلة[7].

3 - اهتمامه بالأسواق والتجارة:

حرص الفاروق على تفقد أحوال المتعاملين في السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وكان يولي غيره على أمر السوق، فقد ولى عمر السائب بن يزيد رضي الله عنه سوق المدينة، وعبد الله بن عتبة بن مسعود وغيرهم[8]، ويلاحظ الباحث أن نظام الحسبة في الدولة الإسلامية نشأ طبقاً لقواعد الشريعة الإسلامية، وتطور مع تطور المجتمع الإسلامي حتى أصبح ولاية من ولايات الإسلام لها شروط يتعين توافرها في متوليها وشروط فيمن يحتسب عليه، وشروط في الأعمال التي يحتسب فيها[9].

---

(1) الفتاوى (26/ 146، 147).
(2) الفتاوى (31/ 14).
(3) الموطأ (1/ 303) نقلاً عن الخلافة الراشدة ص330.
(4) الفتح (4/ 261).
(5) محض الصواب (2/ 637).
(6) تفسير القرطبي (16/ 336)، محض الصواب (2/ 677).
(7) الزهد، لوكيع (2/ 517) إسناده صحيح.
(8) السلطة التنفيذية (1/ 408).
(9) الرقابة المالية في الإسلام د.عوف الكفراوي ص66.

وقد ثبت أن الفاروق ﷺ كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق، فقد كان يطوف في الأسواق حاملاً درته معه، يؤدب بها مَن رآه مستحقًّا لذلك، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: رأيت على عمر ﷺ إزاراً فيه أربع عشرة رقعة إن بعضها لأدم، وما عليه قميص ولا رداء، معتم، معه الدرة، يطوف في سوق المدينة[1]. ونقل الحافظ الذهبي عن قتادة قوله: كان عمر ﷺ يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعاً بعضها بأدم، ويطوف في الأسواق على عاتقه درة يؤدب الناس بها[2].

ومن احتسابه في مجال السوق ما رواه الإمام مسلم عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه قال: أقبلت أقول: مَن يصطرف الدراهم[3]؟ فقال طلحة بن عبيد الله ﷺ وهو عند عمر بن الخطاب ﷺ: أرنا ذهبك ثم ائتنا إذا جاء خدمنا، نعطك ورَقك[4]؛ فقال عمر بن الخطاب ﷺ: كلا، والله لتعطينه ورقه أو لتردن إليه ذهبه؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «**الورق بالورق ربا إلا هاء وهاء[5]، والذهب بالذهب ربا إلاّ هاء وهاء، والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء**»[6].

ومن احتسابه في مجال السوق أيضاً أنه رأى رجلاً قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه[7]، وكان ﷺ يمنع الاحتكار في أسواق المسلمين، فقد سأل عمر حاطب بن أبي بلتعة: كيف تبيع يا حاطب؟ فقال: مدَّين، فقال: تبتاعون بأبوابنا وأفنيتنا وأسواقنا، تقطعون في رقابنا ثم تبيعون كيف شئتم، بع صاعاً - والصاع أربعة أمداد - وإلا فلا تبع في سوقنا، وإلا فسيروا في الأرض واجلبوا ثم بيعوا كيف شئتم[8].

وخرج مرة إلى السوق فرأى ناساً يحتكرون بفضل أذهابهم[9]، فقال عمر: لا ونعمة عين، يأتينا الله بالرزق حتى إذا نزل في سوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم عن الأرملة والمسكين، حتى إذا خرج الجُلاّب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم؟ ولكن أيما جالب جلب بجمل على عمود كتده في الشتاء والصيف حتى ينزل سوقنا فذلك ضيف عمر، فليبعه

(1) الطبقات الكبرى (3/ 330).
(2) تاريخ الإسلام، عهد الراشدين ص268.
(3) من يصطرف الدراهم: أي يبيعها بمقابلة الذهب.
(4) الورق: المقصود به الفضة.
(5) هاء وهاء: خذ هذا، ويقول صاحبه مثله.
(6) مسلم رقم 1586.
(7) الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص60، الحسبة، د. فضل إلهي ص24.
(8) موسوعة فقه عمر بن الخطاب، قلعجي ص28.
(9) مفردها: ذهب، أي أموالهم.

كيف شاء وليمسك كيف شاء. وعن مسلم بن جندب قال: قدم المدينة طعام فخرج أهل السوق إليه فابتاعوه فقال لهم عمر: أفي أسواقنا تتجرون؟ أشركوا الناس أو اخرجوا فاشتروا ثم ائتوا فبيعوا[1].

وعمر رضي الله عنه لا يقصر الاحتكار على أقوات الناس والبهائم، ولكنه يجعله عامًّا في كل ما يضر بالناس فقده، فقد روى مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب قال: لا حكرة في سوقنا، ولا يعمد رجال بأيديهم فضول أذهاب إلى رزق الله نزل بساحتنا فيحتكرون علينا، ولكن أيما جالب جلب على عمود كتدِه في الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء، وليمسك كيف شاء[2].

وتفيد النصوص التي ذكرت أن الغاية من الاحتكار هي التحكم في الأسعار؛ مما يؤثر على الفقير والأرملة واليتيم، وهذا واضح من قول عمر لحاطب بن أبي بلتعة - وكان يبيع مدين بدرهم - تبتاعون بأبوابنا وأفنيتنا وأسواقنا تقطعون في رقابنا، ثم تبيعون كيف شئتم!! بع صاعاً - والصاع أربعة أمداد - وقوله لأهل السوق الذين يحتكرون: يأتينا الله بالرزق، حتى إذا نزل بسوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم على الأرملة والمسكين، حتى إذا خرج الجلاّب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم، فأنكر ذلك عليهم أشد إنكار[3].

وكان رضي الله عنه يتدخل لفرض السعر المناسب للسلع الضرورية عندما تدعو الحاجة إلى هذا التدخل؛ حماية للمستهلكين وللتجار، فقد جاء رجل بزيت فوضعه في السوق وجعل يبيع بغير سعر الناس، فقال له عمر: إما أن تبيع بسعر السوق وإما أن ترحل عن سوقنا؛ فإنا لا نجبرك على سعر، فنحّاه عنهم[4].

- إلزام التجار بمعرفة الحلال والحرام في البيوع:

كان الفاروق رضي الله عنه يضرب بالدرة مَن يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا مَن لا يعرف الربا[5]. وكان يطوف بالأسواق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول: لا يبيع في سوقنا إلا مَن تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[6]. فكل شؤون الحكم كانت محل اهتمام عمر لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الحاكم، إنه

(1) موسوعة فقه عمر ص28.
(2) موسوعة فقه عمر ص29.
(3) المصدر نفسه.
(4) تاريخ المدينة المنورة (2/ 749) موسوعة فقه عمر ص177.
(5) نظام الحكومة الإسلامية للكتاني (2/ 17).
(6) المصدر نفسه.

يقعّد للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار، ولا أسواق سوداء أو زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، يصدر قراراً موجزاً شاملاً يقضي على كل المفاسد ويضبط كل شيء: مَن لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا[1].

وهذا يشبه صدور قانون من قوانين اليوم يقول مثلاً: لا يزاول العمل الفلاني مَن لم يكن حاصلاً على إجازة كذا وكذا في علم من العلوم[2]، وتعنى دول اليوم بتنظيم الأسواق والإشراف عليها، وتقوم الغرف التجارية أو ما يقوم مقامها على ترشيد وإصلاح وضبط كل ما من شأنه ضبط الأسواق، وراحة الجمهور.

وكان لعمر رضي الله عنه فضل السبق في ذلك، فلم يترك الأمر فوضى في الأسواق، ولكن أقام عليها مشرفين يراقبون وينظمون ويحافظون، فقد استعمل سليمان بن حثمة على الأسواق، كما كان السائب بن يزيد عاملاً له على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود، فهناك مشرف عام على الأسواق، ومشرفون على كل سوق على حدة يعملون تحت إمرته، ومن المقطوع بنفعه: أن العناية بالأسواق تنظيماً وتيسيراً، لها دخل كبير في إراحة الناس من كثير من العناء في الحصول على حاجاتهم، فإذا اهتم الحاكم بهذه الناحية الاهتمام الذي يستحقه كان له من الله الأجر.

وأثبتت تصرفات عمر رضي الله عنه السليمة الصحيحة، العملية الدقيقة، أن الإسلام صالح لكل عصر وفي كل مكان في جميع أنحاء العالم، يدفع الأمم المتأخرة إلى التقدم، ويحفظ الأمم المتقدمة من التدهور والانهيار، لا يسد الطريق على مَن يريد التقدم أن يتقدم ولا يترك الغافل في سباته العميق[3].

- أمره الناس بالسعي وحثهم على التكسب:

كان عمر رضي الله عنه يحث الناس على السعي وكسب لقمة العيش، فعن محمد بن سيرين عن أبيه قال: شهدت مع عمر بن الخطاب المغرب فأتى علي ومعي رُزيمة[4]، فقال: ما هذا الذي معك؟ فقلت: رزيمة أقوم في هذا السوق، فأشتري وأبيع فقال: يا معشر قريش، لا يغلبنكم هذا وأشباهه على التجارة؛ فإنها ثلث الإمارة. وروي - أيضاً - عن الحسن قال: قال عمر: مَن اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب منه شيئاً، فليتحول إلى غيره[5]. وقال عمر: تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة[6].

---

(1) شهيد المحراب ص209.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه ص210.
(4) رزيمة: تصغير رزمة وهي الكارة من الثياب.
(5) نظام الحكومة النبوية (2/ 20).
(6) المصدر نفسه.

وقال: لولا هذه البيوع صرتم عالة على الناس[1]، وقال: مكسبة فيها بعض دناءة خير من مسألة الناس[2]، وقال: إذا اشترى أحدكم جملاً فليشتره عظيماً سميناً، فإن أخطأه خيره لم يخطئه سوقه، وقال: يا معشر الفقراء، ارفعوا رؤوسكم واتّجروا، فقد وضح الطريق، ولا تكونوا عيالاً على الناس[3]، وقال: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإن الله - تعالى - إنما يرزق الناس بعضهم من بعض، وتلا قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4] [الجمعة: 10]، وكان ﷺ إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل: هل له حرفة؟ فإن قيل: لا، قال: سقط من عيني[5].

وقال: ما جاءني أجلي في مكان ما عدا الجهاد في سبيل الله أحب إليَّ من أن يأتيني وأنا بين شعبتي رحلي، أطلب من فضل الله وتلا: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[6] [المزمل: 20].

- خشية عمر من ترك أعيان المسلمين للتجارة:

دخل عمر بن الخطاب ﷺ السوق في خلافته فلم ير فيه في الغالب إلا النبط؛ فاغتم لذلك، فلما أن اجتمع الناس أخبرهم بذلك وعَذَلهم[7] في ترك السوق، فقالوا: إن الله أغنانا عن السوق بما فتح به علينا، فقال ﷺ: والله، لئن فعلتم ليحتاج رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم[8]، فقد كان ﷺ ينظر بتوجس وخشية إلى تقاعس أعيان المسلمين - من غير المجاهدين - عن التجارة والسعي في طلب الرزق[9].

4 - الدوريات العمرية الليلية (العَسَسُ):

ومما لا شك في أن (العَسَسَ) كان نواة الشرطة، فقد ذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن مسعود ﷺ، كان أميراً على العسس في عهد أبي بكر، وأن عمر بن الخطاب تولى هو نفسه

(1) نظام الحكومة النبوية (2/ 20).
(2) المصدر نفسه.
(3) فرائد الكلام ص129، تنبيه الغافلين ص211 للسمرقندي.
(4) نظام الحكومة الإسلامية (2/ 20).
(5) المصدر نفسه.
(6) المصدر نفسه.
(7) أي: لامهم.
(8) نظام الحكومة الإسلامية (2/ 18).
(9) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص161.

العَسَسَ وكان يستصحب معه أسلم مولاه، وربما استصحب عبد الرحمن بن عوف، والعسس هو الطواف بالليل لتتبع اللصوص وطلب أهل الفساد ومَن يُخشى شرهم، ومن الحق أن نعده الخطوة الأولى في تنظيم مؤسسة الشرطة؛ لأن المؤمنين كانوا يتولون حراسة أنفسهم ومنع المنكر من بينهم في النهار، حتى إذا ناموا تولى السهر عنهم رجال العسس، ثم لما تكاثر المفسدون وتظاهروا بالمنكر في وضح النهار، أحوج الأمر إلى مَن يترصدهم نهاراً أيضاً، فأنشئت الشرطة؛ فالشرطة إذن (عَسَسٌ دائم) إذا صح هذا التعبير[1].

كان الفاروق رضي الله عنه يقوم بنفسه على حراسة المسلمين، وقد ساعده ذلك على الإلمام بواقع المجتمع الإسلامي، ففي مدينة رسول الله - وهي يومئذٍ عاصمة الدولة الإسلامية الكبرى وملتقى البشر ومقر الحكم - كان يسعى في دروبها ليلاً ليرى بنفسه ويسمع ما قد يتردد عماله في أن يحملوه إليه، أو يفوت عليهم ما يحملوه إليه، وكم وضع من القواعد وكم عدَّل من القواعد، التي وجد أن الواقع يفرض عليه وضعها، أو يفرض عليه تعديلها وإلغاءها! وإليك بعض الأمثلة الدالة على ما ذهبت إليه[2]:

- **النهي عن تعجيل فطام الصبيان:**

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم المدينة رفقة من تجار فنزلوا المصلى، فقال: عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم، فباتا يحرسانهم ويصليان فسمع عمر بكاء صبي، فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي، فأتى أمه فقال لها: ويحك إنك أم سوء ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء؟ فقالت: يا عبد الله، إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولِمَ؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم - وكان عمر قد فرض لكل مفطوم رزقاً أو عطاء - قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهراً، فقال: ويحك، لا تعجليه عن الفطام، فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤساً لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أمر مناديه فنادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام؛ فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق[3]. ما أجملها من حادثة وما أعظمها من عدالة، وبذلك أصبح كل مولود مسجلاً في ديوان العطاء ويفرض له من بيت مال المسلمين؛ لأن بيت المال حق لكل مسلم، ولأن المسؤول عنه إنما هو أمين وقائم عليه لا يجوز له أن يصرف منه شيئاً في غير محله ولا أن يمنع منه حقًّا وجب فيه.

---

(1) عبقرية الإسلام في أصول الحكم ص322.

(2) فن الحكم ص264.

(3) البداية والنهاية (7/ 140).

- تحديد مدة غياب الجنود عن زوجاتهم:

ومن ثمار عسس عمر ﷺ أنه خرج ذات ليلة يطوف في المدينة، فسمع امرأة تقول في ضيق شديد:

تطاوَلَ هَذا الليلُ تسَرِي كواكِبُه ... وأرَّقَني[1] ألا ضَجِيعَ ألاعِبُه
ألاعِبُه طوراً وطوراً كأنما ... بدا قمراً في ظلمةِ الليلِ حاجِبُه
يُسَرُّ بِهِ مَنْ كان يلهو بقربِهِ ... لطيف الحشا لا تجتويه[2] أقاربه
فوالله لولا الله لا شيء غيرُه ... لَنُغِّضَ من هذا السريرُ جوانِبُه
ولكنني أخشى رقِيباً مُوكلاً ... بأنفُسنا لا يَفْتُرُ الدهرَ كاتِبُه[3]

فقال عمر: يرحمك الله - ثم أرسل إليها بكسوة ونفقة، وكتب في أن يقدم عليها زوجُها[4]، وجاء في رواية: ثم خرج فضرب الباب على حفصة ابنته ﷺ فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جاء بك في هذه الساعة؟ فقال: أيّ بنية، كم صبر المرأة عن زوجها؟ قالت: تصبر الشهر والشهرين والثلاثة وفي أربعة ينفد الصبرُ، فكتب عمر ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر[5]. فهذه سياسة عمر في تحديد مدة غياب الجندي عن زوجته، ولم يخالف عمر ﷺ في ذلك مخالف[6]، وأما الجنود الذين لم يلتزموا بالمدة، فقد وضع لهم الفاروق نظاماً قبل تحديد مدة الغياب، فبعد أن عرف عدد الغائبين غيبةً طويلة والذين لم ينفقوا على زوجاتهم في غيابهم، لمَّا عرف بأسمائهم كتب إلى أمراء الجيوش أن يطلبوا هؤلاء ويعرضوا عليهم الآتي: إما أن يرجعوا إلى نسائهم، وإما أن يبعثوا إليهنَّ بنفقة كافية، وإما أن يطلِّقوا، وإذا طلقوا ألزموا ببعث نفقة ما مضى[7].

- حماية أعراض المجاهدين:

ومن ثمار تفقده لأحوال الرعية بالليل حماية أعراض المجاهدين، فقد خرج ذات ليلة يطوف في المدينة فسمع شعراً فيه ريبةٌ، امرأة في جوف الليل تتمنى الوصول إلى شربة خمر، أو القرب من شاب جميل طالما تمنته، سواءٌ أكان التمني حقًّا أم كان تغزلاً فقط دون قصد شيء، فظاهر ما قالت الريبة، فقد تغنت بالبيت التالي:

---

(1) الأرق: السهر. (2) اجتواه: كرهه.
(3) محض الصواب (1/ 388) سنده فيه انقطاع.
(4) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص89.
(5) المصدر نفسه ص89، أوليات الفاروق ص289.
(6) أوليات الفاروق ص289.
(7) أوليات الفاروق ص179.

هَلْ من سَبيلٍ إلى خمرٍ فأشرَبَها هل مِنْ سبيلٍ إلى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ

سمع هذا عمر فأصبح وطلب نصر بن حجاج، وإذا هو أصبح الناس وجهاً وأحسنهم شَعْراً، فأمره بحلق شعره، فازداد جمالاً، فأمره بالعمامة، فازداد جمالاً، فنفاه إلى البصرة[1]؛ خشية افتتان النساء به، وسدًّا للذريعة، ومحافظة على أعراض الجنود المرابطين في سبيل الله، وهذا الفعل من عمر يعطي لنا بعداً في سياسته العامة وحكمته في تقديم المصلحة العامة، ففي جمال نصر وولوعه بنفسه وغياب الجنود عن نسائهم وتوفر الراحة والأمن في المدينة، ذريعةٌ إلى الوقوع في الفتنة؛ فأولى بهذا الشاب المتدلل أن ينتقل إلى مدينة عسكرية علَّه يكتسب خبرة في القتال، أو يستفيد مما يراه من بطولات وهمم الرجال، والبصرة - المدينة العسكرية آنذاك - أضمن لعلاج مثل هذا الشاب[2].

وخشيت المرأة التي سمع منها عمر، أن يبدر إليها بشيء، فدست إليه أبياتاً تقول فيها:

قُل لِلإمامِ الذي تُخشَى بوادرُهُ ما لِيْ ولِلْخَمْرِ أو نَصْر بنِ حَجَّاجِ
إني عَنَيْتُ أبا حفصٍ بغَيْرِهِما شُربِ الحليبِ وطَرْفٍ فاترٍ ساجي
إن الهوى زمّه التقوى فقيده حتى أقرّ بإلجام وإسراجِ
لا تجعلِ الظنَّ حقًّا لا تُبَيِّنُهُ إنَّ السبيلَ سبيلُ الخائفِ الراجي

فبعث إليها عمر رضي الله عنه: قد بلغني عنك خيراً، إني لم أخرجه من أجلك، ولكن بلغني أنه يدخل على النساء فلست آمنهنَّ، وبكى عمر وقال: الحمد لله الذي قيد الهوى، وقد أقر بإلجام وإسراج[3]، ثم إن عمر كتب إلى عامله بالبصرة كتاباً، فمكث الرسول عنده أياماً ثم نادى مناديه: ألا إنَّ بريد المسلمين يريد أن يخرج، فمن كانت له حاجةٌ فليكتب، فكتب نصر بن حجاج كتاباً، ودسه في الكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، سلام الله عليك، أما بعد:

لَعَمري لئنْ سيَّرتَنِي أو فَضَحْتَنِي وَمَا نلتهُ مني عليكَ حرامُ
فأصبحت منفيًّا على غير ريبةٍ وقد كان لي بالمَكَّتَيْن مُقامُ
أإن غنَّتِ الزلفاءُ يوماً بمُنْيَةٍ وبعضُ أمانيِّ النساءِ غَرامُ
ظننت بي الظن الذي ليس بعدهُ بقاء فما لي في الندي كلامُ

---

(1) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص91.
(2) أوليات الفاروق ص82.
(3) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص92.

ويمنعُني مما تظنُّ تكرُّمي وآباءُ صدقٍ سالفونَ كرامُ
ويمنعُها مما تظنُّ صلاتُها وحالٌ لها في قومِهَا وصيامُ
فهذان حالانا فهل أنت راجعي فقد جَبَّ مني كاهلٌ وسنامُ
إمام الهُدى لا تبتلي الطردَ مسلماً لهُ حُرمةٌ معروفةٌ وزِمامُ

فقال عمر: أما ولي سلطانٌ فلا. فما رجع إلى المدينة إلا بعد وفاة عمر، رضوان الله عليه[1].

ووقعت قصة أخرى شبيهة بهذه واجهها الفاروق في طوافه بالليل أيضاً، فبينما هو ذات ليلة يطوف في المدينة إذ سمع نساء يتحدثن ويتساءلن: أي فتيان المدينة أصبحُ وجهاً؟ فقالت إحداهن: أبو ذؤيب، فطلبه عمر، وإذا هو من أجمل الناس فقال له: أما إنك لذئبهنَّ؛ اذهب فلن تساكنني أبداً، فقال الفتى: أما إن كنت فاعلاً فألحقني بابن عمي نصر بن الحجاج، وكان الاثنان من بني سليم فألحقه بابن عمه[2].

وهذا الفعل العمري يفرضه واقع الأمة، وينسجم مع شخصية الفاروق القوية التي تستوعب طاقات الأفراد المتنوعة، وعهد الفاروق عهد تعبئةٍ وتحشيدٍ للجيوش وإرسالها للقتال في سبيل الله لكل القادرين عليه، فكيف يسمع عمر بهذين الشابين في المدينة وليس هناك ما يمنعهما من القتال؛ فإخراجهما من المدينة أولى من تصفيف الشعر ومجالسة النساء[3].

- أأنت تحمل عني وزري يوم القيامة:

عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه قال: خرج عمر إلى حَرَّة واقم[4] وأنا معه، حتى إذا كنا بصرار[5]، إذا نار تُؤرت - أي تشعل - قال: يا أسلم إني أرى هاهنا ركباناً قصَّر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان، وقدر منصوبة على نار، وصبيانها يتضاغون (أي يتصايحون) فقال عمر: السلام عليكم يا أهل الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فقالت: وعليكم السلام، فقال: أأدنو؟ فقالت: ادْنُ بخير أو دع، فدنا منها فقال: ما بالكم؟ قالت: قصَّر بنا الليل والبرد، قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: وأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا،

(1) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص92، 93.
(2) الشيخان من رواية البلاذري ص211، 212.
(3) أوليات الفاروق ص83.
(4) الحرة: أرض حجارتها سود بركانية والمدينة بين حرتين.
(5) على ثلاثة أميال من المدينة.

واللهُ بيننا وبين عمر، فقال: أي رحمك الله، وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا، فأقبل عليّ، فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً من دقيق، وكبَّة شحم، وقال: احمله علي، قلت: أنا أحمله عنك، قال: أأنت تحمل وزري يوم القيامة، لا أمّ لك؟! فحملته عليه، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً، فجعل يقول لها: ذُرّي عليّ أنا أحُرُّ لك[1]، وجعل ينفخ تحت القدر فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم، ثم أنزلها، وقال: ابغيني شيئاً، فأتته بصحفةٍ فأفرغها فيها، فجعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم - أي أبسطه حتى يبرد - فلم يزل حتى شبعوا وترك عندها فضل ذلك وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيراً، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين، فيقول: قولي خيراً، إذا جئت أمير المؤمنين، وجدتني هناك إن شاء الله! ثم تنحى ناحيةً عنها، ثم استقبلها فربض مربضاً، فقلت له: لك شأن غير هذا؟ فلا يكلمني، حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا، وهدؤوا، فقام يحمد الله، ثم أقبل عليّ فقال: يا أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم؛ فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت[2].

وهذا حافظ إبراهيم يصور لنا هذا المشهد العظيم:

وَمَنْ رآه أمامَ القِدْر مُنبَطِحاً[3] والنارُ تأخذُ منهُ وهُو يُذكِيها[4]
وقدْ تخللَ في أثناءِ لحيَتِهِ منها الدَّخان وفُوهُ[5] غابَ في فيها
رأى هناك أميرَ المؤمنين على حالٍ ترُوعُ - لعمر الله - رائيها
يستقبلُ النارَ خوفَ النَّارِ في غَدِهِ والعين من خشية الله سالت مآقيها[6]

- يا أمير المؤمنين، بشر صاحبك بغلام:

بينما عمر يعس ذات ليلة، إذ مر برحبةٍ من رحاب المدينة فإذا هو بيت شَعرٍ لم يكن بالأمس، فدنا منه فسمع أنين امرأة، ورأى رجلاً قاعداً، فدنا منه فسلم عليه، ثم قال: من أنت؟ قال: رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله، قال: ما هذا

(1) أتخذ لك حريرة وهي حساء من دقيق ودسم.
(2) الكامل في التاريخ (2/ 214)، الطبري (5/ 200).
(3) انطبح: نام على وجهه ممتد على الأرض.
(4) أذكى النار: أي أوقدها.
(5) فوه غاب في فيها: أي فمه غاب في فم النار وهو ينفخها.
(6) المآقي: جمع ماق وموق، وهو طرف العين مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع، العشرة المبشرون بالجنة، العفيفي ص173.

الصوت الذي أسمعه في البيت؟ قال: رحمك الله امضِ لحاجتك، قال: عليَّ ذاك ما هو؟ قال: امرأة تمخض، قال: هل عندها أحدٌ، قال: لا، فانطلق حتى أتى منزله، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: وما هو؟ قال: امرأةٌ غريبةٌ تمخض ليس عندها أحد، قالت: نعم، إن شئت، قال: فخذي معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدُّهن، وجيئي ببُرمةٍ (أي قدر) وشحم وحبوب، فجاءت به، فقال: انطلقي، وحمل البُرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت فقالَ لها: ادخلي إلى المرأة، وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له: أوقد لي ناراً ففعل، فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها، وولدت المرأة فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين، بشر صاحبك بغلامٍ.

فلما سمع الأعرابي بـ«أمير المؤمنين»؛ كأنه هابه، فجعل يتنحَّى عنه، فقال له: مكانك كما أنت فحمل البُرمة فوضعها على الباب ثم قال: أشبعيها، ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل وقال: كل ويحك؛ فإنك قد سهرت من الليل، وقال لامرأته: أخرجي، وقال للرجل: إذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك، فلما أصبح أتاه ففرض لابنه في الذريَّة وأعطاه[1].

- والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلا:

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما أنا مع عمر بن الخطاب، وهو يعس بالمدينة إذ عيي؛ فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه، قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه[2] بالماء، قالت: يا أماه، أوَما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت: وما كان عزمته؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى: لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية، قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء؛ فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا. وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم، علّم الباب واعرف الموضع، ثم مضى في عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم، امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومَن المقول لها، وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيمٌ لا بعل لها، وإذا تيك أمها وإذا ليس لها رجلٌ، فأتيت عمر فأخبرته، فدعا ولده فجمعهم فقال: هل فيكم مَن يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحدٌ إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصمٌ: يا أبتاه، لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم

---

(1) البداية والنهاية (7/ 140).

(2) المذيق: كأمير: اللبن المزوج بالماء.

فولدت له بنتاً، وولدت البنت بنتاً، وولدت البنت عمر بن العزيز، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى[1].

قال ابن عبد الهادي: قال بعضهم: هكذا وقع في رواية، وهو غلطٌ، وإنما الصواب: فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ [2].

وهكذا كان عمر رضي الله عنه يتفقد الرعية بنفسه، ويعس في الليالي ويقوم بواجبه نحو رعيته محتسباً عند الله - تعالى - أجره، ولم يكن رضي الله عنه في حرصه على الإلمام بواقع دولته يقتصر على العاصمة وحدها، بل كان يمتد إلى جميع أرجاء الدولة الإسلامية، كما سنرى في الصفحات القادمة، بإذن الله تعالى.

5 - رأفته ورحمته بالبهائم:

كانت رأفة الفاروق بالبهائم صادرة عن إيمان ملؤه الرفق والرحمة والإحسان إلى كل شيء، فقد لان قلبه بذكر الله؛ فأصبح يشفق على خلق الله، وقد فهم من الإسلام بأنه في كل ذات كبد رطب أجر، وأنه لا يجوز شرعاً إساءة استعمال الحيوان ولا إزهاقه ولا تسخيره في غير ما خلق له ولا تحميله فوق طاقته[3]، وقد أعلن رضي الله عنه بأنه مسؤول عن بغلة تعثر في العراق لم يسو لها الطريق، وهذه بعض الصفحات العمرية التي سجلت بماء الذهب في ذاكرة التاريخ الإنساني:

- أتحمل على بعيرك ما لا يطيق:

عن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب جمّالاً ويقول: حمّلت جملك ما لا يطيق[4].

- أما علمتم أن لها عليكم حقًّا:

قال الأحنف بن قيس: وفدنا إلى عمر بفتح عظيم، فقال: أين نزلتم؟ فقلت: في مكان كذا وكذا، فقام معي حتى انتهينا إلى مناخ ركائبنا، فجعل يتخللها ببصره ويقول: ألا اتقيتم الله في ركائبكم هذه؟ أما علمتم أن لها عليكم حقًّا؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض[5]؟

- يداوي إبل الصدقة:

قدم على عمر وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس، في يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجرٌ (متعمّم) بعباءة يهنأ بعيراً من إبل الصدقة - يطليه بالقطران - فقال: يا أحنف، ضع

---

(1) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص89، 90.
(2) محض الصواب (1/ 391).
(3) شهيد المحراب ص226.
(4) محض الصواب (2/ 469).
(5) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ (2/ 605).

ثيابك وهلمّ فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير؛ فإنه من إبل الصدقة، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال عمر: وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف؟ إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيّده في النصيحة وأداء الأمانة[1].

- عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر:

اشتهى الفاروق سمكاً طريًا، فأخذ يرفأ - مولاه - راحلة فسار ليلتين مقبلاً وليلتين مدبراً، واشترى مكتلاً فجاء به، وقام يرفأ إلى الراحلة يغسلها من العرق، فنظرها عمر فقال: عذّبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر، والله لا يذوق عمر ذلك[2].

- إني لخائف أن أسأل عنك:

رأى عمر جملاً تبدو عليه مظاهر الإعياء والمرض، فتقدم من الجمل ووضع يده في دبر الجمل يفصحه وهو يقول: إني لخائفٌ أن أسأل عنك[3].

هذه بعض المواقف العمرية التي تدل على رأفة ورحمة الفاروق بالبهائم، ألا ليت الشباب الحائر يطالع تاريخه ويلم بإسلامه؛ ليعرف أنه ما من قاعدة إنسانية تنفع المجتمع البشري إلا ولها في الإسلام تقعيد وتنظيم؛ حتى لا ينبهروا بالغرب الذي يباهي بإنشاء جمعيات الرفق بالحيوان، على أنها مظهر من مظاهر إنسانيته الفاضلة، وحتى لا يقلده شبابنا ظناً منهم أنهم أصحابها، وليدركوا أننا أساتذتهم في الرفق بالحيوان[4]، وفي كل شيء نافع.

إن مراقبة الله سر الهدى، ومنار الخير، ولب العبادة حتى الجمل المريض يخشى فيه عمر ربَّه أن يسأله عنه، هذا هو كنه الإسلام، رقابةٌ وخشيةٌ تسكن القلب، وهل ينجح حاكم بغير هذا كي ينجو من حساب الله، وقد ولاه أمر عباده؟![5]

6 - زلزلة الأرض في عهد الفاروق:

تزلزلت الأرض بالناس على عهد عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: أيها الناس، ما كانت هذه الزلزلة إلا على شيء أحدثتموه، والذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيه أبداً[6].

---

(1) أخبار عمر ص343، نقلاً عن ابن الجوزي.
(2) الرياض النضرة ص408.
(3) الطبقات (3/ 215).
(4) شهيد المحراب ص228.
(5) المصدر نفسه ص229.
(6) فرائد الكلام ص140، نقلاً عن الداء والدواء لابن القيم ص53.

المبحث الرابع
اهتمام الفاروق بالعلم والدعاة والعلماء

أولاً: اهتمام الفاروق بالعلم:

العلم من أهم مقومات التمكين للأمة الإسلامية؛ لأن من المستحيل أن يمكِّن الله تعالى لأمة جاهلة، متخلّفة عن ركاب العلم، وإن الناظر إلى القرآن الكريم ليتراءى له في وضوح أنه زاخر بالآيات التي ترفع من شأن العلم، وتحث على طلبه وتحصيله، وإن أول آية من كتاب الله تعالى تأمر بالعلم والقراءة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، وكذلك يجعل القرآن الكريم العلم مقابلاً للكفر الذي هو جهل وضلال، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9].

وإن الشيء الوحيد الذي أمر الله - تعالى - رسوله ﷺ أن يطلب منه الزيادة فيه هو العلم[1]، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] وقد فهم الصحابة الكرام أن العلم والفقه في الدين من أسباب جلب النصر والعون والتأييد الإلهي، لذلك حرصوا على التفقه في الدين وتعلم كتاب الله وسنة رسوله وكان طلبهم للعلم لله - سبحانه وتعالى - وحرصوا على معرفة الدليل في الأحكام، وأيقنوا بأنه لا بد في العلم من العمل، وإلا نزع الله منه البركة، فقد تعلم الصحابة من رسول الله ﷺ دعاءه: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[2]، وقد شهدت الأمة للفاروق رضي الله عنه بغزارة العلم وبأنه فقيه من فقهاء الأمة في الصدر الأول بلا منازع، فقد عُرِفَ بعمق الفهم، والقدرة على التحليل، والبراعة في الاستنباط والاستنتاج، وهذا ما أهله - بعد توفيق الله تعالى - لتلك المكانة المرموقة، ولقد أصبح عمر فقيه المسلمين بعد أن آلت إليه الخلافة، فأرسى باجتهاداته قواعد العدالة كما فهمها من جوهر الإسلام وحقيقته، وقد كان رضي الله عنه في مقدمة الفقهاء من الصحابة، وقد أشاد السلف الصالح بعلمه ودرايته، ومعرفته الدقيقة بالأحكام الشرعية، وكان رضي الله عنه يحتاط في أخذ الحديث ويهتم بمذاكرة الصحابة في العلم، ويسأل الصحابة عن المسائل التي لم يتعلمها من رسول الله، وله أقوال في الحث على طلب العلم، وتتبع رعيته بالتوجيه والتعلم، وجعل من المدينة داراً للفقه والفتوى وأصبحت مدرسة يتخرج منها الولاة والقضاة، وأعد مجموعة خيرة من الصحابة الكرام قادوا المؤسسات

(1) التمكين للأمة الإسلامية ص62.
(2) مسلم رقم 2722.

العلمية (المساجد) في حركة الفتوح فقاموا بتربية وتعليم الشعوب المفتوحة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ووضع النواة الأولى في تأسيس المدارس العلمية التي أثّرت في الشعوب الإسلامية كمدرسة البصرة، والكوفة، والشام، وطوّر المدرسة المدنية والمكية.

● احتياطه في أخذ الحديث ومذاكرته للعلم وسؤاله عمَّا يجهل:

1 - احتياطه في أخذ الحديث وطلبه للتثبت:

استأذن أبو موسى الأشعري في الدخول على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يؤذن له - وكأنه كان مشغولاً - فرجع أبو موسى، ففرغ عمر فقال: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس؟ ائذنوا له، قيل: قد رجع، فدعاه فقال: كنا نؤمر بذلك، فقال: تأتيني على ذلك بالبينة، فانطلق إلى مجالس الأنصار فسألهم، فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا. فقام أبو سعيد فقال: كنا نؤمر بهذا. فقال عمر: خَفِيَ عليّ هذا من أمر رسول الله ﷺ !! ألهاني الصفق بالأسواق، يعني الخروج إلى التجارة[1]، وجاء في رواية أبي سعيد الخدري قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت وقال رسول الله ﷺ: **«إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع»**، فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ ؟ فقال أبيّ بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك[2].

- مذاكرة عمر للعلم وسؤاله عمَّا يجهل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى عمر بامرأة تَشِمُ، فقام فقال: أنشدكم باللهَ من سمع من النبي ﷺ في الوشم؟ فقال أبو هريرة: فقمت فقلت: يا أمير المؤمنين أنا سمعت، قال: ما سمعت؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا تَشِمْنَ ولا تَسْتَوشِمْنَ»**[3]، وعن المغيرة بن شعبة عن عمر رضي الله عنه أنه قال: استشارهم في إملاص المرأة، فقال المغيرة: قضى النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة قال: ائت مَن يشهد معك، فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبي ﷺ قضى به[4]، وعن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الرجل يُجْنِبُ في السفر فلا يجد الماء؟ فقال: لا يصلي حتى يجد الماء، فقال له عمار: يا أمير المؤمنين، أما تذكر إذ كنت أنا وأنت في الإبل فأجنبنا، فأما أنا فتمرغت كما تمرغ الدابة، وأما أنت فلم تصل، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: **«إنما يكفيك**

---

(1) مسلم رقم 2153.
(2) المصدر نفسه.
(3) البخاري رقم 5946.
(4) البخاري رقم 6906.

هذا»[1]، وضرب بيديه الأرض فمسح بهما وجهه وكفيه، فقال له عمر ﷺ : اتق الله يا عمار، فقال: إن شئت لم أحدث به، فقال: بل نوليك من ذلك ما توليت، فهذه سنَّة شهدها عمر ثم نسيها حتى أفتى بخلافها، وذكره عمار فلم يذكر، وهو لم يكذب عماراً بل أمره أن يُحدِّث به[2].

● **من أقواله في الحثِّ على العلم:**

قال ﷺ : إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف ورجع وتاب، فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنبٌ، فلا تفارقوا مجالس العلماء[3].

وقال ﷺ : لا يكون الرجل عالماً حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يأخذ على عمله أجراً. وقال ﷺ : تفقهوا قبل أن تسوَّدوا - أي تصيروا سادة قومكم - فتمنعكم الأنفة من التعلم، فتعيشوا جهَّالاً[4].

وقال ﷺ : العلم إن لم ينفعك لن يضرك[5].

وقال ﷺ : موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه[6].

وقال ﷺ : كونوا أوعية الكتاب، وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضركم ألا يُكثر لكم[7].

وقال ﷺ : تعلموا العلم وعلّموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم، وتواضعوا لمن علمتموه العلم، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم[8].

وحذر ﷺ من زلة العالم فقال: يهدم الإسلام زلة عالم، وجدالُ منافقٍ بالقرآن، وأئمةٌ مضلّون[9].

---

(1) النسائي في الطهارة (317).
(2) الفتاوى (20/ 135).
(3) مفتاح دار السعادة (1/ 122)، فرائد الكلام ص135.
(4) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي ص60، فرائد الكلام 163.
(5) الزهد، للإمام أحمد ص174، فرائد الكلام ص168.
(6) فرائد الكلام ص157، مفتاح دار السعادة (1/ 121).
(7) فرائد الكلام ص159، البيان والتبيين للجاحظ (2/ 303).
(8) أخبار عمر ص263، محض الصواب (2/ 686).
(9) محض الصواب (2/ 717).

2 - تتبعه للرعية بالتوجيه والتعليم في المدينة:

كان الفاروق يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصاً يوم الجمعة، حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر المهمة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ للفاروق كثيراً من خطبه، وهذه إشارات عابرة لبعض خطبه:

خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهي خمسة أشياء: العنب، والتمر، والحنطة، والشعير، والعسل، والخمر ما خامر العقل، وثلاث وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا[1].

وخطب يوم الجمعة في نصح الرعية وبيان حقها عليه فقال: أيها الناس إن بعض الطمع فقرٌ، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجّلون في دار غرور، كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحي، فمن أسرَّ شيئاً أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر، فإنه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حُسناً، واعلموا أن بعض الشحِّ شعبة من النفاق، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16]، أيها الناس أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القُباطي فإنه إن لم يشفَّ فإنه يصف، أيها الناس إني لوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا عليّ، وإني لأرجو إن عُمِّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين - وإن كان في بيته - إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يُعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوماً، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره[2].

- حكم عظيمة من الخطبة:

لقد استفتح عمر رضي الله عنه خطبته بحكم عظيمة، بيَّن فيها أن الغنى الحقيقي يكون بالقناعة، وأن الفقر الحقيقي يكون بالطمع، فأصل القناعة الإياس مما في أيدي الناس، فمَن أيس مما عند غيره قنع بما عنده، ومَن قنع بما عنده استغنى وإن كان فقيراً، ومَن أخذ به الطمع واستشرف لما في أيدي الناس افتقر في نفسه وإن كان غنيًّا في ماله، فإن ماله لا يغنيه؛ لأن

(1) الخلافة الراشدة ص300 د. يحيى اليحيى.

(2) فرائد الكلام ص190 نقلاً عن تاريخ الطبري.

الغنى غنى النفس، والعقل السليم يقتضي ألا يجمع الإنسان من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه، وألا تكون آماله الدنيوية معلقة بما لا يملك، وأن ينظر إلى الدنيا على أنها دار زوال، وأن لا يغتر بما فيها من جواذب ومغريات[1].

- أخذ الناس بظاهرهم وترك سرائرهم:

وفي هذه الخطبة تقريرٌ لما استقر عليه الأمر بعد انقطاع الوحي من أخذ الناس بظاهرهم وترك سرائرهم إلى الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن الوالي ليس مسؤولاً عن الحكم على سرائر القلوب، ولن يستطيع ذلك، ولكنه مسؤول عن صلاح ظواهر الناس، ومن صلاح الظاهر يتكون المجتمع الصالح، فإنه يحكم للمجتمع بذلك إذا صلح ظاهره ولم تُعْلن فيه الفواحش ولم يبرز فيه مَن يجاهر بالفسوق أو يدافع عنه، وإن كان فيه أفراد قد ساءت بواطنهم؛ لأن العرف الاجتماعي - والحال هذه - يكون سائراً مع ما أعلن من الصلاح ومكارم الأخلاق، أما ما خفي من الانحراف فإن العرف الإسلامي يرفضه فيضطر أصحابه إلى التستر والانزواء.

- بعض الشح شعبة من النفاق:

وقوله رضي الله عنه: واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، واضحٌ في الذين يتقاعسون في الإنفاق في سبيل الله تعالى، وهم يرون دُولاً وطوائف من أمتهم يعتدي عليهم الكفار وتنتهك أعراضهم وتنتهب بلادهم، فينهض هؤلاء المعتدى عليهم للجهاد، ولكن لا يجدون إلا القليل من المسلمين الذين يساعدونهم بأموالهم، فالذين أصيبوا بمرض الشح من المؤمنين قد اتصفوا بالنفاق العملي، وهو علامة على ضعف الإيمان[2].

- ولوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا عليّ:

إحساس مرهف وتصور بالغ الدقة في إدراك المسؤولية، فإن تحمل الولاية إقدام على عمل من أعلى الأعمال الصالحة، ولكن فيه مزالق خطيرة قد تحيله إلى عمل من أسوأ الأعمال، وكم من مسئول كان عمله رافعاً ذكره عند الله تعالى وعند الصالحين من الناس لما يقوم به من محاسبة نفسه على كل صغيرة وكبيرة، وكم من مسؤول كان عمله بضد ذلك لكونه أتبع نفسه هواها، وقدّم رضا الناس على رضا الله تعالى، ولقد كان عمر رضي الله عنه من أبرز عظماء التاريخ الذين مثلوا العدالة في أبلغ صورها، ومع ذلك يقول هذه المقالة، ويحمله خوفه العظيم من الله تعالى على تناسي ما لعمله في الولاية من أجر مقابل أن يخرج طاهر الأردان مما فيها من وزر[3].

---

(1) التاريخ الإسلامي (20/ 266).
(2) المصدر نفسه (20/ 267).
(3) التاريخ الإسلامي (20/ 267).

3 - من حكمه التي سارت بين الناس:

قال ﷺ: مَن كتم سره كانت الخيرة في يديه، ومَن عرَّض نفسه للتهمة فلا يلومن مَن أساء به الظن، ولا تظننَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير مدخلاً، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تكثر الحلف فيهينك الله، وما كافأت مَن عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، اكتسبهم فإنهم زينٌ في الرخاء وعدةٌ عند البلاء[1].

فهذه حكمٌ بالغةٌ، وكل حكمة تفتح آفاقاً في عالم التربية، وهذا تعليقٌ مفيدٌ على هذه الحكم:

- مَن كتم سره كانت الخيرة في يديه:

فالإنسان حاكم نفسه ما دام سره بين جنبيه، فإذا أفشى السر لواحد من الناس أو أكثر - فإنه لو رأى أن المصلحة في عدم الإفشاء - لم يستطع رد أمره إلى السرية.

- ومَن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن مَن أساء به الظن:

فالإنسان هو المسؤول عن نفسه قبل الناس، فعليه أن يحاول إبراء ساحته بكل ما يستطيع، وإذا ظن أن بعض الناس قد يفهمون من سلوكه خلاف مراده فليسارع إلى كشف أمره وإن كان موضع الثقة، وسمعته عالية في المجتمع، فإن النبي ﷺ قال للرجلين اللذين رأياه ومعه امرأة تسير في الليل: «**على رسلكما إنها صفية بنت حيي**»[2].

- ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير مدخلاً:

فهذا توجيه عمري جليل في التحرز من سوء الظن، فإحسان الظن بالمسلمين مطلوب من المسلم، وأن يحاول تأويل الكلمات التي ظاهرها الشر بما تحتمله من خير حتى يجد أن تلك الكلمات متمحضة للشر، فذلك مطلوب من المسلم مع أخذ الحذر لنفسه ولمن هم تحت ولايته حتى لا يؤخذ على غرة[3].

- ولا تكثر الحلف فيهينك الله:

فالحلف بالله تعالى تعظيم له، فإذا كان الحلف بقدر الحاجة وفي حال التعظيم لله تعالى وخشيته كان ذلك من توحيده وإجلاله جل وعلا، أما إذا أكثر المسلم من الحلف بالله تعالى

---

(1) تاريخ دمشق (44/ 359)، التاريخ الإسلامي (20/ 270).
(2) التاريخ الإسلامي (20/ 271).
(3) التاريخ الإسلامي (20/ 271).

حتى في الأمور الحقيرة فإنه لن يصاحب ذلك تعظيم له سبحانه، بل يدخل في باب الاستهانة وعدم المبالاة، فتكون عاقبة ذلك تعرض المكثر من الحلف لإهانة الله تعالى إياه، ومَن تعرض لذلك فقد خسر خسراناً مبيناً.

- **وما كافأت مَن عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه:**

فإذا كان بينك وبين أحد خلاف فعصى الله تعالى بسببك، إما بالاعتداء عليك أو انتهاك عرضك أو أخذ مالك فإن أفضل جزاء تجازيه به أن تطيع الله جل وعلا فيه، وذلك بالتزام الأدب الإسلامي في الخلاف وحفظ حق أخيك المسلم، بأن لا ترد عليه بالمستوى الهابط الذي خاطبك به، ثم إن عفوت عنه وتنازلت عن حقك فذلك من كمال طاعة الله سبحانه.

- **وعليك بإخوان الصدق:**

نعم فرب أخ لك لم تلده أمك، بل إن إخوان الصدق الذين ائتلفت قلوبهم على التقوى أعظم تضحية وإحساناً من إخوان النسب إذا لم يكونوا كذلك، فإخوان الصدق سعادة للإنسان في وقت الرخاء، يسر بلقائهم، ويشترك معهم في أعمال البر والإحسان والإصلاح، فإذا نزل البلاء وجد الجد فهم عدة لإخوانهم يتسابقون إلى البذل والتضحية ويتنافسون في أداء الأعمال الشاقة، ويؤثرون على أنفسهم وإن كانت بهم خصاصة[1]، فهذه بعض الحكم العمرية التي سارت بين الناس، فإذا كان نقاد الأدب لا يزالون يعجبون بحكم المتنبي، ويرون فيها خلاصة لتجارب الناس في عصره، فإن حكم المتنبي لا يمكن أن تذكر مع كلمات عمر ولا تجري معها في ميدان، إن المتنبي لخص في حكمه تجارب الناس، وعمر وضع في كلماته (الحكم) للناس، إن من كلماته ما كان دستوراً للحكم أو للقضاء أو للأخلاق، دستوراً كاملاً ولكنه لم يجئ في مواد مطولة ولم يكتب بلغة القوانين، بل جاء حكمة سائرة، ومثلاً مأثوراً، في لغة هي في البيان غاية الغايات من مثل قوله: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ وقوله: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللَّيِّن في غير ضعف والقويُّ في غير عنف، وقوله: أريد للإمارة رجلاً، إن كان في القوم وهو أميرهم ظَنَّ واحداً منهم، وإن كان فيهم وهو واحد منهم ظن أنه أميرهم، وقوله في الولاة: أشكو إلى الله ظلم القوي، وعجز التقي، وقوله: مَن لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه، وقوله: لست بخب ولا الخب يخدعني[2]. وقوله: ما أمر الله تعالى بشيء إلا وأعان عليه، ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه[3].

---

(1) التاريخ الإسلامي (20/ 272).

(2) أخبار عمر ص212. «الخب»: الخدّاع، وهو الذي يسعى بين الناس بالفساد.

(3) أدب الدنيا والدين ص311 للماوردي، فرائد الكلام ص111.

ثانياً: جعله المدينة داراً للفتوى والفقه:

لما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، وموطن الخلافة، وفيها تفتق عقل الصحابة، في استخراج أحكام إسلامية، تصلح لما جدّ من شؤون في المجتمعات الإسلامية، بعد الفتوح التي كثرت، واتسعت بها رقعة الإسلام، فقد كانت المدينة تحتل المكانة المرموقة بين سائر الأمصار، فالمجتمع المدني عاش فيه رسول الله ﷺ، وتربى فيه على يديه النواة الأولى لخير أمة أخرجت للناس، وبذلك أصبح لا يدانيه أي مجتمع آخر... وكان لوجود عمر على رأس الخلافة في المدينة - مدة عشر سنوات - لخصائصه الذاتية، وسياسته في الحكم، أثر كبير في جعل المدينة المدرسة الأولى للحديث، والفقه والتشريع في القرنين الأول والثاني، وذلك لما يأتي:

- إن المدينة كانت في عهد عمر مجمع الصحابة، وخصوصاً ذوي السبق منهم في الإسلام، استبقاهم عمر حوله، حرصاً عليهم، ورغبة في أن يكونوا عوناً له في سياسة الأمة، واستعانة بعلمهم، واعتماداً على إخلاصهم، واسترشاداً بآرائهم ومشورتهم، وقد بقي علم هؤلاء الصحابة بالمدينة فبلغ فقهاء الصحابة المفتون 130 مائة وثلاثين صحابيًّا وكان المكثرون منهم سبعة: عمر، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، قال أبو محمد بن حزم: ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم[1].

والمتوسطون من الصحابة فيما روي عنهم من الفتيا: أبو بكر، لقصر المدة التي عاشها بعد رسول الله ﷺ، وأم سلمة، وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، ومعاذ بن جبل، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وعبادة بن الصامت قالوا: ويمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير[2]، وجلٌّ من ذكرتهم بقي في المدينة في عهد عمر بن الخطاب، إلا من كانت له مهمة تعليمية أو جهادية كلفه بها الفاروق نتيجة لتوسع الدولة، واحتياج البلاد المفتوحة لمن يعلم أهلها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد أثمرت سياسة عمر رضي الله عنه في جعل المدينة دار الفقه والعلم ومنزل أهل الرأي والمشورة، ومما يدل على نجاح تلك السياسة ما رواه ابن عباس حيث قال: كنت أُقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر في آخر حجّة حجّها، إذا رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال:

---

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام، محمد شراب (2/ 45).

(2) المصدر نفسه.

يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان، يقول: لو قد مات عمر، لقد بايعت فلاناً فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمّت، فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن فقلت: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإن الموسم يجمع رَعَاع الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيّرها عنك كل مطيّر، وألا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال عمر: أما والله - إن شاء الله - لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة[1].

قال ابن حجر: واستُدلَّ بهذا الحديث على أن أهل المدينة مخصوصون بالعلم والفهم؛ لاتفاق عبد الرحمن بن عوف وعمر على ذلك، قال: وهو صحيح في حق أهل ذلك العصر - عصر عمر - ويلتحق بهم من ضاهاهم في ذلك ولا يلزم من ذلك أن يستمر ذلك في كل عصر، ولا في كلِّ فرد[2]، وقد أثر ذلك العصر في المدارس العلمية التي نشأت مع تطور المجتمع وتوسع الفتوحات، فقد كان تلاميذ مدرسة عمر في المدينة، ونشروا علمهم بالمدينة، فنشأ تلاميذ صاروا أعلاماً لقربهم من المنهل، ولبقائهم في البيئة المدنية، وبعض تلاميذ عمر تمّ إرسالهم إلى البلدان المفتوحة لتعليم وتفقيه وتربية الشعوب التي دخلت في الإسلام.

ولقد تصدرت المدينة مكاناً عالياً في العلم والفقه وأثرت مدرسة المدينة في الأقطار المفتوحة والمدارس التي تشكلت كالبصرة والكوفة وغيرها ويأتي تعاقب مركزية الفقه في المدينة كالتالي:

- المدينة مهبط الوحي، والتشريع، ولا ينازعها بلد في العصر الراشدي.

- في عهد الخلفاء الراشدين، كانت المدينة مركز فقهاء الصحابة وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه.

- قتل عثمان سنة 35 هـ، وانتقل عليٌّ إلى الكوفة، ومع ذلك بقيت المدينة مركز أهل العلم والفتوى بسبب امتداد عُمُر الصحابة الفقهاء، في المدينة، حتى عمروا أكثر النصف الثاني من القرن الأول وهم: عائشة وأبو هريرة وجابر بن عبد الله، وابن عمر وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

- نشأت مدرسة كبار التابعين في المدينة، وكان منهم الفقهاء السبعة، الذين لم يوجد لهم نظير في الأمصار الإسلامية. وهم المذكورون في قول الشاعر:

---

(1) البخاري، كتاب الحدود رقم 6830.

(2) الفتح (12/ 155)، المدينة فجر الإسلام (2/ 46).

ألا كـلُّ مَـن لا يَـقْـتَـدِي بـأئـمَّـةٍ فقسمتُهُ ضِيزَى عنِ الحقِّ خَارِجَهْ
فَـخُـذهُـمْ عُـبـيـدُ اللهِ عـروةُ قـاسـمٌ سعيدٌ أبو بكرٍ سليمانُ خَارِجَهْ

- وجاءت الطبقة الثانية من التابعين (صغار التابعين) وعاشوا حتى أواخر النصف الأول من القرن الثاني أذكر منهم: ابن شهاب الزهري، ونافع بن أسلم، ويحيى بن سعيد الأنصاري.

- ثم جاء عصر الإمام مالك، وهو من تابعي التابعين، فكان من أعلم الناس بعلم من سبقه من التابعين كبارهم وصغارهم.

ويشهد لعلم أهل المدينة، احتياج أهل الأمصار إلى علم الحجاز، ورحلتهم إليه في طلبه بما لم يُعرف للأمصار الأخرى، فقد رحل علماء الأمصار الإسلامية إلى المدينة في طلب العلم، وعرض ما لديهم على علمائهم، فكانوا المرجع في هذا الشأن، وقد ذهب علماء المدينة إلى الأمصار قضاة ومعلمين[1]، ابتداءً من الذين أرسلهم عمر ﷺ لما فتحت الشام والعراق لتعليم الناس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد ذهب إلى العراق عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، وعمران بن حصين، وسلمان الفارسي، وغيرهم، وذهب إلى الشام معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء، وبلال بن رباح، وأمثالهم، وبقي عنده مثل عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، ومثل: أبيّ بن كعب، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وكان ابن مسعود - وهو أعلم من كان بالعراق من الصحابة إذ ذاك - يفتي بالفتيا، ثم يأتي المدينة فيسأل علماء أهل المدينة، فيردونه عن قوله فيرجع إليهم[2].

لقد أثرت المدرسة المدنية في بقية المدارس، وكان سائر أمصار المسلمين غير الكوفة منقادين لعلم أهل المدينة، لا يعدُّون أنفسهم أكفاءهم في العلم، كأهل الشام ومصر، مثل الأوزاعي ومن قبله وبعده من الشاميين، ومثل الليث بن سعد ومن قبله ومن بعده من المصريين، وإن تعظيمهم لعمل أهل المدينة واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهرٌ بيِّنٌ، وكذلك علماء أهل البصرة، كأيوب، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدي، وأمثالهم، ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة في هذه الأمصار[3].

لقد كانت ثقة أهل الأمصار في علم أهل المدينة، تجعلهم يقدمونه على كل علم لما روى الخطيب البغدادي: أن محمد بن الحسن الشيباني كان إذا حدثهم عن مالك، امتلأ عليه

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 47).
(2) الفتاوى (20/ 172).
(3) الفتاوى (20/ 174).

منزله، وإذا حدثهم عن غير مالك لم يجبه إلا القليل من الناس، فقال: ما أعلم أحداً أسوأ ثناء على أصحابه منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليّ الموضع، وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتون متكارهين[1].

ويتفاضل غير أهل المدينة بقدر ما يأخذونه من علم أهل المدينة ويرون في علم أهل المدينة معياراً للتفوق، فيقول مجاهد وعمرو بن دينار وغيرهما من أهل مكة: لم يزل شأننا متشابهاً متناظراً حتى خرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة، فلما رجع استبان فضله علينا[2].

إن من أسباب الثروة الفقهية التي حظيت بها المدينة أيام عمر بن الخطاب: شخصية عمر ابن الخطاب المُلْهَمَة، وقد شهد رسول الله ﷺ لعمر بذلك، لما رآه موفقاً في آرائه.

وقد جعل من عاصمة الدولة مدرسة تخرج منها العلماء والدعاة والولاة والقضاة، وإذا نظرنا في المدارس العلمية الأولى في العالم الإسلامي رأينا الأثر العمري عليها؛ لأن كل المؤسسين - تقريباً - تأثروا بفقه الفاروق رضي الله عنه، وإليك نبذة مختصرة عن هذه المدارس:

1 - المدرسة المكية:

احتلت هذه المدرسة المكانة في قلوب المؤمنين، الساكنين، والثائبين إلى بلد الله الحرام، الحجاج، والعمار، والزوار، بل أخذت مكة بألباب كل مؤمن رآها، أو تمنَّى أن يراها، ولقد كان العلم بمكة يسيراً زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصرهم وكذلك في أيام التابعين، وزمن أصحابهم، كابن أبي نجيح، وابن جريج[3]، إلا أن مكة اختصت زمن التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما الذي صرف جل همه، وغاية وسعه إلى علم التفسير، وربى أصحابه على ذلك، فنبغ منهم أئمة كان لهم قصب السبق بين تلاميذ المدارس في التفسير، وقد ذكر العلماء مجموعة من الأسباب أدت إلى تفوق هذه المدرسة، أهم هذه الأسباب والأساس فيها إمامة ابن عباس رضي الله عنهما وأستاذيته لها[4].

وقد تحدث العلماء عن مجموعة من الأسباب أهلت ابن عباس رضي الله عنهما وقدمته على غيره من الصحابة في فهم كتاب الله والقدرة على تفسيره، وهي على الإجمال: دعاء النبي ﷺ له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل، الأخذ عن كبار الصحابة، قوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط، اهتمامه بالتفسير، منهجه المتميز في تعليم أصحابه، حرصه على نشر العلم،

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 48).
(2) المصدر نفسه.
(3) الإعلان والتوبيخ لمن ذم التاريخ ص292.
(4) تفسير التابعين (1/ 371) د. محمد الخضري.

رحلاته وأسفاره، تأخر وفاته، قرب منزلته من عمر ﷺ [1]، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس ما زال شابًّا غلاماً، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعبي، عن ابن عباس ﷺ قال: قال لي أبي: يا بني، أرى أمير المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستشيرك، مع أناس من أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ عني ثلاثاً: اتق الله لا تفشين له سرًّا، ولا يُجرين عليك كذبة، ولا تغتابن عنده أحداً[2].

وكان عمر ﷺ يدخله مع أكابر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنباط، وقد قال ابن عباس ﷺ: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد ﷺ، فكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه[3].

وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه مَن هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أُذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه، فيحثه، ويحرضه على الحديث تنشيطاً لنفسه، وتشجيعاً له في العلم[4]، كما مر معنا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: 266] وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1].

وكان لعمر ﷺ مجلس يسمع فيه من الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا صلى السُّبحة، وفرغ، دخل مِربداً له[5]، فأرسل إلى فتيان قد قرؤوا القرآن، منهم ابن عباس، قال: فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسون، فإذا كانت القائلة انصرف، قال فمروا بهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ و﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 206، 207]، فقال ابن عباس لبعض مَن كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان، فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى هاهنا مَن إذا أُمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى مَن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل،

(1) المصدر نفسه (1/ 374 - 395).
(2) الحلية (1/ 318)، تفسير التابعين (1/ 376).
(3) المستدرك (3/ 539) وصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبي.
(4) تفسير التابعين (1/ 377).
(5) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان الذي يجعل فيه التمر.

وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشتري نفسي! فقاتله، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يا ابن عباس[1].

وكان عمر ﷺ يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غوّاص[2]، بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يا ابن عباس قد طرأت علينا أقضيةٌ عضلٌ، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه إذا كانت العضل[3]، وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحداً أحضر فهماً، ولا ألب لبًّا، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس.

ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمُعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين، والأنصار[4]، وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لساناً سؤولاً، وقلباً عقولاً[5]، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحداً[6]، وكان ابن عباس ﷺ كثير الملازمة لعمر، حريصاً على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان ﷺ من أكثر الصحابة نقلاً ورواية لتفسير عمر وعلمه ﷺ وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع[7]، هذا بعض ما لقيه ابن عباس إمام المدرسة المكية من عناية الفاروق وتقريبه له ﷺ وأظن أن هذا مما أعان ابن عباس وشجعه للمضي قُدُماً في طريق العلم عامة والتفسير خاصة[8].

2 - المدرسة المدنية:

قد تحدثنا عن اهتمام عمر بالمدينة وجعلها داراً للفتوى والفقه والعلم، وأشهر مَن تفرغ في المدينة للحياة العلمية زيد بن ثابت ﷺ، فقد استبقاه عمر بن الخطاب ﷺ في المدينة، فكثر أصحابه، يقول ابن عمر ﷺ: فرق عمر الصحابة في البلدان، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة يفتي أهلها، ويقول حميد بن الأسود: ما تقلد أهل المدينة قولاً بعد زيد بن ثابت كما

---

(1) تفسير الطبري (4/ 245) الدر المنثور (1/ 578).
(2) فضائل الصحابة لأحمد رقم 1940.
(3) تفسير التابعين (1/ 379).
(4) طبقات ابن سعد (2/ 369).
(5) تفسير التابعين (1/ 379)، فضائل الصحابة لأحمد رقم 1555.
(6) طبقات ابن سعد (2/ 370).
(7) تفسير التابعين (1/ 381).
(8) تفسير التابعين (1/ 506).

تقلدوا قول مالك[1]، وكان أحد الصحابة الذين قيض الله لهم أصحاباً حفظوا أقوالهم، ونشروا علمهم، وآثارهم[2]، وقال عامر الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: غلب زيد الناس على اثنين، على الفرائض، والقرآن[3]، وقد شهد رسول الله ﷺ لزيد في علم الفرائض، فقال: «**وأفرضكم زيد**»[4]، وقد صحب زيداً عدد من فقهاء المدينة، وقد اشتهر من أصحابه والآخذين عنه ستة من التابعين، يقول ابن المديني: فأما مَن لقي زيداً، وتثبت عندنا أنه لقيه فهم: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد، وأبان بن عثمان، وسليمان ابن يسار[5]، وقد كان لمدرسة المدينة الأثر الكبير كما بيَّنا في المدارس العلمية الأخرى.

3 - المدرسة البصرية:

أول من مصَّر البصرة عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اختطها سنة أربعة عشرة، وقيل غير ذلك، بأمر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى عند حديثنا عن التطوير العمراني في السياسة العمرية، وهي أقدم من الكوفة بثلاث سنين[6]، وهي منافسة لمدرسة الكوفة في كل الفنون، وقد نزلها من الصحابة جمع كثير[7]، منهم أبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعدة من الصحابة كان خاتمتهم أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [8]، ومن أشهر مَن نزل البصرة أبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأما أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان فيمن قدم مكة، وأسلم، وهاجر إلى الحبشة مع مَن هاجر، وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها[9]، وقد تأثر أبو موسى بعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وكانت بينهما مراسلات، سنأتي عليها بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة، وكان أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع، والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» في الطبقة الأولى من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال عنه: كان عالماً عاملاً صالحاً

---

(1) العلل لأحمد (3/ 259) 5145، تفسير التابعين (1/ 506).
(2) تفسير التابعين (1/ 506).
(3) تهذيب تاريخ دمشق (5/ 449)، تفسير التابعين (1/ 508).
(4) سنن الترمذي قال الترمذي: حديث حسن صحيح رقم 3791.
(5) تفسير التابعين (1/ 510).
(6) المصدر نفسه (1/ 422).
(7) عدّ ابن حبان أكثر من خمسين صحابيًا من المشاهير الذين دخلوا البصرة، المصدر السابق نفسه.
(8) طبقات ابن سعد (7/ 26)، مسلم (1/ 65).
(9) تفسير التابعين (1/ 423).

تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيباً مباركاً، أقرأ أهل البصرة وأفقههم[1].

وقد كان ﷺ كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، علي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى[2].

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة المنورة يحرص على مجالس عمر ﷺ، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى ﷺ أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء، فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة، قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة[3]، وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعلم كان أيضاً حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: مَن علمه الله علماً فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[4].

وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل ﷺ الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم[5]، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر ﷺ إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن[6]، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل ﷺ كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته

(1) تذكرة الحفاظ (1/ 23).
(2) سير أعلام النبلاء (2/ 389).
(3) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز ص121.
(4) الطبقات (4/ 107).
(5) سير أعلام النبلاء (2/ 289).
(6) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ص125، 126.

الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحِلَق، فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم[1]، فالقرآن الكريم شغله الشاغل رضي الله عنه، صرف له معظم أوقاته في حِلّه وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلِّم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس[2] ولا تُسمعها إياه[3]، حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلِّم ويفقِّه، فعن حطّان بن عبد الله الرّقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلّى بهم، ثم جلسوا حِلقاً، فلمّا حضرت العصر نادى منادي العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضاً فأمر مناديه: لا وضوء إلا على مَن أحدث. وأثمرت جهوده العلمية رضي الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفّاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم، كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قِبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال[4].

واهتم أبو موسى رضي الله عنه بتعليم السنة وروايتها، فروى عن رسول الله ﷺ الكثير، كما روى عن كبار الصحابة رضي الله عنهم، وروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي رحمه الله: حدّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النَّهدي وخلق سواهم[5].

وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبي ﷺ، دلَّ على ذلك ما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي ﷺ مخافة الزلل والخطأ، وقد كان عمر يوصي عماله أن يهتموا بالقرآن، وألا يكثروا من رواية السنة وكان أبو موسى شديد الطاعة لعمر[6]، وأما أنس بن مالك النجاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، كان يتسمى بذلك

(1) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ص127.
(2) أي: عاقل فطن.
(3) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ص128.
(4) المصدر نفسه ص129.
(5) سير أعلام النبلاء (2/ 381).
(6) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم المجاهد ص132.

ويفتخر به وحق له ذلك[1] فيقول ﷺ : خدمت النبي ﷺ عشر سنين وأنا غلام[2] ويقول أيضاً: قدم رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين ومات وأنا ابن عشرين سنة[3]، وقد دعا له النبي ﷺ بكثرة المال، والولد، والمباركة في العمر فقال عليه الصلاة والسلام: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه**»[4]، قال الذهبي: وقد سرد صاحب التهذيب نحو مئتي نفس من الرواة عن أنس[5]، وروى ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على مائة وثمانين حديثاً، وانفرد البخاري بثمانين حديثاً، ومسلم بتسعين[6]، ويعتبر أنس بن مالك ﷺ شيخ السادة من علماء التابعين أمثال: الحسن البصري، وسليمان التيمي، وثابت البناني، والزهري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وإبراهيم بن ميسرة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبير، وقتادة وغيرهم[7].

وقد اهتم أنس بخدمة السنة رواية وتعليماً وغلبت عليه الصفة العلمية، فقد قام ببعض الأعمال الهامة في خدمة الخلافة الراشدة، وأسند إليه الخلفاء الراشدون ﷺ بعض المناصب الرفيعة في الدولة المسلمة، وخاصة في عهد أبي بكر وعمر ﷺ، ولما تولى أبو موسى الأشعري ﷺ ولاية البصرة في عهد عمر قرّب أنساً واعتبره من خاصته، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً، فتعال فلنذكر ربما ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس - ما بطأ بهم -؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عُجّلت الدنيا وغُيّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عَدَلوا ولا ميّلوا[8]، ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس[9]، وبعد فتح تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[10].

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات (1/ 127).
(2) تفسير التابعين (1/ 423).
(3) مسلم رقم 2029.
(4) مسلم رقم 2481.
(5) سير أعلام النبلاء (3/ 397).
(6) المصدر نفسه (3/ 406)، تفسير التابعين (1/ 423).
(7) أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز ص135.
(8) المصدر نفسه السابق ص149.
(9) أنس بن مالك، الخادم الأمين ص149.
(10) المصدر نفسه.

وقد روى عن أنس خلق عظيم من الصحابة والتابعين، لا سيما في البصرة، وقد ترك أثره في الزهد والعبادة فيمن حوله من الناس، وكان أنس حريصاً على تعليم أصحابه، شديد المحبة لتلاميذه يدنيهم ويكرمهم، قائلاً: ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ والله لأنتم أحب إلي من عدة ولدي إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم، وإني لأدعو لكم بالأسحار[1]، مما مكنَه من إنشاء جيل من العلماء الذين أخذوا عنه علم الحديث وبلغوه للآخرين وحملوه للأجيال من بعدهم، وبقي أصحاب أنس الثقات إلى ما بعد الخمسين ومئة[2].

4 - المدرسة الكوفية:

نزل الكوفة ثلاثمئة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر، ﷺ أجمعين، وكتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة قائلاً: يا أهل الكوفة، أنتم رأس العرب، وجمجمتها، وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيء من هاهنا، وهاهنا، قد بعثت إليكم بعبد الله وخِرْت لكم، وآثرتكم به على نفسي[3].

وفي رواية عنه قال: أما بعد فإني بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبد الله معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وإني قد آثرتكم، بعبد الله على نفسي إثرة[4]، وقد اهتم عمر بالكوفة ووجه ابن مسعود، فكتب إليه: إن القرآن نزل بلسان قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل[5].

وعندما شيع جماعة من الصحابة قاصدين الكوفة قال لهم: إنكم تأتون أهل قرية - يعني الكوفة - لهم دَوِيٌّ بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جرِّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وامضوا وأنا شريككم[6]، لقد كان عمر يفضل الاشتغال بالقرآن عن الاشتغال بالسنة، ويظهر لنا ذلك في أنه لما أراد أن يكتب السنة استشار أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فأشاروا عليه: أن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أُلبس كتاب الله بشيء أبداً[7].

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 395).
(2) الأنصار في العصر الراشدي ص271.
(3) مجمع الزوائد (9/ 291) رجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة.
(4) السلطة التنفيذية (1/ 252).
(5) الفتح (8/ 625)، الخلافة الراشدة، د.يحيى ص309.
(6) طبقات ابن سعد 6/ 7 فقه عمر، قلعجي ص 659.
(7) تاريخ المدينة (2/ 770)، موسوعة فقه عمر ص659.

لقد كانت منهجية الفاروق تعتمد على ترسيخ القرآن الكريم في نفوس الناس وعدم صرفهم عنه، حتى تتأصل معانيه في حياة المجتمع، وتستقر علومه ويميز الناس بينه وبين سواه، من العلوم الإسلامية الأخرى بما فيها الحديث النبوي[1]، فالتأكيد على القرآن الكريم كان منذ عهد رسول الله ﷺ والتحذير من الانصراف إلى غيره كان منذ ذلك العصر أيضاً وما كان عمر رضي الله عنه إلا متبعاً لتعاليم النبي ﷺ[2].

اجتهد عبد الله بن مسعود في إيجاد جيل يحمل دعوة الله فهماً وعلماً وكان له الأثر البالغ في نفوس أصحابه الملازمين له أو من جاء بعدهم، وقد شهد له الفاروق بالعلم، فعن زيد بن وهب، قال: كنت جالساً في القوم عند عمر، إذ جاء رجل نحيف قليل، فجعل عمر ينظر إليه ويتهلل وجهه، ثم قال: كنيف ملىء علماً، كنيف مُلىء علماً، كنيف مُلئ علماً، فإذا هو ابن مسعود[3]، وقد تأثرت مدرسة الكوفة بابن مسعود فقد كانت من أكثر المدارس اقتداءً ومتابعةً لأستاذها حتى بعد موته، فإن تأثيره قد بقي في الكوفة بعده مدة طويلة[4]، وقد تأثر رضي الله عنه بفقه عمر غاية التأثر، وكان يدع قوله لقوله، وكان يقول: لو أن علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع في كفة الميزان، ووضع علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[5].

وقد برز ابن مسعود رضي الله عنه بين الصحابة، وسبق في علم القراءة، وقد تلقى من فِيِّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة من القرآن، فعن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد الله بن مسعود، فقال: والله لقد أخذت من فِيِّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم[6]، وعن مسروق: ذُكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل**»[7]، وقد عرف عمر الفاروق رضي الله عنه لابن مسعود قدره في علم القراءة والإقراء، فعن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر، وهو يعرفه، فقال: يا أمير المؤمنين، جئت من الكوفة، وتركت بها مَن يملأ المصاحف عن ظهر قلبه قال: فغضب عمر رضي الله عنه، وانتفخ،

(1) الأنصار في العصر الراشدي ص268.
(2) المصدر نفسه ص260.
(3) طبقات ابن سعد (3/ 156)، الحلية (1/ 129).
(4) تفسير التابعين (1/ 462).
(5) العلم لأبي حنيفة ص123، تفسير التابعين (1/ 463).
(6) البخاري رقم 5000.
(7) البخاري رقم 3758.

حتى كاد يملأ ما بين شعبتي الرجل، ثم قال: ويحك مَن هو؟ قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطفئ، ويسري الغضب، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما أعلمه بقي أحد من المسلمين هو أحق بذلك منه[1]، وقد ترك ابن مسعود مجموعة من التلاميذ اشتهروا بالفقه، والعلم، والزهد والتقوى، منهم: علقمة بن قيس، مسروق بن الأجدع، عبيدة السلماني، أبو ميسرة بن شرحبيل، الأسود بن يزيد، الحارث الجعفي، مرة الهمداني[2].

5 - المدرسة الشامية:

بعد فتح الشام كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب ﷺ كتاباً جاء فيه: إن أهل الشام كثروا وملؤوا المدائن واحتاجوا إلى مَن يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعنّي يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء ﷺ، فأرسلهم لهذه المهمة وقال لهم: ابدؤوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم مَن يتعلم بسرعة، فإذا رأيتم ذلك فعلموا طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، ويخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس ما وصلوا إليه من مستوى علمي أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين[3].

كانت المدارس العلمية التي أنشأ نواتها الفاروق في البلدان المفتوحة تقوم بدور في تعليم الناس وتربيتهم، فالمدرسة الشامية قامت على أكتاف معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت ﷺ وغيرهم من الصحابة، فأبو الدرداء ﷺ كانت له حلقة عظيمة في مسجد دمشق يحضرها ما يزيد على ألف وستمائة شخص، يقرؤون عشرة عشرة، ويتسابقون عليه، وأبو الدرداء واقف يفتي الناس في حروف القرآن[4]، ويعد أبو الدرداء أكثر الصحابة أثراً في الشام ودمشق، يقول الذهبي: وكان أبو الدرداء عالم أهل الشام، ومقرئ أهل دمشق، وفقيههم وقاضيهم[5].

وكان ﷺ من قراء الصحابة المعدودين[6]، وكان ﷺ يحث أهل الشام على طلب العلم قائلاً: ما لي أرى علماءكم يذهبون وأرى جهَّالكم لا يتعلمون؟ اعلموا قبل أن يرفع

(1) المستدرك (2/ 227) صححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(2) تفسير التابعين (1/ 472 إلى 484).
(3) الأنصار في العصر الراشدي ص259.
(4) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي (1/ 607).
(5) التذكرة (1/ 24).
(6) تفسير التابعين (1/ 526).

العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء[1]، ومن حثه على طلب العلم قوله: كن عالماً أو متعلماً أو محباً أو متبعاً ولا تكن الخامسة فتهلك، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: الخامسة المبتدع[2]، وقوله: اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم[3]، ألا فتعلموا وعلِّموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدها[4]، ولن تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولا تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً[5]، وكان يقول: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً[6]، وقيل لأبي الدرداء: ما لك لا تقول الشعر؟ فإنه ليس رجل له بيت من الأنصار إلا وقد قال الشعر؟! قال: وأنا قد قلت فاسمعوا:

يريدُ المرءُ أن يُعطى مُناهُ ... ويأبَى اللهُ إلا ما أرادَا
يقولُ المرءُ فائدَتي ومالِي ... وتقوى اللهِ أفضلُ ما استفادا[7]

وقد جاء في رواية: أن أباد الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يوليه في الشام فأبى، فأصر عليه، فقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذا رضيت مني أن أذهب إليهم لأعلِّمهم كتاب ربهم، وسنة نبيهم وأصلي بهم ذهبت، فرضي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منه بذلك[8].

ومن إلمام أبي الدرداء بكثير من العلم، ازدادت مكانته في نفوس المسلمين، فاجتمع حوله كثير من طلاب العلم، فمن سائل عن فريضة، ومن سائل عن حساب، وسائل عن حديث، وسائل عن معضلة، وسائل عن شعر[9]، ولهذا كان أثره العلمي واسعاً في الشام ولا سيما في تعليم القرآن[10]، وكذلك أثره الوعظي فقد قام في أهل الشام ذات يوم فقال لهم: يا أهل الشام! ما لكم تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، ألا وإن عاداً وثمودَ، كانوا قد ملؤوا ما بين بصرى وعدن أموالاً وأولاداً ونعماً، فمن يشتري مني ما تركوه بدرهمين[11]، وقد كانت مثل هذه التعاليم تنسجم مع السياسة العمرية الرامية إلى تهيئة الأمة، وإدامة جاهزيتها الجهادية[12].

وأما معاذ بن جبل الخزرجي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد استفاد منه أهل اليمن ثم أهل الشام وكان عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يثني على معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيحدث أصحابه قائلاً: إن معاذاً ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120]، قالوا: وما الأمة؟ قال: الذي يعلم الناس

(1) الأنصار في العصر الراشدي ص256.
(2) المصدر نفسه.
(3) الطبقات (1/ 430).
(4) صفة الصفوة (1/ 628).
(5) سير أعلام النبلاء (2/ 347).
(6) الطبقات (1/ 430).
(7) الأنصار في العصر الراشدي ص256.
(8) أصحاب الرسول ﷺ (2/ 209).
(9) الأنصار في العصر الراشدي ص256.
(10) المصدر نفسه ص256.
(11) الاكتفاء للكلاعي (3/ 311).
(12) الأنصار في العصر الراشدي ص120.

الخير، ثم قال: هل تدرون ما القانت؟ قالوا: لا. قال: القانت المطيع لله[1]، وإن معاذاً كان كذلك، فقد كان ابن مسعود يشبِّه معاذاً بالنبي إبراهيم الخليل عليه السلام لما هو عليه من السمو العلمي والمكانة الفقهية والخلقية، وذلك لما امتاز به معاذ رضي الله عنه من فهم عميق للفقه الإسلامي، أعطاه قدرة على الإجابة عن المعضلات مما أوجد له القبول والإعجاب بين المسلمين[2]، قال عنه عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ[3].

وكان عمر إذا حزبه أمر يستشير أهل الشورى ومعهم من الأنصار: معاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت[4] لما يتمتعون به من الفقه والتفسير الواقعي والعملي للأحداث، ولما كان لديهم من خبرة في ذلك؛ إذ كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ: وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحب سماع حديث معاذ وأبو الدرداء، فيقول: حدثونا عن العاقلين، فيقال: من العاقلان؟ فيقول: معاذ وأبو الدرداء الأنصاريان[5]، ولما خطب الخليفة عمر بن الخطاب بالجابية قال: مَن كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل[6]، وكان رأي عمر في بداية عهد الصديق أن الخلافة لا تستغني عن وجود معاذ بن جبل في عاصمتها وكان معارضاً لخروجه من المدينة، فكان يقول بعد خروج معاذ إلى الشام: لقد أخلَّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلَّمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى عليّ وقال: رجل أراد الشهادة فلا أحبسه، فقلت: والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيم الغنى عن مصره[7]، ويبدو أن الفاروق غيَّر رأيه فيما بعد فقد أرسله لتعليم أهل الشام وأقرّه على البقاء فيها.

وقد كان لخروج معاذ بن جبل إلى الشام أثر كبير لما ترك من العلم والفقه ولما أثبت من جدارة في ذلك، قال أبو مسلم الخولاني: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ وإذا فيهم شاب أكحل العينين برّاق الثنايا ساكت لا يتكلم فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل[8]، وكان معاذ رضي الله عنه يحث على طلب العلم فيقول: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة،

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 450).
(2) الأنصار في العصر الراشدي ص285.
(3) تهذيب الكمال (28/ 113) للمزي نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي.
(4) الطبقات (1/ 426).
(5) الأنصار في العصر الراشدي ص285.
(6) سير أعلام النبلاء (1/ 452).
(7) الأنصار في العصر الراشدي ص285، سير أعلام النبلاء (1/ 285).
(8) الأنصار في العصر الراشدي ص285.

ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والدين عند الأجلاء، يرفع الله تعالى به أقواماً، ويجعلهم في الخيرة قادة وأئمة تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم وينتهي إلى رأيهم[1].

وقد بقي في الشام يعلم الناس دينهم إلى أن أصيب في طاعون عمواس، فبكاه أصحابه فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: نبكي على العلم الذي ينقطع عنا عند موتك، قال: إن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، ومن ابتغاهما وجدهما في الكتاب والسنة، فاعرضوا على الكتاب كل الكلام ولا تعرضوه على شيء من الكلام[2].

فالقرآن عند معاذ هو الميزان الذي يقاس عليه كل شيء ولا يقاس هو على غيره، هذه هي منهجية معاذ في تعليمه للقرآن، بقي متمسكاً بذلك إلى آخر لحظة في حياته، فكان وهو في غمرات الموت كلما أفاق فتح عينيه ثم قال: ربي اخنقني خنقك فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك[3].

وأما عبادة بن الصامت ﷺ، فقد وجهه عمر الفاروق إلى الشام قاضياً ومعلماً، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، فولي قضاءها، واستقر به المقام فيها، فكان أول مَن تولى قضاء فلسطين، وكان أيضاً يعلم أهلها القرآن، وظل على هذا النحو إلى أن مات بها[4]، وقد أسهم عبادة بنصيب كبير في تنفيذ سياسة الفاروق ﷺ العلمية والتربوية والجهادية، وكان ﷺ من أهل الزهد والخشونة فعندما وصل إلى حمص قال لأهلها: ألا إن الدنيا عرض حاضر، وإن الآخرة وعد صادق... ألا وإن للدنيا بنين وإن للآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها بنوها[5]، فهذه المعاني كان عمر ﷺ يحرص على ترسيخها في نفوس المسلمين، ويختار من الصحابة الكرام ﷺ مَن يستطيع أن يذكّر الناس بها وتتجسد هذه المعاني في سيرته، وكان ﷺ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فعندما كان قاضياً في فلسطين، أنكر على والي الشام شيئاً وقال: لا أساكنك بأرض فرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال:

---

(1) المصدر نفسه ص285، حلية الأولياء (1/ 239).
(2) صفة الصفوة (1/ 501)، الأنصار في العصر الراشدي ص84.
(3) صفة الصفوة (1/ 501).
(4) عبادة بن الصامت صحابي كبير وفاتح مجاهد د. وهبة الزحيلي ص84.
(5) الاكتفاء للكلاعي (3/ 310).

ارحل إلى مكانك فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك فلا إمرة له عليك[1].

فعاد إلى الشام داعية ومعلماً وقدوة في مجتمعه، وبعث عمر ﷺ - أيضاً - عبد الرحمن ابن غنم الأشعري إلى الشام يفقه الناس. فمعاذ وأبو الدرداء وعبادة ﷺ هم الأعمدة الرئيسة التي اعتمد عليها عمر في تأسيس المدرسة الشامية التي قامت بالدعوة والتعليم والتربية في تلك الديار، وكان معهم مجموعة خيرة من الصحابة الكرام، وعلى يد هؤلاء الصحب الكرام تعلم التابعون بالشام، وكانوا كثيرين إلا أن أشهرهم عائذ الله بن عبد الله أبو إدريس الخولاني، ومكحول أبو عبد الله الدمشقي وغيرهم كثير[2].

6 - المدرسة المصرّية

كان في جيش عمرو بن العاص ﷺ الذي فتح مصر الكثير من الصحابة، إلا أننا يمكن أن نعد عقبة بن عامر ﷺ أكثر الصحابة، تأثيراً في مصر في النواحي العلمية، وقد أحب أهل مصر عقبة، وَرَوَوْا عنه، ولازموه، حتى قال سعد بن إبراهيم: كان أهل مصر يحدثون عن عقبة ابن عامر، كما يحدث أهل الكوفة عن عبد الله[3]، وتلقى المصريون العلم عن الصحابة، وكان من أشهرهم أبو الخير مرشد ابن عبد الله اليزني، فقد أخذ العلم وتتلمذ على يد عقبة، وعمرو بن العاص[4]، وعبد الله بن عمرو ﷺ.

هذه أهم المدارس التي كان لحركة الفتوحات أثر في نشأتها والتي أشرف على نواتها الأولى الفاروق ﷺ، وقد كان عمر ﷺ إذا اجتمع إليه جيش بعث عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه ليعلم الجند أمور دينهم وما قد يعرض لهم من الأمور والأحكام والقواعد الفقهية والقرآن[5]، وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية احتاجت للمؤسسات العلمية التربوية، فَبُنِيَتْ الأمصار الإسلامية مثل الكوفة والبصرة والفسطاط، فبالإضافة إلى كونها قواعد عسكرية ومراكز لتجمع الجند وأسرهم، أصبحت أيضاً مقرًّا لتجمع العلماء والفقهاء والوعاظ[6]، فقد كان الفاروق يعين الدعاة والمعلمين ويرسلهم إلى البلدان المفتوحة، وقد صرح الفاروق بأن من أهم مقاصد بعث الولاة والأمراء إلى الأمصار أن يقوموا بتعليم الناس، فقد خطب الفاروق ﷺ وقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار وإني إنما بعثتهم عليهم

(1) سير أعلام النبلاء (2/ 122)، الأنصار في العصر الراشدي ص124.
(2) تفسير التابعين (1/ 256 إلى 528).
(3) المصدر نفسه (1/ 540، 541).
(4) حسن المحاضرة (1/ 296).
(5) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (2/ 712).
(6) المصدر نفسه (2/ 712).

ليعدلوا بينهم وليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ﷺ ويقسموا فيهم فيئهم[1] . . . ، وقد فرض الفاروق الأرزاق من بيت مال المسلمين للمعلمين والمفتين حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم في التعليم والإفتاء وحتى الذين يعلّمون الأطفال تكفل الفاروق بأرزاقهم، فقد كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان، فكان عمر يرزق كلاً منهم خمسة عشر (درهماً) في كل شهر[2]، فقد كان نشر التعليم من أهم أهداف الخليفة عمر بن الخطاب، فقد أرسل في البوادي والأمصار مَن يعلمهم دينهم، لم يكتف عمر رضي الله عنه بجهود ولاة الأمصار في نشر التعليم، بل دعمها بالعلماء الذين كان يرسلهم من المدينة، محملين بوصاياه، فقد بعث عشرة من الصحابة رضي الله عنهم وكان فيهم عبد الله بن مغفل المزني ليفقهوا الناس بالبصرة[3]، وكذلك بعث عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فقهاء الصحابة[4].

ويبدو أن التعليم في الشام كان أكثر مركزية من بقية الأمصار؛ لأن عمر رضي الله عنه لما افتتح البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري، وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وشهدوا الجمعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص، وهو على الكوفة، بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر، بمثل ذلك، وكتب إلى أمراء أجناد الشام: لا يتبدوا إلى القرى ويتركوا المدائن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً، ولا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذ أهل الكوفة والبصرة ومصر[5]، فقد اهتم الفاروق بالكوادر العلمية المتخصصة وبعثها إلى الأمصار، وأرشد القادة والأمراء مع توسع حركة الفتوحات بإقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة لتكون مراكز للدين الجديد، ومراكز للعلم والمعرفة ونشر الحضارة الإسلامية، فقد كانت المساجد هي المؤسسات العلمية الأولى في الإسلام، ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الأمة وفق الخطة الاستراتيجية التي سار عليها الفاروق والتي وضعت منذ عصر النبي ﷺ، وقد وصلت المساجد التي يصلى فيها الجمعة في دولة عمر رضي الله عنه إلى اثني عشر ألف منبر[6]، وكانت تقوم بدورها في تعليم الناس وتربيتهم وتهذيب نفوسهم، وعندما احتاج المسلمون إلى فصل مكان تعليم الصبيان عن المساجد أمر عمر رضي الله عنه ببناء بيوت

(1) مسلم رقم 567.
(2) رواه البيهقي (6/ 124)، السلطة التنفيذية (2/ 766).
(3) عصر الخلافة الراشدة ص273.
(4) المصدر نفسه ص273.
(5) المصدرنفسه ص275.
(6) نظام الحكومة الإسلامية (2/ 262).

المكاتب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم[1]، وشجع الفاروق الطلاب على تلقي العلوم ويسَّر سبلها لهم، وأعطاهم المكافآت المالية تشجيعاً لهم، فقد كتب إلى بعض عماله بمنح الجوائز تشجيعاً للمتفوقين، وقد تجلى ذلك في أمره لسعد بن أبي وقاص ﷺ بأن يعطي مَن يتعلم القرآن مما بقي من المال[2]، وهذا التشجيع من الفاروق لأبناء الأمة - الذين إن تفرغوا لتعلم كتاب الله وحفظه فلن يجدوا إلا العون والتشجيع وخصوصاً في الأقاليم التي أهلها حديثو عهد بالإسلام - يفجر الطاقات الكامنة فيها من مقدرة أبنائها على حفظ وفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد كان ﷺ يهتم بكافة العلوم التي لها علاقة بالقرآن والسنة وخصوصاً اللغة العربية، ومن أقواله في ذلك: تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة[3]. وقوله: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض[4]، وقوله: تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه[5]، وقوله: شر الكتابة المشق[6]، وشر القراءة الهذرمة، وأجود الخط أبينه[7]، بل نجد أن الفاروق يعاقب مَن يخطئ في العربيّة وهو في مكان هامٍّ ينبغي أن يكون فيه مجيداً لما كُلف به وتحمله، فقد ورد أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ كتاباً، فكتب إليه عمر: إن كاتبك الذي كتب إليَّ لحن فاضربه سوطاً[8]، وقد روى ابن الجوزي أيضاً: أن كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر فكتب: بسم الله، ولم يكتب السين، فكتب عمر إلى عمرو: أن اضربه سوطاً، فضربه عمرو، فقيل له: في أي شيء ضربك؟ قال: في سين[9].

إن الفاروق ﷺ كان حريصاً على إتقان كل شيء، ولذا لم يترك أمراً من الأمور التي تتصل بالسياسة أو الاقتصاد أو الجيوش، أو التعليم، أو الأدب، أو غير ذلك مما يتصل بحياة الأمة ومجدها وعزتها وقوتها وحضارتها إلا أبدع فيه وأعطاه اهتمامه، ويدلنا ذلك على شمولية سياسته وحسن رعايته للأمة باستعمال الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والحفاظ على أن يكون مستوى الكتابة بين الولاة على مستوى الفصحى في أمة دستورها القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين[10].

كانت خلف المؤسسة العسكرية التي قامت بفتح العراق وإيران والشام ومصر وبلاد

---

(1) السلطة التنفيذية (2/ 768).
(2) أشهر مشاهير الإسلام (2/ 540، 541).
(3) معجم الأدباء (1/ 19).
(4) البيان والتبيين للجاحظ (2/ 219).
(5) ألف باء للجاحظ (1/ 42) أولويات الفاروق ص458.
(6) المشق: تطويل الخط بغير إجادة.
(7) تدريب الراوي للسيوطي ص152.
(8) مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص151.
(9) المصدر نفسه.
(10) أوليّات الفاروق ص458.

المغرب، كوادر علمية وفقهية ودعوية متميزة تربَّت على يدي رسول الله ﷺ في المدينة، وقد استفاد الفاروق من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ووضعها في محلها، فأسست تلك الكوادر الحركة العلمية والفقهية التي كانت مواكبة لحركة الفتح، واستطاع علماء الصحابة الذين تفرغوا لدعوة الناس وتربيتهم أن ينشئوا جيلاً من العارفين بالدين الإسلامي من أبناء المناطق المفتوحة، وقد استطاعو أن يتغلبوا على مشكلة إعاقة الحاجز اللغوي، بل تعلم الكثير من الأعاجم لغة الإسلام، وأصبح كثير من روّاد حركة العلم بعد عصر الصحابة من العجم، لقد أثرت المدارس العلمية والفقهية في المناطق المفتوحة، وشكلت جيلاً من العلماء نقلوا إلى الأمة علم الصحابة وأصبحوا من ضمن سلسلة السند التي نقلت للأمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ويرجع الفضل - بعد الله - في نقل ما تلقاه الصحابة من علم من الرسول ﷺ بالدرجة الأولى إلى مؤسسي المدارس العلمية، بمكة والمدينة، والبصرة، والكوفة، ومصر وغيرها من الأقطار[1]. وقد اهتم الفاروق بأولئك العلماء والفقهاء وتابع أحوالهم وسعيهم، حتى بارك الله في جهودهم وأثمرت تلك الثمار، فأصبحت يانعة.

ثالثاً: الفاروق والشعر والشعراء:

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية كانت نشطة في المدينة أيام عمر بن الخطاب، حيث لا يخلو كتاب في تاريخ الشعر العربي من ذكر عمر بن الخطاب، وبخاصة في موضوع النقد الأدبي. وانتشار الآراء النقدية في زمنه دليل على وجود السماع أو الرواية، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد على الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين ومَن تبعهم بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[2]، ونحو أبيات للنابغة الجعدي[3] وأمية بن أبي الصلت وحسان بن ثابت[4]، فالمراجع في ما يتعلق بالشعر والشعراء في عهد عمر هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الباب.

1 - عمر والشعر:

كان عمر رضي الله عنه أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر وتقويمه، كما كان أكثرهم تمثلاً

(1) الدور السياسي للصفوة ص462 إلى 463.
(2) مجمع الزوائد (8/ 126).
(3) المدينة النبوية فجر الإسلام (2/ 98).
(4) البيان للجاحظ (1/ 241)، الأدب في الإسلام. نايف معروف ص169.

به، حتى قيل: كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر[1]: روي أنه خرج يوماً - وقد لبس بُرداً جديداً فنظر إليه الناس نظراً شديداً، فتمثل قائلاً:

لم تُغن عن هُرمزٍ يوماً خزائنُهُ والخُلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدُوا
أين الملوكُ التي كانت نوافلُها من كل أوبٍ إليها راكبٌ يفدُ
حوضٌ هنالِكَ موروداً بلا كذبٍ لا بدَّ من وردِهِ يوماً كما وردوا[2]

ويروي الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أن عمر كان يحرك في محسِّرٍ ويقول:

إليك تغدوُ قلقاً وضينها مُخالفاً دينَ النصارى دينُها[3]

والبيت لواحد من نصارى نجران أسلم وقد ذهب يحج.

وقيل لامرأة أوسية حكيمة من العرب بحضرة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أي منظر أحسن؟

فقالت: قصورٌ بيضٌ في حدائق خضرٍ، فأنشد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعدي بن زيد:

كدمُى العاجِ في المحاريب أو كالبيضِ في الروض زهرُه[4] مستنيرُ

وعن ابن عباس قال: خرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنا لنسير ليلة، وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رجله بسوطه. وقال:

كذبتم وبَيْتِ الله يُقتلُ أحمدُ ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نُصرَّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال أيضاً:

وما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رحلِهَا أبرَّ وَأوفى ذمةً مِنْ محمدِ
وأكسى لبردِ الخالِ قبل ابتذالِهِ وأعطى لرأسِ السابقِ المتجردِ[5]

ويلاحظ الباحث أن محفوظ عمر من الشعر - قديمه ومعاصره - كان طيِّعاً له، مما ينبئ عن حافظة مستوعبة لمخزونها، مصنفة له؛ إذ كان على طرف لسانه منه ما يناسب وقائع يومه في بديهة حاضرة وحافظة سريعة، بل إنه حفظ من الشعر ما صدر عن ضغينة للإسلام، فأسمع

(1) البيان للجاحظ (1/ 241)، الأدب في الإسلام. نايف معروف ص169.
(2) الأدب في الإسلام د. نايف معروف ص170.
(3) مسند الشافعي ص122 نقلاً عن عمر بن الخطاب د. أبو النصر ص209.
(4) المصدر نفسه ص209، أدب الإملاء للسمعاني ص71.
(5) تاريخ الطبري (5/ 218).

حسان بن ثابت ما قالته هند بنت عتبة ضد حمزة والمسلمين[1]، مما هيج حسان للرد عليها.

وبهذا يمكننا أن نقول: إن عمر كان مرهف الحس، رقيق الشعور، يتذوق الشعر ويرويه، ويبدي فيه رأياً صائباً، بيد أن لم يكن شاعراً، كما يرى بعض الباحثين، وما قيل من أنه شاعر لا يسلم به النقاد والأدباء المنصفون؛ لأنه عاش في قومه كتاباً مفتوحاً، لا يستتر منهم في شيء، وكانت له مجالسه التي تجمعه وغيره من الناس، ولو كان لعمر شعرٌ لرواه عنه هؤلاء ورددوه وأذاعوه فيما بينهم، ووصل إلينا عن طريق الرواة كما وصلت إلينا سيرته وحياته، كما أن النقاد الأوائل لم يذكروا أن عمر كان شاعراً، فلم يذكره ابن سلّام في طبقاته، ولا ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء)، كما لم يذكره الجاحظ في كتبه التي عني فيها بكثير من بلاغة عمر وأدبه[2].

وقد ذكر المبرد في خبر عمر ومتمم بن نويرة - في رثائه الأخير - مالك ابن نويرة قول عمر لمتمم: لو كنت أقول الشعر - كما تقول - لرثيت أخي كما رثيت أخاك[3]، وكان ﷺ يحب من الشعر ما يعبر عن جوهر الحياة الإسلامية، ويصور مبادئها، ولا تتعارض معانيه مع معاني الدين الجديد، أو تغاير قيمه. وكان يحث المسلمين على تعلم الشعر الجميل فيقول: تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى، ومساوئ تتقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق[4]، وكتب لأبي موسى الأشعري واليه على العراق: مُرْ مَن قَبلَكَ بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب[5].

ولا يقف عند هذا الحد فحسب، بل يراه مفتاحاً للقلوب ومحركاً لمشاعر الخير في الإنسان، فهو يقول في فضله ونفعه: أفضل صناعات الرَّجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجاته، يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم[6]. ولكي تكتمل تربية الأبناء يوجه الآباء ليروّوا أولادهم محاسن الشعر، فيقول: علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً، وروّوهم ما يجمل من الشعر[7]، ويظهر حرص عمر على الشعر الجاهلي شديداً، لما لذلك من صلة بكتاب الله حين يقول: عليكم بديوانكم لا تضلّوا. فقال له سامعوه: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[8].

---

(1) عمر بن الخطاب ص209 محمد أبو النصر.
(2) المصدر نفسه ص210.
(3) الكامل في الأدب (2/ 300).
(4) أدب الإملاء للسمعاني ص71.
(5) العمدة لأبي رشيق (1/ 15).
(6) الأدب في الإسلام د. نايف معروف ص171.
(7) الكامل في الأدب (1/ 227).
(8) المعجم الكبير للطبراني (7/ 129)، الأدب الإسلامي ص171.

وهذا يتفق مع موقف تلميذه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس الذي يقول: إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب[1]. وكان عمر رضي الله عنه يرى أن الشعر كان أصح العلوم عند الجاهليين، فقد ورد أنه قال: كان الشعر عِلمُ القوم، ولم يكن لهم علمٌ أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو الروم ولهيت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدوَّن، ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك مَن العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عنهم أكثره[2].

وقد كان رضي الله عنه يحب من الشعراء مَن ملأ الإيمان قلبه، وعمر وجدانه بِمُثُل الإسلام الرفيعة، وقيمه السامية، وترجمها شعراً ينم عن التديُّن الحق، ويصور الأخلاق الفاضلة، التي حث الإسلام عليها، وطالب أتباعه باعتناقها، أما ما عدا ذلك مما يتعارض مع هذه المبادئ وتلك القيم، فإن عمر كان يلفظه ويأباه، ويقف من أصحابه موقفاً متشدداً، يؤازره في ذلك: حسه الرهيف، وذوقه الرفيع، الذي ينفذ إلى أعماق النص الأدبي يكشف عما فيه من قيم شعورية تتمشى مع الإسلام ولا ترفضها تعاليمه[3].

2 - الفاروق والحُطيئة والزبرقان بن بدر:

روي أن الشاعر الحطيئة - أبا مليكة - جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، كان في طريقه إلى العراق فراراً بأهله من الجدب، وطلباً للعيش، فلقي الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف التميمي السعدي[4] وكان في طريقه إلى عمر بصدقات قومه، وعرفه الزبرقان فحادثه، وعلم بحاله، فطلب إليه أن ينزل بقومه، وينتظر أوبته، فنزل الحطيئة بهم، لكن بغيض ابن عامر بن شماس بن لؤي بن جعفر أنف الناقة، وكان خصماً للزبرقان، استطاع أن يفسده عليه، وأن يضمه إليه، وأن يغريه بالزبرقان، فاندفع يهجوه. ويمدح بني أنف الناقة، وبلغ هجاؤه قصائد عدة دفع الزبرقان بن بدر بواحدة منها إلى عمر، يقول فيها الحطيئة:

ما كان ذنبُ بغيضٍ لا أبا لكُمُ ... في بائسٍ جاءَ يحدُو آخرَ الناسِ

لقد مريتُكُمُ لو أن درتكُمْ ... يوماً يجيء بها مسحي وإبساسي[5]

إلى أن قال:

---

(1) الأدب في الإسلام 171، العمدة لابن رشيق (1/ 17).

(2) طبقات الشعراء ابن سلام (1/ 25)، أدب صدر الإسلام ص87.

(3) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص218.

(4) المصدر نفسه ص219.

(5) الإبساس: دعاء الناقة بقولهم، بس بس طلباً لإدرارها.

فدَع المكارمَ لا ترحلْ لبغيَتِهَا ... واقعُد فإنكَ أنت الطاعمُ الكاسي
منْ يفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جوازيهُ ... لا يذهب العرف بين الله والناسِ
ما كان ذنبي أن فلَّت معاوِلَكُمْ ... من آل لأي صفاةٌ أصلها راسي
قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم ... مجداً تليداً ونبلاً غير أنكاسي[1]

ثم رفع أمره إلى عمر وأتاه به وقال له: هجاني قال: وما قال لك؟ قال: قال لي: دع المكارم لا ترحل لبغيتها... إلخ الأبيات. فقال عمر: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة، فقال الزبرقان: أوَما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس؟ فقال عمر: عليّ بحسان، فجيء به فسأله، فقال لم يهجه، بل سلح عليه، فسجنه عمر[2] وكان عمر رضي الله عنه أعلم الناس بالشعر ولكنه هنا في منام القضاء فاستدعى أهل التخصص ليحكموا ثم أصدر بعد ذلك حكمه، ويقول العقاد عن عمر في هذه القضية: (... فنسي أنه الأديب الراوية، ولم يذكر إلا أنه القاضي، الذي يدرأ الحدود بالشبهات، ولا يحكم بما يعلم دون ما يعلمه أهل الصناعة)[3].

وحينما شعر الحُطيئة بمرارة السجن أخذ يستعطف عمر بأبيات ينفي ما نُسب إليه، وذلك على طريقة النابغة في اعتذارياته للنعمان بن المنذر، حين يقول:

أعوذُ بجدك إنني امرؤٌ ... سقتني الأعادي إليكَ السِّجَالا
ولا تأخذني بقول الوشاةِ ... فإن لكل زمانٍ رجالا
فإن كان ما زعموا صادقاً ... فسيقت إليك نسائي رجالا[4]
حواسرَ لا يشتكين الوَجَا ... يُخَضّضْنَ آلا ويرفعن آلا[5]

فلم يستجب عمر لاعتذاره، حتى قال أبياته العاطفية المؤثرة الرائعة التي يقول فيها[6]:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرخٍ ... زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرٌ
ألقيتَ كاسبهمْ في قعرِ مُظلمةٍ ... فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عُمرُ
أنت الإمامَ الذي من بعدِ صاحبه ... ألقت إليك مقاليدَ النُّهى البشرُ[7]
لم يؤثروك إذا ما قدَّموك لها ... لكن بك استأثروا إذ كانتِ الأثرُ
فامنُن على صبيةٍ بالرمل مسكنُهُم ... بين الأباطح تغشَاهم بها القِرَرُ

---

(1) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر، ص220.
(2) سلح: تغوط، الأدب في الإسلام، ص172.
(3) عبقرية عمر، ص246.
(4) رجالاً: أي راجلة.
(5) الوجا: الحفا.
(6) الكامل في الأدب (2/ 725).
(7) النهى: العقل.

أهلي فداؤك ما بيني وبينهمُ من عرضِ داويةٍ تعمى بها الخُبرُ[1]

فبكى عمر تأثيراً بما سمعه، وأمر بإطلاق سراحه، وعمل على لجم لسانه، فقد اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم. فقال الحطيئة متشاكياً في ذلك:

وأخذتَ أطراف الكلام فلم تدعْ شتماً يضر ولا مديحاً ينفعُ
وحميتني عرض اللئيمِ فلمْ يخفْ ذمي وأصبحَ آمناً لا يفزع

ويبدو أن الحطيئة لم يقتنع في قراره نفسه بوجوب هجر الهجاء نهائيًّا، فاستدعاه عمر، وأجلسه بين يديه، وهدده بقطع لسانه، فقال الحطيئة: يا أمير المؤمنين، إني والله قد هجوت أبي وأمي، وهجوت امرأتي وهجوت نفسي، فتبسم عمر ﷺ، وعفا عنه[2]، وانتهى الحطيئة عن الهجاء في زمن عمر.

وهناك حادثة أخرى مماثلة ذكرها صاحب (زهر الآداب) حيث قال: كان بنو العَجلان يفخرون بهذا الاسم ويتشرفون بهذا الوسم إذ كان عبد الله بن كعب جدهم إنما سُمّي العجلان لتعجيله القِرَى للضِّيفان... فكان شرفاً لهم حتى قال النجاشي - واسمه قيس بن عمرو بن كعب - يهجوهم بقصيدة منها:

أولئك أخوالُ اللعينِ وأسرةُ الهجين ورهطُ الواهنِ المتذلّلِ
ومَا سُمِّي العجلان إلا لقولِهِ خذِ العقبَ واحلبْ أيها العبدُ واعْجلِ

وزعمت الرواة أن بني العجلان استعدوا على النجاشي - لما قال هذا الشعر - عمر بن الخطاب ﷺ فحبسه وقيل جلده[3].

فالخليفة عمر بن الخطاب يعاقب على شعر الهجاء، وليس الأمر كذلك فحسب، وإنما كان يعاقب على أنواع أخرى من الشعر منها: التعرض لأعراض المسلمين، وإثارة الشحناء والبغضاء بين المسلمين، التعرض لنساء المسلمين، وقد فصل ذلك الدكتور واضح الصمد[4].

3 - الشعر يحول حزم عمر إلى لين وشفقة:

كان أمية بن الأسكر الكناني، وكان سيداً من سادات قومه، وله ابنٌ اسمه كلاب هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد

(1) الداوية: الفلاة الواسعة.
(2) الكامل في الأدب (2/ 725).
(3) زهر الآداب للقيرواني (1/ 54)، الأدب في الإسلام ص92.
(4) أدب صدر الإسلام، د. واضح الصمد ص92، 93.

الله والزبير بن العوام فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا له: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في الجند قالا: الغازي إلى الفرس. فقام أمية وقال لعمر: يا أمير المؤمنين، هذا اليوم من أيامي ولولا كبر سني، فقام إليه ابنه كلاب وكان عابداً زاهداً، فقال: لكني يا أمير المؤمنين أبيع الله نفسي وأبيع دنياي بآخرتي فتعلق به أبوه وكان في ظل نخل له وقال: لا تدع أباك وأمك شيخين ضعيفين ربياك صغيراً حتى إذا احتاجا إليك تركتهما. فقال: نعم أتركهما لما هو خير لي، فخرج غازياً بعد أن أرضى أباه فأبطأ، وكان أبوه في ظل نخل له، وإذا حمامة تدعو فرخها، فرآها الشيخ فبكى، فرأته العجوز فبكت، وأنشأ يقول:

لِمَن شيخانِ قد نَشَدا كِلاَبَا ... كتابَ الله لو قَبِلَ الكتابَا
أناديهِ فيعرضُ في إباءٍ ... فلا وأبي كلابٍ ما أصابا
لذا هتفت حمامةُ بطن وجٍّ[1] ... على بَيْضاتِها ذكراً كلَابا
فإن مهاجرين تكنفاهُ ... ففارق شيخهُ خطئاً وخابا
تركت أباك مُرعشةً يداهُ ... وأمك ما تسيغُ لها شرابا
تُنَفِّضُ مهدَهُ شفقاً عليه ... وتجنبُهُ أبا عرها الصعابا
فإنك قد تركت أباك شيخاً ... يطارقُ[2] أينقاً[3] شرباً[4] طرابا
إذا ارتعشن أرقالاً[5] سِراعاً ... أثرن بكلِّ رابية ترابا
طويلاً شوقُهُ يبكيكَ فرداً ... على حزن ولا يرجُو الإيابا
فإنك والتماسُ الأجرِ بعدي ... كباغِي الماءِ يتبعُ السرابَا[6]

وكان أمية قد أضر (أي: عَمِيَ) فأخذه قائده بيده ودخل به على عمر وهو في المسجد فأنشده:

أعاذلُ قد عذلتِ بغير علمٍ ... وما تدرينَ عاذلُ ما أُلاقي
فأما كُنت عاذلتي فرُدِّي ... كلاباً إذ توجَّه للعراق
ولم أقضَّ اللبانة من كلابٍ ... غداة غدٍ وآذن بالفراقِ
فتى الفتيانِ في عُسر ويُسرٍ ... شديدَ الرُّكن في يومِ التلاقي
فلا وأبيْكَ ما باليت وجْدي ... ولا شفقي عليك ولا اشتياقي

(1) اسم واد بالطائف.
(2) يطارق: يضرب.
(3) أينقاً: جمع ناقة.
(4) شرباً: ضامرة.
(5) الإرقال: السير السريع.
(6) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص226.

وإيـفـادي عـلـيْـك إذا شـتـوْنَـا ... وضـمُّـك تـحـت نـحـري واعـتـنـاقـي
فـلـوْ فـلـقَ الـفـؤادَ شـديـدُ وجْـدٍ ... لَـهَـمَّ سـوادُ قـلـبـي بـانـفـلاقِ
سـأسـتـعـدي عـلـى الـفـاروق ربًّـا ... لـهُ دفـعُ الـحـجـيـج إلـى بُـسـاق[1]
وأدعـو الله مـجـتـهـداً عـلـيـه ... بـبـطـن الأخـشـبـيـن[2] إلـى دقـاقِ[3]
إن الـفـاروقُ لـم يـردُدْ كـلابـاً ... عـلـى شـيـخـيـن هـامـهـمـا زواقِ[4]

فبكى عمر بكاءً شديداً وكتب إلى أبي موسى يأمره بإشخاص كلاب، فرحّله على الفور. فقدم على عمر، فأمر به فأُدخل ثم أرسل إلى أميّة، فتحدث معه ساعة ثم سأله: ما أحب الأشياء إليه في يومه، فقال: كلاب أحبَ أنه عندي فأشمه، فأمر بكلاب فأخرج إليه. فوثب الشيخ، فجعل يشمّ ابنه ويبكي، وجعل عمر رضي الله عنه يبكي[5]، والحاضرون كذلك وقالوا لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، وتغنت الركبان بشعر أبيه فبلغه، فأنشأ يقول:

لِـعـمُـرك مـا تـركـتُ أبـا كـلابٍ ... كـبـيـرَ الـسـنِّ مـكـتـئـبـاً مـصـابَـا
وأمَّـا لا يـزالُ لـهـا حـنـيـنٌ ... تُـنـادي بـعـد رقـدتـهـا كـلابـا
لـكـسـب الـمـالِ أو طـلـبِ الـمـعـالـي ... ولـكـنـي رجـوتُ بـهِ الـثـوابـا

وكان كلاب من خيار المسلمين فلم يزل مقيماً عندهما حتى ماتا[6].

وهناك حادثة مشابهة حيث هاجر شيبان بن المخبل السعدي (الشاعر المعروف) وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه والده (المخبَّل) جزعاً شديداً، وكان قد أسنَّ وضعف، فلم يملك الصبر عنه، فأنشد قصيدة يقول فيها:

أيـهـلـكـنـي شـيـبـانُ فـي كـلِّ لـيـلـةٍ ... لـقـلـبـي مـنْ خـوف الـفـراقِ وجـيـبُ
فـإني حـنـت ظـهـري خـطـوبٌ ألا تـرى ... أرى الـشـخـصَ كـالـشـخـصـيـن وَهْـوَ قـريـبُ
ويـخـبـرنـي شـيـبـانُ أن لـن يـعـقّـنـي ... تَـعُـقُّ إذا فـارقـتـنـي وتـحـوبُ[7]
فـلا تُـدخـلَـنَّ الـدهـر قـبـرك حـوبـةٌ ... يـقـومُ بـهـا يـومـاً عـلـيـك حـسـيـبُ[8]

فلما سمعها عمر رق له وبكى، وكتب إلى سعد بأن يرجع شيبان، فرده إلى أبيه[9]، ولم

(1) جبل عرفات.
(2) جبلان بمكة.
(3) موضع.
(4) زواق: أشرف على الموت.
(5) الأدب الإسلامي د. نايف معروف ص180.
(6) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص228.
(7) تحوب: تأثم.
(8) الحوبة: الذنب.
(9) أدب صدر الإسلام، ص90.

تكن هذه الحادثة هي الأخيرة من نوعها حيث يتأثر عمر بالشعر بل يُذكر له حوادث مماثلة منها: هاجر خراش بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب، وغزا مع المسلمين فأوغل في أرض العدو فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنه رجل قد انقرض أهله وقتل إخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا مَنْ مُبلِغٌ عني خراشاً ... وقد يأتيكَ بالنبأ البعيدُ
وقد تأتيك بالأخبار مَنْ لا ... تُجَهِّزُ بالحذاء ولا تزيدُ
تُناديهِ ليعقبهُ كُليبٌ ... ولا يأتي لقد سفه الوليدُ
فرَّد أناءة لا شيء فِيهِ ... كأن دُمُوعَ عينيه الفريدُ
وأصبح دُون غابقةٍ وأمسى ... جبال مِنْ جرار الشام سودُ
ألا فاعلم خراش بأن خير الـ ... مهاجرِ بعدَ هجرتِهِ زهيدُ
رأيتكَ وابتغاءَ البِرَّ دُوني ... كمخضُوبِ اللبانِ ولا يصيدُ[1]

فتأثر عمر، وكتب بعودة خِراش إلى أبيه، وأمر بأن لا يغزو مَن كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له[2].

وهكذا نلاحظ تأثر أمير المؤمنين بالشعر، ولشدة تأثره يبكي، وهو الذي اشتُهر بالشدة والحزم، وهذا يدل على إحساسه المرهف وشعوره الإنساني، حيث يشارك الآباء العاجزين توقهم وحاجتهم إلى أبنائهم، وكذلك يشارك كل إنسان مظلوم أو مغلوب على أمره، ما ينتابه من أحاسيس ومشاعر وقد مرّ معنا موقفه من شعر الهجاء[3].

4 - نزعة النقد الأدبي عند عمر:

كان عمر بن الخطاب من أشد الناس تأثّراً برسول الله ﷺ حتى في نظرته إلى الأدب، وفي حكمه على الشعر والشعراء، وقد أثرت عنه آراء وأحكام نقدية لنصوص أدبية كثيرة، ومعظم هذا المروي - نقل عنه - وهو خليفة - أي في السنوات العشر الأخيرة من حياته، وهي آثارٌ تصور في جملتها مدى تقديره للأثر الأدبي عندما تكتمل له (نظرية الكمال) التي يراها عمر، والتي هي لديه نتاج ثقافة العمر في تلك المرحلة الناضجة، لذا ينبغي أن نحيط بالروافد التي أصقلت حسه النقدي، ونمَّت ملكة النقد عنده واضعين في الاعتبار حياته بشطريها الجاهلي والإسلامي على هذا النحو:

---

(1) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص230. (3) أدب صدر الإسلام ص90.
(2) الأغاني للأصفهاني (13/ 189).

- كان عمر في جاهليته واحداً من المسؤولين عن صيانة القيم الجاهلية، وكانت له مكانته في قريش، وقريش آنذاك محط أنظار العرب وملتقى أفئدتهم، وكان كذلك في الإسلام في عصر الخلافة.

- كان عمر خبيراً بالشعر العربي جاهليّه وإسلاميّه، مستوعباً لما قاله المشركون والمرتدون وأعداء الإسلام من شعر ضد هذا الدين الحنيف.

- كان عمر عليماً بأحوال العرب في الجاهلية والإسلام - عقيدة وتاريخاً وأنساباً وسلوكاً وعلماً، وقد أنار له علمه بهذه الأشياء طريق نقد الكلام وإبداء الرأي فيه.

- حرص عمر منذ نشأته على غشيان المجالس الأدبية، التي لم تخل من المسامرة وإنشاد الشعر ومطارحة الأدب وتذوُّقه وإبداء الرأي فيه، حتى إذا أسلم عمر أصبح يَعُدُّ مجالسه الرجال، الذين ينتقون أطايب الحديث كما ينتقي أطايب الثمر، إحدى ثلاث ترغبه في الدنيا بعد الصلاة والجهاد في سبيل الله، كما كان عمر واحداً من سمَّار النبي ﷺ، وقد أقام وهو خليفةٌ رحبة في ناحية المسجد سميت البطحاء كان يرتادها محبو الشعر وطلابه[1].

- كان لعمر صاحب رسول الله ﷺ القِدْح المعلَّى والنظر الثاقب والألمعية الهادفة، والذكاء الخارق المصحوب بالإلهام، والشفافية المبصرة، مما يجعله يصيب المعنى فلا يكاد يخطئه، وهو بجانب ذلك موفور الإحساس بما يقرأ أو يسمع، شديد التذوق للنص الأدبي وما احتوى عليه من قيم جمالية أو شعورية، وذلك لفرط إحساسه به وإدراك كنهه وغاياته[2]، فقد كان رضي الله عنه تأخذ المعاني الهادفة بمجامع قلبه، فترضى بها نفسه، ويفصح عن إعجابه بها وتقديره، فقد روي أن متمِّماً بن نويرة رثى أخاه مالكاً، الذي لقي حتفه على يدي جنود خالد ابن الوليد في حروب الردة، فلما انتهى متمم إلى قوله:

لا يُمسكُ الفحشاء تحت ثيابه حُلوٌ شمائلُهُ عفيفُ المئزَرِ

قام إليه عمر فقال: لوددت أني رثيت أخي زيد بن الخطاب بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك. فقال له: يا أبا حفص، والله لو علمت أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر: ما عزاني أحد بمثل تعزيتك[3].

ومن هذا المنطق في فهم النص وتقدير حيويته، كان عمر يرتفع بقيمة النص الأدبي البليغ، ويسمو به، إلى منزلة لا تدانيها قيمة كنوز الدنيا الفانية، روي عنه رضي الله عنه أنه قال لبعض

(1) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص244.
(2) المصدر نفسه السابق ص246.
(3) المصدر نفسه ص247، الكامل للمبرد (2/ 300).

ولد هرم بن سنان: أنشدني بعض ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيُحسن، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا كنا نعطيه فنُجزِل، فقال عمر: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم[1]. هذه هي الروافد التي غذَّت ذوق عمر النقدي وصقلت ملكَته الناقدة، وجعلته يتبوأ هذه المكانة الأدبية في عصر صدر الإسلام[2].

وأما المقاييس التي أخذها عمر في إيثاره نصًّا على نص، أو تقديمه شاعراً على غيره، فإنها مقاييس الشكل وهي:

- **سلامة العربية:**

فقد كان ذوقه مطبوعاً على سلامة الفصحى وصحتها، يتأفف من اللحن، وينفر منه، وكان اللحن في العبارة كافياً لأن يسقط النص ويرفضه، بل ويعاقب مَن يقع منه اللحن[3].

- **أُنس الألفاظ والبعد عن المعاظلة والتعقيد:**

روي أن عمر رضي الله عنه كان يقدِّم زهيراً، ويستحسن شعره، ويعلل لهذا الاستحسان، بأنه كان لا يعاظِلُ بين الكلام ولا يَتْبَعُ وحشيَّه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه[4] والمعاظلة: أن يعقد الكلام ويوالي بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويغمض، وحوشيُّ الكلام: وحشيّهُ وغريبه[5]، وهذا الأثر يوضح أصول الشع الذي يرضى عنه الإسلام: وهو الشعر الواضح المعنى، القريب المفردات، الصادق البعيد عن المبالغة... لأن الشعر يدعو إلى قضية، ويخاطب جمهور الناس، ولا بدّ أن يكون مفهوماً[6]، والجدير بالذكر أن علماء البلاغة، الذين دوَّنوا أصول هذا العلم فيما بعد، لم يخرجوا في مباحثهم عن فصاحة المفرد وبلاغته والكلام وفصاحته، عما قال عمر في هذا الصدد، اللهم إلا ما اقتضاه التصنيف من منهج وتنظيم وتبويب عند بعضهم[7].

- **الوضوح والإبانة:**

فقد كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به، قلة علمي بما هجتم عليه، والذي استقرّ عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 106).
(2) عمر بن الخطاب، محمد أبو النصر ص248.
(3) عمر بن الخطاب، د.محمد أبو النصر ص248.
(4) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 102).
(5) المصدر نفسه.
(6) المصدر نفسه.
(7) عمر بن الخطاب د.محمد أبو النصر ص250.

الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليه، واجعلني من أمركم على الجلية[1].

وهذه الكلمة الأخيرة (واجعلني من أمركم على الجلية) تبين بجلاء إيثار عمر الوضوح والإبانة في الكلام، كما تصور إيثاره الصدق فيه، وهذا مقياسٌ نقديٌ دقيقٌ كما كتب إلى كل قضاته يناشدهم الإيضاح في التعبير عن فهم مسائل القضاء: . . . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك، وقال عن أمر أراد أن يخطب فيه: وكنت رويت مقالة أعجبتني. وهكذا يرى عمر أن الكلمة وسيلة إفهام وأداة هدي وبيان، وليست سبيلاً إلى الإغراب والتعمية، ومن ثم أنكر التشادق والتقعُّر[2].

- أن تكون الألفاظ بقدر المعاني:

ومن مأثور كلامه من ذلك قوله: إياك والمكابلة[3]. قال الإمام الدارمي: يعني في الكلام أي: المزايدة فيه، فعمر إذن يريد البعد عن فضول القول؛ لأنه ضياع لمضمون الفكرة وتبديد لها ولا يخلو من تكرار مملّ وترداد مكروه، فوق كونه يفقد روعة النص ويذهب بجماله[4]، قال عمر رضي الله عنه: إن شقائق الكلام من شقائق اللسان فأقلوا ما استطعتم[5].

- جمال اللفظة في موقعها:

كان رضي الله عنه ينفر من اللفظة التي أقحمت في غير مكانها المناسب؛ لأنها تشين المعنى وتذهب برونق الكلام وبهائه، ومن ذلك قوله لسحيم عبد بني الحسحاس بصدد تعقيبه على بيت له يقول فيه:

عُـمـيـرةُ ودِّع أن تـجَـهَّـزْتَ غـاديـاً كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقال عمر رضي الله عنه: لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك؛ وذلك لأن عمر أدرك بذوقه، الذي صقله الإسلام ونمَّاه، أن الإسلام في نفس المؤمن، أقوى زجراً من قبل الشيب ومن بعده. . . وجدير به أن يقدم في النص تمشياً مع أهميته وتأثيره في النفوس، وهذا ما نأى عنه البيت[6].

- حسن التقسيم:

كما كان عمر يعلن عن إعجابه الشديد بما في البيت من جمال فني يرضي الأذواق

(1) مجموعة الوثائق السياسية ص414.
(2) عمر بن الخطاب د. محمد أبو النصر ص251.
(3) سنن الدارمي (1/ 9) نقلاً عن عمر بن الخطاب، أبو النصر ص252.
(4) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص252.
(5) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (3/ 112).
(6) المدينة النبوية، شرّاب (2/ 102)، عمر بن الخطاب، أبو النصر ص253.

والعقول على السواء ويترجم هذا الإعجاب في ترديده البيت، ترديداً ينم عن حسن تذوق، وعمق إحساس بما في النص من جمال. ومما يدلّ على ذلك ما روي من أن عمر أُنشد قصيدة عبدة بن الطيب، التي أولها:

هل حَبْلُ خولةَ بعدَ الهَجرِ موصُولُ أم أنتَ عنهَا بعيدَ الدارِ مشغولُ

فلما بلغ المنشد قوله:

والمرءُ ساعٍ لأمرٍ ليسَ يدركُهُ والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

قال عمر متعجباً: والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ، يعجبه من حسن ما قسم وما فصل[1].

ولما أنشد عمر قول زهير بن أبي سلمى:

فإن الحقَّ مقطعه ثلاثٌ يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

فذلكمُ مقاطعُ كل حيٍّ ثلاثٌ كلهنَّ لكم شفاء[2]

فهو يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه الثلاث: يمينٌ أو محاكمةٌ أو حجة بينة واضحة، وسُمّي زهير (قاضي الشعراء) بهذا البيت. فكان عمر رضوان الله عليه يتعجب من معرفة زهير لمقاطع الحق مع أنه جاهلي، وقد جاء الإسلام وأكد تلك المقاطع[3].

وهناك مقاييس أخرى كان عمر يؤثرها في مضمون الأدب، ويوجه بها الأدباء وجهة جديدة، تنبع من الدين والخُلق، ويمكن أن تضاف إلى المقاييس الفنيّة السابقة، حتى يمكن أن تعطي القارئ تصوراً لمقاييس نقد الأدب في عصر عمر ممثلة في تعبيراته ومأثوراته منها: الصدق في الترجمة عن الخواطر وتصوير العواطف النبيلة، كان مما يستحسنه عمر وينال إعجابه، وعنصر الصدق هذا هو الذي جعله يعجب إعجاباً شديداً بقصيدة المخبل السعدي، وأمية بن الأسكر الكناني. كما كان عمر يؤثر في المعنى أن يكون جديداً مبتكراً يناسب الدين ويتمشى مع أخلاقه وآدابه، وأن يُصاغ هذا المعنى صياغة محكمة، وأن يعبر عنه في تصوير جميل وبيان حسن، وكان عمر يؤثر في المعنى فوق صدقه وابتكاره، أن يكون موائماً لمقاييس الدين الخُلقية، بحيث لا يتورط الشاعر في هجاء ذميم أو سباب فاضح، أو نهش للأعراض، أو الانكباب على وصف الشراب وتصوير سَوْرَة الخمور أو غير ذلك مما ينبئ عن ضعف العقيدة وفساد الخُلق، وقد سبق أن ذكرتُ موقفه من الحُطيئة وسحيم، ومن كان على شاكلتهما من الشعراء[4].

---

(1) البيان والتبيان (1/ 240)، المدينة النبوية شرّاب (2/ 105).

(2) عمر بن الخطاب، أبو النصر ص254.

(3) أدب صدر الإسلام ص96.

(4) عمر بن الخطاب، أبو النصر، ص255 - 262.

ومما يتصل بنقده هذا ما روي من أن النعمان بن عدي قد عينه عمر على ميسان[1]، فذهب إليها، وامتنعت زوجته عن أن ترافقه، فأراد أن يبعث في نفسها الرغبة في صحبته، بما يعرف عن غيرة النساء، فكتب إليها بأبيات من فضل القول، لا تمثل حقيقة في قليل أو كثير هي:

فمنْ مُبلغُ الحسناءِ أنَّ حليلَهَا ... بميسان يُسقى في زُجاج وحنتمِ
إذا شئتُ غنتني دهاقينُ قريةٍ ... وصناجةٌ تحدُو على كُل ميسمِ
إذا كُنتَ ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلمِ
لعل أميرَ المؤمنينَ يسوؤُهُ ... تنادُمُنا في الجوسقِ المتهدمِ

فلما سمعها عمر ﷺ قال: وايم الله لقد ساءني، ثم عزله. ولا غرابة فيما فعل عمر من عزله النعمان؛ لأن النعمان كان أمير قوم وإمامهم في الصلاة، وقدوتهم في الحياة، وهذا الشعر وإن لم يمثل حياة رجل كان من أهل الهجرة الأولى، لكنه يتعارض مع قيم هذا الدين، وتأباه تعاليمه، ومن ثم رفضه عمر، وعاقب قائله[2].

هذه هي أبرز الملامح والنزعات النقدية التي تميز بها نقد عمر بن الخطاب ﷺ، والتي تدل على أصالة النقد الأدبي في أطوار نشأته الأولى، كما تبين منزعه واتجاهه، حيث لم يعتمد على الذوق وحده في تقويم الأدب والحُكم عليه، وإنما جنح إلى لونٍ من الموضوعية الدقيقة في شرح النص، وتبيان جماله أو قبحه والتعليل لما يستجاد أو يستهجن من نماذجه، وسيظل النقد العربي مديناً لعمر ما عاش يتوخى في النص سلامة العربية، وبلاغة عبارتها، واستقلال المعنى بحظه التام من التعبير وصدق التكوين وحسن التصوير ووضوحه.

وهذه مقاييس نقديةٌ دقيقةٌ لا يختلف مع عمر فيها ناقدٌ أصيل[3]، ويطول بنا القول لو استرسلنا في بيان ثقافة هذا الخليفة العظيم ومقدرته على تذوق الشعر ونقده والحكم عليه؛ فإن ذلك يحتاج إلى فصول طويلة، ومن خير الكتب التي تُرضي حاجة النفس في هذا الباب كتاب: عمر بن الخطاب للدكتور محمد أبو النصر، والأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين للدكتور نايف معروف، وأدب صدر الإسلام للدكتور واضح الصمد، والمدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي للأستاذ محمد حسن شُرّاب.

(1) ميسان: بلدة في العراق كثيرة القرى والنخل تقع بين البصرة وواسط.
(2) عمر بن الخطاب، د. محمد أبو النصر ص263.
(3) المصدر السابق ص265.

المبحث الخامس

التطوير العمراني وإدارة الأزمات في عهد عمر

أولاً: التطوير العمراني:

قام عمر رضي الله عنه بتوسعة مسجد الرسول ﷺ، وأدخل فيه دار العباس بن عبد المطلب، وامتدت التوسعة عشرة أذرع من جهة القبلة وعشرين ذراعاً من الناحية الغربية، وسبعين ذراعاً من الناحية الشمالية، وأعاد بناءه باللَّبِنِ والجريد، وجعل عُمُده من الخشب، وسقفه من الجريد وكساه ليحمي الناس من المطر، ونهى عن زخرفته بحمرةٍ أو صفرةٍ لئلا يفتتن الناس في صلاتهم[1]، وكان المسجد تراباً ففرشه بالحصى ليكون أنظف للمصلِّي وألين على الماشي[2].

وأجرى عمر رضي الله عنه تعديلات يسيرةً في المسجد الحرام بمكة، فنقل مقام إبراهيم عليه السلام، وكان ملصقاً بالكعبة إلى مكانه اليوم بعيداً عنها للتيسير على الطائفين والمصلِّين، وعمل عليه المقصورة[3] واشترى دوراً حول الحرم، وهدمها وزادها فيه، وأبى قوم من جيران المسجد أن يبيعوا، فهدم بيوتهم، ووضع الأثمان حتى أخذوها بعد، واتخذ له جداراً قصيراً دون القامة، فكانت المصابيح توضع عليه[4]، وكانت كسوة الكعبة في الجاهلية الجلود، فكساها عليه السلام بالثياب اليمانية، ثم كساها عمر القباطي[5]، وهي ثياب مصرية رقيقة بيضاء[6]، كما عُمّرت المساجد في الأمصار الجديدة في خلافة عمر رضي الله عنه فاختط سعد بن أبي وقاص المسجد الجامع بالكوفة.

واختط عتبة بن غزوان المسجد الجامع بالبصرة، واختط عمرو بن العاص المسجد الجامع في الفسطاط، فكانت هذه المساجد الكبيرة محل صلاة المسلمين وتعارفهم وتدارسهم العلم وقضائهم وتلقيهم أوامر الخليفة والولاة[7].

---

(1) عصر الخلافة الراشدة، ص227، فتح الباري (4/ 98).
(2) أخبار عمر ص126.
(3) عصر الخلافة الراشدة ص227، فتح الباري (8/ 169).
(4) أخبار عمر ص126، عصر الخلافة الراشدة ص227.
(5) أخبار مكة للأزرقي (1/ 253)، أخبار عمر ص126.
(6) عصر الخلافة الراشدة ص228.
(7) عصر الخلافة الراشدة ص228.

- الاهتمام بالطرق ووسائل النقل البري والبحري:

رصد الخليفة الفاروق حصةً من بيت مال المسلمين لدعم التواصل بين أجزاء الدولة الإسلامية، وخصص عمر عدداً ضخماً من الجمال، بوصفها وسيلة المواصلات المتاحة آنذاك؛ لتيسير انتقال مَنْ لا ظهر له بين الجزيرة، والشام، والعراق، كما اتخذ ما يسمى «دار الدقيق» وهي مكان يجعل فيه السَّويق، والتمر، والزبيب، ومتطلبات المعيشة الأخرى، يعين به المنقطع من أبناء السبيل، والضيف الغريب، ووضع في الطريق بين مكة والمدينة، ما يصلح به حاجة المسافر، وما يحمل عليه من ماء إلى ماء، فالفاروق ﷺ يترسَّم الهدي القرآني المرشد إلى أن العمران يستلزم التواصل، مما يوفر الأمن، ولا يجعل المسافر بحاجة إلى حمل ماء ولا زاد[1].

وكانت توجيهات عمر إلى القبائل والأمراء والولاة تصب في هذا الاتجاه، فعن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: قدمنا مع عمر بن الخطاب في عمرته سنة سبع عشرة، فكلمه أهل المياه في الطريق أن يبنوا منازلهم فيما بين مكة والمدينة ولم تكن قبل ذلك، فأذن لهم، واشترط أن ابن السبيل أحق بالماء والظل[2]، ونلاحظ اهتمام عمر بإصلاح الطرق في معاهدات بعض ولاته مع البلدان التي تم فتحها، فلما تمّ فتح نهاوند جاء أهل الماهَين ماه بهرذان، وماه دينار وطلبوا من حذيفة بن اليمان الأمان على أن يؤدوا الجزية، فكتب لأهل كل ماه عهداً هذه صورته: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار، أعطاهم الأمان على أنفسهم، وأموالهم، وأراضيهم، لا يغُيَّرون عن ملة، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم، ولهم المنعة[3]، ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم من المسلمين، على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته. وما أرشدوا ابن السبيل، وأصلحوا الطرق وقروا (أضافوا) جنود المسلمين مَن مرّ بهم فآوى إليهم يوماً وليلة، ونصحوا، فإن غشوا وبدَّلوا فذمتنا منهم بريئةٌ، شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرِّن وكتب في المحرم سنة 19هـ)[4].

ومما يستنبط من هذا الكتاب اسيتعاب ولاة عمر لأصول الحضارة، وسياسة الملك، فقد عرفوا لوازم العمران، فجعلوا إصلاح الطرق التي هي عون الأمم التجارية والحربية إجباريًّا على أهل البلاد المفتوحة، وقد انصرفت همة الفاروق منذ السنة السادسة عشرة للهجرة إلى تمصير الأمصار في العراق، وشق الأنهار، وإصلاح الجسور[5]، وقد جاء في عهد عياض بن عنم لأهل الرها ما يأتي: (بسم الله، هذا كتابٌ من عياض بن غنم لأسقف الرها: إنكم قد

(1) الدور السياسي للصفوة ص189، 190.
(2) الأحكام السلطانية للماوردي ص187، 188.
(3) أشهر مشاهير الإسلام (2/ 342).
(4) أشهر مشاهير الإسلام (2/ 342).
(5) المصدر نفسه.

فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إليّ عن كل رجل ديناراً ومدي قمح فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومَن يتبعكم وعليكم إرشاد الضالّ وإصلاح الجسور والطرق، ونصيحة المسلمين.

شهد الله وكفى بالله شهيداً)[1]. وعندما علم عمر بن الخطاب ﷺ أن خليجاً كان يجري بين النيل من قرب حصن بابليون إلى البحر الأحمر، فكان يربط الحجاز بمصر، وييسر تبادل التجارة، ولكن الروم أهملوه فردم. أمر الفاروق عامله على مصر عمرو بن العاص، بشق هذا الخليج مرة أخرى فشقه، فيسر الطريق بين بلاد الحجاز وبين الفسطاط عاصمة مصر، وأصبح شريان تجارة يتدفق منه الرخاء ما بين البحرين مرة أخرى، وقامت على هذا الخليج داخل الفسطاط منتزهات وخمائل ومساكن، وسماه عمرو: خليج أمير المؤمنين[2].

وقد حمل والي مصر، ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة، فنفع الله بذلك أهل الحرمين، ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعهد عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك، فترك وغلب عليه الرمل فانقطع فصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القُلزم[3].

وحفر بالعراق قناة مائية مسافة ثلاثة فراسخ من الخور إلى البصرة لإيصال مياه دجلة إلى البصرة[4]، وهذه المشاريع في حفر الأنهار والخلجان وإصلاح الطرق، وبناء الجسور والسدود، أخذت أموالاً ضخمة من ميزانية الدولة في عهد عمر[5].

- إنشاء الثغور والأمصار كقواعد عسكرية ومراكز إشعاع حضاري:

مع توسع حركة الفتوحات اهتمت الدولة الإسلامية في عهد الفاروق ببناء المدن على الثغور، وتسهيل سبل المواصلات وإصلاح الأراضي، وكذلك تشجيع الهجرة إلى مراكز التجمع الجهادية، والتحول إلى البلدان المفتوحة لنشر الإسلام وإمداد المجاهدين بالرجال والعتاد، وأهم الأمصار التي أنشئت[6] هي: البصرة، والكوفة، والموصل، والفسطاط، والجيزة، وسرت[7]، وقد خططت ووزعت بين الجيوش بحسب قبائلهم وألويتهم وأنشئت

(1) المصدر نفسه (2/ 346).
(2) الفاروق عمر للشرقاوي ص254، 255.
(3) أخبار عمر ص127.
(4) عصر الخلافة الراشدة ص230.
(5) المصدر نفسه.
(6) اقتصاديات الحرب في الإسلام، د. غازي بن سالم ص245.
(7) انظر تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصري ص333 - 340.

فيها المرافق العامة كالمساجد والأسواق، وأنشىء لكل مدينة حمى لرعي خيل وإبل المجاهدين، وشجع الناس على استقدام أهليهم وذراريهم من مدن الحجاز وأطراف الجزيرة العربية للإقامة في هذه المدن؛ لتكون قواعد عسكرية تنطلق منها تعبئة الجيوش، وإمدادها للتوغل في أرض العدو، ونشر دعوة الإسلام فيها، وقد أمر عمر ﷺ قادة الجيوش عند تخطيط هذه المدن أن يكون الطريق بينها وبين عاصمة الخلافة سهلاً وأن لا يحول دونها بحار أو أنهار؛ لأن عمر ﷺ كان يخشى من جهل العرب حينئذٍ بركوب البحر، ولكن عندما أدرك قدرة الجيش الإسلامي في مصر على استغلال الطرق المائية النهرية، سمح لعمرو بن العاص بشق قناة نهرية تصل بين نهر النيل والبحر الأحمر، حتى تنقل الإمدادات من الطعام إلى الحجاز[1] كما مرّ معنا.

لقد قام عمر بن الخطاب ﷺ بتمصير الأمصار، وتجنيد الأجناد مع توسع رقعة الدولة، وكثرة الفتوحات، وبعد الشُّقة بين المسلمين، فقد احتاج الجند إلى أماكن يستريحون فيها من عناء السفر، فلا بد لهم من منازل يأوون إليها شتاء وإذا رجعوا من غزوهم، فوُجدت الدواعي لبناء المدن، وما دام هدف الفتوحات هو نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها للأمم والشعوب والأفراد، فكان لا بد من إقامة حياة إسلامية تلمسها هذه الأمم والشعوب ويحس بها الأفراد، فبنيت الأمصار الإسلامية على نمط إسلامي تطبق فيها الحياة الإسلامية كاملة، كنماذج للمجتمع الإسلامي، فالكوفة والبصرة والفسطاط والموصل مدن إسلامية، توسط كلاً منها المسجد، وانتشرت من حوله البيوت للجنود.

وفي هذه المجتمعات النموذجية تمركزت الفكرة الإسلامية بقوتها ومبادئها، القوة ممثلة في الجيش كله، والفكرة ممثلة في كتاب الله، مجتمعات كاملة تطبق أحكام الله على نفسها في كل أمر وعلى استعداد دائماً لبذل الدماء في سبيل الله، ومن هذه المجتمعات انبثق الإسلام نوراً على البلاد التي افتتحها، فوجهت أبناءها وطبقت العدل في حكمها، وقبلت مَن أسلم فيها، وهذه أبرع الأساليب في تبليغ الدعوة وعرض الفكرة على الأجانب عنها. وفي الشام لم تنشأ فيه أمصار إسلامية؛ لأنها زخرت بالدور التي هجرها أهلها الروم وجلوا عنها، فاستولى عليها المسلمون، وصارت لهم أخائذ تغنيهم عن بناء دور جديدة، ولكثرة العرب في الشام، حيث كانت كل قبيلة تجد لها أقارب هناك، ولذلك ظهرت الأجناد في الشام[2]، ومن أهم الأمصار التي مصرت في عهد عمر ﷺ :

(1) اقتصاديات الحرب في الإسلام ص245.

(2) تاريخ الدعوة الإسلامية د.جميل المصري ص333.

- مدينة البصرة:

معنى البصرة في اللغة: الأرض الغليظة ذات الحجارة الصُّلبة، وقيل: الأرض ذات الحصى، وقيل: الحجارة الرخوة البيضاء. والبصرة مدينة عند ملتقى دجلة والفرات ويعرف ملتقاهما بشط العرب[1]، وقد روعي في تمصيرها فكرة عمر بن الخطاب في إنشاء المدن مع مراعاة الطبيعة العربية، فموقعها قريب من الماء والمرعى في طريق البر إلى الريف، وكان سبب نزول المسلمين بها في عهد أبي بكر! أن قطبة بن قتادة الذهلي أو سويد بن قطبة على اختلاف في الرواية كان يصاول الفرس في جماعة من قومه في ناحية البصرة، فأبقاه خالد بن الوليد والياً وقائداً في ناحية. فلما صارت الخلافة إلى عمر عيَّن عتبة بن غزوان من أصحاب رسول الله ﷺ السابقين الأولين والياً وقائداً لهذه الناحية، وقال له: اشغل من هناك من أهل الأهواز وفارس وميسان عن إمداد إخوانهم. وأمر قطبة أو سويداً بالانضمام إليه، فسار إليه عتبة في أكثر من ثلاثمائة، رجل وانضم إليه قطبة فيمن معه من بكر بن وائل وتميم، فنزلها في شهر ربيع الأول أو الآخر عام 14هـ[2].

واستشار عتبة عمر بن الخطاب في تمصير البصرة، فأمره أن ينزل موقعاً قريباً من الماء والمرعى، فوقع اختياره على مكان البصرة وكتب إليه: إني وجدت أرضاً في طرف البر إلى الريف، ومن دونها مناقع ماء فيها قصباء، فكتب له: أن انزل فيها. فنزلها وبنى مسجدها من قصب، وبنى دار إمارتها دون المسجد، وبنى الناس سبع دساكر من قصب أيضاً لكثرته هناك، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو، فيعيدوا بناءها كما كان، وأصاب القصب حريق، فاستأذنوا عمر بن الخطاب أن يبنوا باللَّبِنِ فأذن لهم في إمارة أبي موسى الأشعري بعد وفاة عتبة عام 17هـ. فبنى أبو موسى المسجد ودار الإمارة باللبِنِ والطين وسقفها بالعشب، ثم بنوها بالحجارة والآجُرّ، وقد جعلوها خططاً لقبائل أهلها وجعلوا عرض شارعها الأعظم وهو مربدها ستين ذراعاً، وعرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعاً، وعرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمرابط خيولهم وقبور موتاهم، وتلاصقوا في المنازل[3].

وأمر عمر أبا موسى الأشعري أن يحتفر لأهل البصرة نهراً، فحفر نهر الأبلة وقاده إلى البصرة بمسافة ثلاثة فراسخ[4]، وبذلك يكون المسلمون في طليعة مَن عرف تخطيط المدن،

(1) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص177.
(2) تاريخ الدعوة الإسلامية ص333.
(3) المصدر نفسه ص334.
(4) المصدر نفسه.

وقد كثر غناء مَن سكن البصرة من المسلمين بفتح الأبلة ودست وميسان[1]، فرغبها الناس وآتوها، وكانوا طلاب غنى كما كان الأوائل طلاب جهاد، فوفدت أخلاط من القبائل وأخلاط من الطامعين والتجار فازداد عدد سكانها زيادة كبيرة[2].

ومن خلال الروايات التاريخية استنتج الباحثون الاعتبارات العسكرية والاقتصادية التي وضعها الفاروق عند إنشاء المدن وهي:

- تأسيس هذه المدن على مشارف أرض العرب مما يلي أرض العجم؛ لتبقى حصوناً منيعة لا يطمع العدو في تجاوزها.
- صلاحية مواقع هذه المدن لسكن العرب؛ لأنهم كانوا حينئذٍ مادة الجهاد في سبيل الله، وهم لا يصلحون إلا حيث توجد مراعي الإبل، كما بيَّن الفاروق رضي الله عنه.
- روعي في اختيار مواقع المدن أن تكون على حد البر من أرض العرب، حتى يجد العرب المراعي اللازمة لمواشيهم، كما رُوعي من جهة ثانية أن تكون على أدنى الريف من أرض العجم لترد إلى هذه المدن المنتجات الريفية من ألبان وأصواف وحبوب وثمار، فقد قال عمر رضي الله عنه عندما قرأ كتاب عتبة بن غزوان عن أرض البصرة: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب[3].

وهذا يدل على سلامة السياسة الحربية ودقة التخطيط العمراني ليلائم ظروف السلم والحرب معاً، فقد ضمنت هذه الخطة تأمين مصادر المياه، وقرب خطوط الإمداد بالمواد الغذائية، مصادر الطاقة اللازمة لحاجة أهل المصر كالحطب وغيره.

- التأكد من عدم وجود عوائق طبيعية كالبحار مثلاً تمنع وصول الإمدادات من قاعدة الخلافة إلى جبهات القتال[4].
- كان تنظيم الأمصار يتم طبقاً للتنظيم القبلي للجيش، فكل قبيلةٍ تكون في منازل متجاورة[5].

- مدينة الكوفة:

تُجمع آراء المؤرِّخين على أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعد هو المؤسس الأول للمدينة، وأنه قد اختار موضعها وأمر بتخطيطها بعد فترة من الانتصارات التي حقَّقها المسلمون في حربهم ضد الفرس في جبهة المدائن، وكما هي الحال تماماً في مسألة اختيار وتمصير مدينة

(1) تاريخ الدعوة الإسلامية ص334.
(2) المصدر نفسه.
(3) فتوح البلدان للبلاذري ص341.
(4) فتوح البلدان ص275.
(5) اقتصاديات الحرب في الإسلام ص247.

البصرة، فإن العوامل العسكرية لعبت دوراً أساسيًّا ومركزيًّا في دفع سعد إلى التفكير في اتخاذ موضع أو مخيم للمجاهدين[1]، وقام بتنفيذ ذلك بعد توجيه الفاروق له ﷺ وقد خضع اختيار سعد للكوفة وَفْقَ المعايير التي وضعها الفاروق.

وقد لاحظ الفاروق في وفود القادسية والمدائن تغيراً في وجوههم فعلم أن ذلك من وخومة البلاد، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ لهم مكاناً يوافقهم كما يوافق إبلهم، وأرسل سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان رائدين، فارتادا حتى أتيا موضع الكوفة، وموقعها بين الحيرة والفرات، وقد سميت بذلك لأنها من رمل وحصباء، كل رمل وحصباء فهو كوفة[2]، فتحول سعد من المدائن إليها في محرم عام 17هـ وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون في خيامهم؛ لأن ذلك أَجدُّ في حربهم وأذكى لهم وأهيب في عين عدوهم وأدعى إلى إحجامه عن أمر يهم به، ولما استأذنه أهل الكوفة والبصرة في بنيان القصب لم يحب أن يخالفهم فأذن لهم، فابتنى أهلها بالقصب، ثم إنَّ الحريق الذي وقع بالكوفة والبصرة أتى عليها، فاستأذنوا عمر في البناء باللَّبِنِ فقال: افعلوا. ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (حجرات) ولا تطاولوا في البنيان. وكتب إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك، وجعل على تنزيل أهل البصرة والإشراف على بنائها عاصم بن الدلف أبا الجرداء، وعلى تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بنائها أبا الهيَّاج بن مالك الأسدي، فقام أبو الهياج بتخطيط الكوفة بأمر عمر الذي أمر؛ بالمناهج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبعة أذرع ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعاً وكان أول شيء خُط فيها مسجدها، ثم قام في وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه، ثم أمر بالبناء وراء مواقع السهام، وبنى في مقدمة المسجد ظلة ذرعها مائتان على أساطين من رخام كانت للأكاسرة سماؤها كأسمية المساجد الرومية، وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقب مئتي ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال وقام بالبناء روزبة الفارسي[3]، وسكنها بعد إنشائها المجاهدون والمسلمون ثم فرقة فارسية من فرق القائد رستم عدَّتها أربعة آلاف كانت تعرف باسم جند شاهنشاه، فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبوا، ويحالفوا مَن أحبوا ويفرض لهم العطاء، فأعطاهم سعد ما سألوه، وكان لهم نقيب يقال له ديلم، فقيل عنهم: حمراء ديلم[4]، كما نزلها جماعة من يهود نجران ونصاراها عندما أجلاهم عمر عن شبه الجزيرة فأقاموا بمحلة

(1) دراسة في تاريخ المدن العربية الإسلامية د.عبد الجبار ناجي ص183.
(2) تاريخ الدعوة الإسلامية ص335.
(3) تاريخ الطبري (5/ 17).
(4) تاريخ الدعوة ص336.

عُرِفتَ بالنجرانية في الكوفة[1]، وارتفع شأن البصرة والكوفة بعد تمصيرهما وعظم أمرهما، وأصبح لهما شهرة عظيمة في قيادة الجيوش وحَمْل لواء العلم والأدب في العالم الإسلامي كله، بل وانتقلت إليهما القوة من الحجاز، فاتخذ علي بن أبي طالب ﷺ الكوفة مقرًّا لخلافته بعد أن انتقل مركز الثقل الإسلامي إلى الأمصار على وجه الإجمال[2].

إن عمر ﷺ وضع تخطيط البصرة والكوفة على قاعدة صحيحة مُحكمةٍ، فقد وسع طرقها وجعلها على نظام جميل، وهي في شكلها العام تدل على عبقرية الفاروق في المجال العمراني، فقد كانت الكوفة تجمع بين سكن المدن وهواء البادية وتربتها، وذلك أدعى لصحة الأجسام وجودة الهواء؛ لأن سعة الطرق للبلاد بمثابة الرئة للجسم، وكان عمر يريد ممن نزلوا الكوفة أن يكونوا في خيامهم؛ لأن ذلك أسرع إذا مست الحاجة وأهيب في عين عدوهم، إلا أن الأمر تطور بعد ذلك حتى بنيت المدن بالطُّوب[3].

- خشية عمر على المسلمين من الدخول في حياة الترف والنعيم:

كان عمر ﷺ يخشى على المسلمين الدخول في حياة الترف والنعيم، وما يترتب على ذلك من نتائج سيئة في الدنيا والآخرة، فعندما نزل أهل الكوفة واستقرت بأهل البصرة الدار عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا، ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب واستأذنه فيه أهل البصرة، فقال عمر: العسكر أَحَدُّ لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم، وما القصب؟ قالوا: العِكرش[4] إذا رَوِي قصَّب فصار قصباً. قال: فشأنكم، فابتنى أهل المِصْرَيْنِ بالقَصَب[5].

ثم إن الحريق وقع بالكوفة والبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبة شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك، فبعث سعد منهم نفراً إلى عمر يستأذنونه في البناء باللّبن فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم، وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا وآمروه فيه (يعني شاوروه) فقال: افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (يعني غرف) ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنة تلزمكم الدولة، فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك. قال: وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنياناً فوق القدر، قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم من السَّرف، ولا يخرجكم عن القصد[6].

---

(1) تاريخ الدعوة الإسلامية ص336.
(2) المصدر نفسه ص338.
(3) الخلفاء الراشدون ص182.
(4) العكرش: نبات شوكي ينبت من نزوز الأرض.
(5) تاريخ الطبري (5/ 15).
(6) تاريخ الطبري (5/ 16).

هذا ومن استعراض هذا الخبر يتبين لنا أن أولئك القوم كانوا زاهدين في مظاهر الدنيا، فهم يريدون من المساكن ما يكنّهم من الشمس والمطر والبرد والحر، ولا يهمهم التمتع بالقصور والبيوت العالية، ولذلك اختاروا التعريش بالقصب الذي كان أيسر الأشياء لديهم حتى اضطروا إلى البناء بالطين، ومع ذلك نجد عمر ﷺ يضع لهم الاحتياطات اللازمة لمنع التنافس والتطاول في البنيان.

وهذا إدراك بعيد المدى لما يتوقع أن تكون عليه الأمة من الغنى بعد الفتوح، فهو يحاول في هذا التوجيه وأمثاله أن يحدّ من اندفاع الأمة نحو الإسراف والترف، وأن يحملها على حياة القصد والاعتدال، ومن كلام عمر ﷺ السابق يتبين لنا: أن المقصود بالبناء الذي لا خير فيه ما قرب من الإسراف وأخرج عن القصد والاعتدال، وإن من أعظم مظاهر الإسراف التطاول في البنيان؛ وذلك لأن البنيان يستهلك من الإنسان مالاً كثيراً ووقتاً طويلاً، فإذا انصرف له الإنسان بالاهتمام استحوذ على تفكيره حتى يبقى هو الهم الأكبر عند بعض الناس[1]، ولئن كان ما يخشاه عمر ﷺ من الانفتاح الدنيوي في عهده ويحاول أن يحجز الأمة عن التوغل فيه من ناحية البنيان لا يعدو أن يكون بناء محدوداً ينتهي إعداده في أمد قصير، فإن إعداد البناء في عصرنا هذا قد يستغرق سنوات من العمر، ثم قد يعقبه في أحوال كثيرة ديون متراكمة يظل صاحبها يجمع فضول أمواله لسدادها.

وقد يمر عليه سنون من عمره وهو لا يعرف عن الزكاة شيئاً، مع أنه يُعَدُّ من المتوسطين في الغنى الذين هم غالبية الناس؛ لأن القصور التي تعارف أكثر الناس عليها تتطلّب أنواعاً عالية من الأثاث والكماليّات التي ترهق طالبها، وتجعله يظل يلاحق أنفاسه سنوات عَلَّه يصل إلى ما تصبو إليه نفسه من مشاكلة الناس في مظاهر الحياة الدنيا، وفي خضم هذا التنافس تضيع أحياناً بعض مطالب الإسلام الحيوية: من العبادات المالية التي على رأسها الزكاة، والإنفاق على المجاهدين في سبيل الله تعالى، كما أنه قد ينشغل فكر الإنسان أحياناً عن الأمور المهمة كالصلاة وطلب العلم[2].

- قول عمر: ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد:

يعني أن حدود البناء المشروع ما لا يقرب صاحبه من الإسراف وهو مجاوزة الحد المشروع ولا يخرجه عن حدِّ الاعتدال، وقد ترك عمر ﷺ تحديد ذلك لهم؛ لأن لكل بلد عرفاً خاصًّا يتحدد به الإسراف والاعتدال والتقتير، فالقصد إذن يحدده العُرْفُ السائد في البلد لدى أوساط الناس من أهل الاستقامة بالاعتدال في الأمور الدنيوية[3].

---

(1) التاريخ الإسلامي (19، 20/ 22).
(2) المصدر نفسه.
(3) التاريخ الإسلامي (19، 20/ 23).

- قوله: الزموا السنة تلزمكم الدولة:

يعني أن الالتزام بالطريق المستقيم الذي سار عليه رسول الله ﷺ سبب في الإدالة على الناس والتمكين في الأرض، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: 55].

ولقد كان هذا التزهيد من عمر رضي الله عنه في مظاهر الدنيا مع أن المسلمين آنذاك كانوا يتنافسون في هذا الزهد، فكيف بمن جاؤوا بعدهم على مرِّ العصور ممن يتنافسون على مظاهر الدنيا؟ هذا ولقد كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حريصاً على علاج أمر الانفتاح المادي الذي كان في عصره، حيث فُتحت بلاد الفرس وأجزاء من بلاد الروم، فأفاء الله تعالى على المسلمين من غنائم الفتوح وفيء البلاد وخراجها أموالاً عظيمة، ولقد خطب أمير المؤمنين خطبة بليغة شخَّص فيها ذلك الواقع وأرشد المسلمين إلى السلوك الأمثل.

فقد قال رضي الله عنه: إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحجة فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره وسخر لكم ما في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون. ثم جعل لكم سمعاً وبصراً.

ومن نعم الله عليكم نعمٌ عمّ بها بني آدم، ومنها نعمٌ اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم يُستصفَوْن[1] معايشهم وكدائحهم ورشح جباهم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعباً، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم مع رفاغة[2] العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام

(1) استصفى الشيء: أخذ صفوه.

(2) رفاغة العيش: سعة العيش وبحبوحته.

في كل بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها، ولا يقدر قدرها، ولا يستطاع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارعة إلى مرضاته، واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى، فإن الله ﷻ قال لموسى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5]. وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنفال: 26].

فلو كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت، لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة، وأثبتهم بالله جهالة، فلو كان هذا الذي استشلاكم[1] به لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء أن تشحوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، قَبْلَهِ ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا والآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم، فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفاً لها ولانتقالها، ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا شيء أسلب للنعمة، من كفرانها، وإن الشكر أمن الغير، ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة، هذا لله عليّ من أمركم ونهيكم واجب[2].

- مدينة الفسطاط:

إذا كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعد المؤسس الأول لمدينة الكوفة، فإن عمرو بن العاص يعد المؤسس لمدينة الفسطاط، فبعد انتهائه من عملية فتح الإسكندرية أراد الاستقرار فيها، فكتب إليه عمر بن الخطاب: ألا تجعلوا بيني وبينكم ماء حتى أقدم إليكم... فتحول من الإسكندرية إلى الفسطاط[3]، وأول عمل عمله فيها هو بناء مسجده الذي عرف باسمه، فضلاً عن مسجده في الإسكندرية ثم بنى داراً لعمر بن الخطاب وربما قصد بها داراً للخلافة، فكتب إليه عمر بن الخطاب وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين[4]، وبنى عمرو بن العاص لنفسه دارين قريبتين من المسجد كما يخبرنا عنها ابن عبد الحكم: فاختط عمرو بن العاص داره التي

(1) استشلاكم: دعاكم لينقذكم.
(2) تاريخ الطبري (5/ 211 - 213).
(3) فتوح مصر لابن عبد الحكم: ص91؛ سميت فسطاطاً لأنه أقام فسطاطه فيها.
(4) عمرو بن العاص القائد والسياسي ص135.

هي اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها[1]. وربما بناها واحدة له، والأخرى داراً للإمارة بعد أن أمر عمر بن الخطاب بهدم داره السالفة الذكر، وكلف عمرو بن العاص جماعة من كبار الصحابة من مرافقيه ليفصلوا بين القبائل، فجعلوا لكل قبيلة جهة لمنازلهم عرفت بالخطط، وهي أشبه ما تُعرف بالأحياء في وقتنا الحاضر، ولكنها لم تكن بهذا الاتساع حيث جعل بين القبيلة والأخرى شوارع، وربما لم تكن بمفهوم الشوارع اليوم وإنما ممرات بين كل حارة وأخرى. وكانت الجماعة مكونة من: معاوية بن خديج التجيبي، وشريك ابن سُمي الغطيفي، وعمرو بن محرم الخولاني، وحويل بن ناشرة المعافري، وكانوا هم الذين أنزلوا الناس، وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة إحدى وعشرين[2]، وعلى الرغم من أن المجال لا يتسع لذكر جميع الخطط في هذا المجال إلا أنه لا بأس من ذكر بعض منها مثل: خطة أسلم، والليتون، وبني معاذ، وبلي، وبني بحر، ومهرة، ولخم، وغافق، والصدف، وحضرموت، وتجيب، وخولان، ومذحج ومراد، ويافع، ومعافر، ومعهم الأشعريون[3].

ويستدل الباحث من هذه الأسماء على كثرة القبائل العربية وغيرها ممن شارك في عملية الفتح، وبالتالي كثرة الأحياء المكونة من هذه القبائل وحب كل قبيلة في أن يكون لها استقلالها الخاص؛ لتداول شؤونها وما يهم من أفرادها، ونستدل أيضاً على دقة التنظيم الذي وافق عليه عمرو بن العاص في هذا التقسيم القبلي[4]، وقد كانت هذه القبائل تبني في وسطها مساجدها فقد ذكر ابن ظهيرة في كتابه: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة نقلاً عن ابن زولاق ما ذكره عن المساجد الأولى في الفسطاط، ذكر في أولها مسجد عمرو بن العاص ثم عدداً من المساجد المنسوبة لأفراد[5]، وقال بعدها: وبمصر من مساجد الصحابة - سوى ما ذكرنا - مساجد بنوها حين الفتح عدتها نحو مائتي مسجد وثلاثة وثلاثين مسجداً، وقد أعد ترتيبها تبعاً لعشائرها[6].

هذا وقد وفق عمرو بن العاص باختياره المكان؛ إذ يسهل منه الاتصال بحاضرة الخلافة، فضلاً عن كونه وسطاً بين شمالي البلاد وجنوبها وقريباً من النيل[7].

- مدينة سرت بليبيا:

بعد أن صبحت برقة قاعدة للإسلام غربي مصر، انطلق منها عمرو بن العاص وجنده إلى طرابلس، فبدأ بمدينة سرت بين برقة وطرابلس فاستولى عليها، واتخذها المسلمون قاعدة

(1) فتوح مصر ص96، 97.
(2) عمرو بن العاص القائد والسياسي ص136.
(3) فتوح مصر ص115 - 129.
(4) عمرو بن العاص القائد والسياسي ص137.
(5) أهل الفسطاط، د.صالح أحمد العلي ص38.
(6) المصدر نفسه ص38.
(7) تاريخ الدعوة الإسلامية، د.جميل المصري ص339.

للانطلاق إلى الغرب منذ عام 22هـ، وبقيت قاعدة لقوات المسلمين ومركزاً لعقبة بن نافع الذي صرف همه لنشر الإسلام في الواحات القريبة من فزان وودان وزويلة والسودان[1].

- الحاميات المقامة في المدن المفتوحة:

أطلق عمر رضي الله عنه اسم الأجناد على الحاميات المقامة في المدن المفتوحة في جميع الجهات من البلاد المفتوحة، وخاصة بلاد الشام، فكان فيها ثُكُنات لإقامة الجند، وفي كل معسكر حظيرة للخيل فيها ما لا يقل عن أربعة آلاف حصان بكامل معداتها وتجهيزاتها كلها على أهبة الاستعداد[2]، حتى إذا دعت الحاجة أمكن القيادة أن تدفع إلى ميادين القتال في وقت قصير أكثر من 36 ألفاً من الفرسان دفعة واحدة في بلاد الشام وحدها. وقد خُصِّصَتْ مراعٍ واسعة لتلك الخيول في كل الأجناد، وكان كل حصان يوسم على فخذه ميسم: جيش في سبيل الله. تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: 60].

ومن هذه الحاميات في بلاد الشام:

- **جند دمشق:** وتولاها في عهد عمر بن الخطاب ثلاثة على الترتيب هم: يزيد بن أبي سفيان، فسويد بن كلثوم، فمعاوية بن أبي سفيان.

- **جند حمص:** وقد تولاها أبو عبيدة عامر بن الجراح، فعبادة بن الصامت، فعياض بن غنم، فسعد بن عامر بن حذيم، ثم عمير بن سعد، فعبد الله بن قرط.

- **جند قنسرين:** وتولاها خالد بن الوليد فعمير بن سعد.

- **جند فلسطين:** وتولاها يزيد بن أبي سفيان فعلقمة بن مجزز.

- **جند الأردن:** مركزها طبرية وتولاها شرحبيل بن حسنة فيزيد بن أبي سفيان فمعاوية، وقد تولى معاوية جند دمشق والأردن بعد وفاة يزيد في طاعون عمواس[3]. هذا وقد دفعت الرغبة في الجهاد ابتغاء مرضاة الله كثيراً من الصحابة وعلماء التابعين إلى الارتحال إلى هذه المدن التي تسمى الثغور والأمصار، لنشر الدعوة والجهاد في سبيل الله وتعليمهم القرآن والسنة، وقد أصبحت كل من المدينة المنورة والبصرة والكوفة ودمشق والفسطاط، مناطق جذب سكانية تحوّل الناس إليها طلباً للعلم والجهاد، أو برغبة التسجيل في ديوان الجيش والحصول على الأعطيات، أو برغبة التجارة واحتراف المهن الأخرى، مما جعل هذه الأمصار منارات

(1) تاريخ الدعوة الإسلامية د. جميل المصري ص340.
(2) البداية والنهاية (7/ 138)، تاريخ الدعوة ص341.
(3) المصدر نفسه ص341.

حضارية ازدهرت فيها شتى العلوم والمعارف، ونمت فيها مختلف الحِرَف والصناعات[1].

ثانياً: الأزمة الاقتصادية (عام الرمادة):

تعرضت الدولة الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه للابتلاء، وهذه السُّنة جارية في الأمم والدول والشعوب والمجتمعات، والأمة الإسلامية أمة من الأمم، فسنة الله فيها جارية لا تتبدل ولا تتغير، ومن أعظم الابتلاءات في عهد عمر، عام الرمادة وطاعون عمواس، ونترك الصفحات لتحدثنا عن تعامل عمر مع هذه الأزمات، وكيف دفعها بسنة الأخذ بالأسباب، والتضرع والدعاء لله رب العباد، ففي سنة 18هـ أصاب الناس في الجزيرة مجاعةٌ شديدةٌ وجدبٌ وقحطٌ واشتد الجوع حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها، وماتت المواشي جوعاً وسمي هذا العام عام الرمادة، لأن الريح كانت تسفي تراباً كالرماد، واشتد القحط، وعزت اللقمة. وهرع الناس من أعماق البادية إلى المدينة يقيمون فيها، أو قريباً منها، ويلتمسون لدى أمير المؤمنين حلاً، فكان الفاروق أكثر الناس إحساساً بهذا البلاء وتحملاً لتبعاته[2]، ويمكن للباحث أن يلحظ الخطوات التي سار عليها عمر في التعامل مع هذه الأزمة كالآتي:

1 - ضرب من نفسه للناس قدوة:

جيء لعمر بن الخطاب في عام الرمادة بخبز مقتوت بسمن فدعا رجلاً بدويًا ليأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك في جانب الصَّحْفَة[3]، فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك، فقال البدوي: أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً، ولا رأيت آكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم، فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس! ولقد أجمع الرواة جميعاً: أن عمر كان صارماً في الوفاء بهذا القسم، ومن ذلك أنه لمَّا قدمت إلى السوق عكة سمن ووطبٌ من لبن، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهماً ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً، فقال عمر: أغليت[4] فتصدق بهما، فإني أكره أن آكل إسرافاً! ثم أردف قائلاً: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم[5]؟ فهذه جملة واحدة في كلمات مضيئة، يوضح فيها الفاروق مبدأ من

---

(1) اقتصاديات الحرب في الإسلام ص250.
(2) فن الحكم 68، البداية والنهاية (7/ 98)، تاريخ الطبري (5/ 75).
(3) الودك: الدسم والدهن، والصَّحْفة: إناء من آنية الطعام.
(4) أغليت بهما: اشتريتهما بسعر غالٍ.
(5) تاريخ الطبري (5/ 78).

أروع المبادئ الكبرى التي يمكن أن تعرفها الإنسانية في فن الحكم، كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسهم[1].

وقد تأثر عمر في عام الرمادة حتى تغير لونه ﷺ فعن عياض بن خليفة قال: رأيت عمر في عام الرمادة وهو أسود اللون، ولقد كان رجلاً عربيًّا يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرّمها، فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر[2].

وعن أسلم قال: كنا نقول: لو لم يرفع الله تعالى الْمَحْلَ عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين[3]، وكان ﷺ يصوم الدهر[4]، فكان عام الرمادة.

إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحر يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وعرفوا له طيبها، فأتي به فإذا قدر من سنام ومن كبد، فقال: أنى هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم. قال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كراديسها[5]، ارفع هذه الصحفة، هات لنا غير هذا الطعام، فأتى بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك بالزيت، ثم قال: ويحك يا يرفأ[6] احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها أهل بيت يثمغ[7]، فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين، فضعها بين أيديهم[8].

هذا هو الفاروق وهذا هو فن الحكم في الإسلام يؤثر الرعية على نفسه، فيأكلون خيراً مما يأكل، وهو الذي يحمل من أعباء الحكم والحياة أضعاف ما يحملون، ويعاني من ذلك أضعاف ما يعانون، وهو في ذلك لا يضع القيود على نفسه وحدها، بل يسير بها ليقيد أفراد أسرته، فهم أيضاً يجب أن يعانوا أكثر مما يعاني الناس، وقد نظر ذات يوم في عام الرمادة فرأى بطيخة في يد ولد من أولاده فقال له على الفور: بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين، تأكل الفاكهة وأمة محمد هَزْلَى؟ فخرج الصبي هارباً يبكي، ولم يسكت عمر إلا بعد أن سأل عن ذلك وعلم أن ابنه اشتراها بكف من نوى[9].

لقد كان إحساسه بمسؤولية الحكم أمام الله ﷻ يملك عليه شعاب نفسه، فلم يترك

---

(1) فن الحكم ص71.
(2) الطبقات (3/ 314).
(3) الطبقات (3/ 315)، محض الصواب (1/ 363).
(4) محض الصواب (1/ 362).
(5) الكراديس: جمع الكردوس؛ وهو: كل عظم تام ضخم، وكل عظمين التقيا في مفصل (ج) كراديس.
(6) حاجب عمر، أدرك الجاهلية، وحج مع عمر في خلافة أبي بكر.
(7) موضع مال لعمر وقفه بالمدينة.
(8) الطبقات (3/ 312)، الشيخان من رواية البلاذري ص 294.
(9) الطبقات (3/ 315)، محض الصواب (1/ 363).

وسيلة في الدين والدنيا يواجه بها الجدب وانقطاع المطر إلا لجأ إليها، فكان دائم الصلاة، دائم الاستغفار، دائم الحرص على توفير الأقوات للمسلمين، يفكِّر في رعيته، مَنْ زحف منهم إلى المدينة، ومَنْ بقي منهم في البادية، ويواجه العبء كله في كفاءة واقتدار. . . ثم بعد ذلك قسوة على النفس ما أروعها من قسوة، حتى قال مَنْ أحاط به في تلك الأزمة: لو لم يرفع الله الْمَحْلَ[1] عام الرمادة لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين[2].

2 - معسكرات اللاجئين عام الرمادة:

عن أسلم قال: لما كان عام الرمادة جاءت العرب من كل ناحية فقدموا المدينة، فكان عمر قد أمر رجالاً يقومون بمصالحهم، فسمعته يقول ليلة: أحصوا مَنْ يتعشّى عندنا، فأحصوهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل، وأحصوا الرّجال المرضى والعيالات فكانوا أربعين ألفاً.

ثم بعد أيام بلغ الرجال والعيال ستين ألفاً، فما برحوا حتى أرسل الله السماء، فلما مطرت رأيت عمر قد وكَّلَ بهم مَنْ يخرجونهم إلى البادية ويعطونهم قوتاً وحملاناً إلى باديتهم، وكان قد وقع فيهم الموت فأراه مات ثلثاهم، وكانت قدور عمر تقوم إليها العمال من السَّحَر يعملون الكركور ويعملون العصائد[3]، وهنا نرى الفاروق ﷺ يقسم وظائف العمل على العاملين، وينشىء مؤسسة اللاجئين بحيث يكون كل موظف عالماً بالعمل الذي كلفه به دون تقصير فيه ولا يتجاوز إلى عمل آخر مسند إلى غيره[4]، فقد عيَّن أمراء على نواحي المدينة لتفقد أحوال الناس الذين اجتمعوا حولها طلباً للرزق لشدة ما أصابهم من القحط والجوع، فكانوا يشرفون على تقسيم الطعام والإدام على الناس وإذا أمسوا اجتمعوا عنده فيخبرونه بكل ما كانوا فيه، وهو يوجههم[5].

وكان عمر يطعم الأعراب من دار الدقيق وهي من المؤسسات الاقتصادية التي كانت أيام عمر توزع على الوافدين على المدينة، الدقيق، والسويق، والتمر والزبيب من مخزون الدار قبل أن يأتي المدد من مصر والشام والعراق وقد توسعت دار الدقيق؛ لتصبح قادرة على إطعام عشرات الألوف الذين وفدوا على المدينة مدة تسعة أشهر، قبل أن يحيا الناس بالمطر[6].

وهذا يدل على عقلية عمر في تطوير مؤسسات الدولة سواء كانت مالية، أو غيرها، وكان ﷺ يعمل بنفسه في تلك المعسكرات، قال أبو هريرة: يرحم الله ابن حنتمة! لقد رأيته

---

(1) المحل: انقطاع المطر ويبس الأرض.
(2) فن الحكم ص71، الطبقات (3/ 315).
(3) تاريخ الذهبي ص274.
(4) الكفاءة الإدارية د. عبد الله القادري ص107.
(5) الكفاءة الإدارية ص115.
(6) المدينة النبوية فجر الإسلام (2/ 37، 38).

عام الرّمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين، وعكة زيت[1] في يده وإنه ليعتقب (أي يتناوب) هو وأسلم فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً. قال: فأخذت أعقبه (أعاونه) فحملناه حتى انتهينا إلى ضرار فإذا صِرْم (جماعة) نحو من عشرين بيتاً من محارب فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد. قال: وأخرجوا لنا جلد ميتة مشوية كانوا يأكلونها، ورمة العظام مسحوقة كانوا يسفونها. قال: فرأيت عمر طرح رداءه ثم نزل يطبخ لهم ويطعمهم حتى شبعوا، ثم أرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة، ثم كساهم، ثم لم يزل يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك[2].

وكان ﷺ يصلي بالناس العشاء ثم يخرج إلى بيته فلا يزال يصلي حتى يكون آخر الليل ثم يخرج فيأتي الأنقاب فيطوف عليها، وقد ذكر عبد الله ابن عمر بأنه قال: وإني لأسمعه ليلة في السحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يديّ! ويقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء! يردد هذه الكلمات[3].

وقال مالك ابن أوس (من بني نصر): لما كان عام الرمادة قدم على عمر قومي وهم مئة بيت فنزلوا الجبانة، فكان عمر يطعم الناس مَن جاءه ومن لم يأت أرسل إليه الدقيق والتمر والأدم إلى منزله، فكان يرسل إلى قومي بما يصلحهم شهراً بشهر، وكان يتعهد مرضاهم وأكفان مَن مات منهم. ولقد رأيت الموت وقع فيهم حتى أكلوا الثفْل وكان عمر ﷺ يأتي بنفسه فيصلي عليهم لقد رأيته صلى على عشرة جميعاً، فلما أحيوا قال: اخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية، فجعل عمر يحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم[4].

وعن حزم بن هشام عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب عام الرّمادة مرّ على امرأة وهي تعصد عصيدة لها، فقال: ليس هكذا تعصدين. ثم أخذ المِسْوط (ما يخلط به كالملعقة) فقال: هكذا فأراها، وكان يقول: لا تذرَّنَّ إحداكن الدقيق حتى يسخن الماء، بل تَذُرُّه قليلاً قليلاً وتسوطه بمسوطها، فإنه أربع له وأحرى ألّا يتفرّد (أي يجتمع ويركب بعضه بعضاً)، وحدثت بعض نساء عمر ﷺ فقالت: ما قرب عمر امرأة زمن الرّمادة حتى أحيا الناس همًّا[5].

وعن أنس قال: تقرقر بطن عمر بن الخطاب عام الرمادة، وكان يأكل الزيت، وكان قد حرّم على نفسه السمن، فنقر بطنه بأصبعيه وقال: تقرقر إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس[6].

---

(1) العكة: آنية السمن أصغر من القربة.
(2) أخبار عمر ص111، نقلاً عن الرياض النضرة.
(3) المصدر نفسه ص111.
(4) أخبار عمر ص112، ابن الجوزي ص61.
(5) المصدر نفسه ص116.
(6) الحلية (1/ 48).

3 - الاستعانة بأهل الأمصار:

وأسرع عمر ﷺ ، فكتب إلى عماله على البلاد الغنية يستغيثهم فأرسل إلى عمرو بن العاص عامله على مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى العاص بن العاصي، سلام عليك، أما بعد، أفتراني هالكاً وَمَنْ قِبَلي، وتعيش أنت منعماً وَمَنْ قِبَلَك؟ فواغوثاه واغوثاه، فكتب إليه عمرو بن العاص: لعبد الله أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد أتاك الغوث، فالريث الرَّيث؛ لأبعثنّ إليك بِعِيْرٍ (عير: بكسر العين: قافلة) أولها عندك وآخرها عندي، مع أني أرجو أن أجد سبيلاً أن أحمل في البحر[1]، فبعث في البر بألف بعير تحمل الدقيق وبعث في البحر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والدهن، وبعث إليه بخمسة آلاف كساء[2].

وكتب عمر إلى كل عامل من عماله على الشام: ابعث إلينا من الطعام بما يصلح مَنْ قبلنا، فإنهم قد هلكوا، إلا أن يرحمهم الله[3]، وكتب إلى عماله على العراق وفارس بمثل ذلك، فكلهم أرسلوا إليه[4].

وذكر الطبري: أن أول مَنْ قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح في أربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة، فلما رجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم، فقال: لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين، إنما أردت الله وما قِبله، فلا تدخل علي الدنيا، فقال: خذها فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه، فأبى، فقال: خذها فإني قد وليت لرسول الله ﷺ مثل هذا، فقال لي مثل ما قلت لك، فقلْت له كما قلتَ لي فأعطاني، فقبل أبو عبيدة وانصرف مع عماله، وتتابع الناس[5]. وبعث معاوية بن أبي سفيان ثلاثة آلاف بعير تحمل طعاماً، ووصلت من العراق ألف بعير تحمل دقيقاً[6]، وشرع عمر في توزيع هذا الزاد على أهل المدينة ومَنْ لاَذُوا بها من الأعراب، وسير منه إلى البادية، وأمر بتوزيعه على أحياء العرب جميعاً، قال الزبير بن العوام: قال لي عمر في عام الرمادة، وقد حمَّل قافلة من الإبل بالدقيق والشحم والزيت لنجدة أهل البادية: اخرج في أول هذه العير فاستقبل بها نجداً، فاحمل إليّ أهل كل بيت قدرت أن تحملهم إليّ، ومَنْ لم تستطع حمله، فمر لكل أهل بيت ببعير بما عليه من المتاع، ومرهم فليلبسوا كساءين، واحداً للشتاء، والآخر للصيف، ولينحروا البعير، فليحفظوا شحمه، وليقددوا لحمه... ثم ليأخذوا شحماً ودقيقاً فيطبخوا، ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزقه[7]،

---

(1) أخبار عمر ص115.
(2) المصدر نفسه ص115.
(3) الفاروق عمر ص262.
(4) المصدر نفسه ص263
(5) تاريخ الطبري (5/ 80).
(6) الفاروق عمر ص262.
(7) المصدر نفسه ص262.

وجعل عمر يرسل إلى الناس مؤونة شهر بشهر، مما يصله من الأمصار من الطعام والكساء.

واستمرت القدور العمرية الضخمة، يقوم عليها عمال مهرة، يطبخون من بعد الفجر، ثم يوزعون الطعام على الناس، وأعلن عمر: إن يرفع الله الجدب فسأجعل مع أهل كل بيت مثلهم، وسنطعم ما وجدنا أن نطعمهم، فإن أعوزنا، جعلنا مع أهل كل بيت ممن يجد، عدتهم ممن لا يجد، إلى أن يأتي الله بالحَيَا (المطر)[1].

وقد جاء في رواية قوله: لو امتدت المجاعة لوزعت كل جائع على بيت من بيوت المسلمين، فإن الناس لا يهلكون على أنصاف بطونهم[2].

وكان الفاروق يقوم بتوزيع الطعام والزاد على كثير من القبائل في أماكنهم من خلال لجان شكلها، فعندما وصلت إبل عمرو بن العاص إلى أفواه الشام أرسل عمر من يشرف على توزيعها مع دخولها جزيرة العرب، فعدلوا بها يميناً وشمالاً ينحرون الجُزُر، ويطعمون الدقيق، ويكسون العباء، وبعث الفاروق رجلاً بالطعام الذي أرسله عمرو من مصر في البحر، فحمله إلى أهل تهامة يطعمونهم[3].

4 - الاستغاثة بالله وصلاة الاستسقاء:

عن سليمان بن يسار قال: خطب عمر الناس في زمان الرمادة، فقال: أيها الناس، اتقوا الله في أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي، فما أدري السخطة عليَّ دونكم أو عليكم دوني أو قد عمتني وعمتكم فهلموا فلندع الله يصلح قلوبنا وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المَحْلَ، فرُئي عمر يومئذٍ رافعاً يديه يدعو الله، ودعا الناس، وبكى وبكى الناس مليًّا ثم نزل[4]، وعن أسلم قال: سمعت عمر يقول: أيها الناس، إني أخشى أن تكون سخطة عمتنا جميعاً فأعتبوا ربكم وانزعوا وتوبوا إلى ربكم وأحدثوا خيراً[5].

وعن عبد الله بن ساعدة قال: رأيت عمر إذا صلى المغرب نادى: أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، وسلوه من فضله، واستسقوا سقيا رحمة لا سقيا عذاب. فلم يزل كذلك حتى فرّج الله[6] ذلك، وعن الشعبي: إن عمر ﷺ خرج يستسقي فقام على المنبر، فقرأ هذه

(1) الفاروق عمر ص263.
(2) السياسة الشرعية، د.إسماعيل بدوي ص403، محض الصواب (1/ 364).
(3) أخبار عمر ص110.
(4) الطبقات (3/ 322)، الشيخان من رواية البلاذري ص323.
(5) الطبقات (3/ 322)، أخبار عمر ص116.
(6) الشيخان من رواية البلاذري ص319.

الآيات: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح: 10، 11]، ويقول: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[هود: 3]، ثم نزل فقيل له: ما يمنعك من أن تستسقي؟ فقال: طلبت المطر بمجاديح[1] السماء التي ينزل بها المطر[2]، ولما أجمع عمر على أن يستسقي، ويخرج بالناس، كتب إلى عماله أن يخرجوا يوم كذا، وأن يتضرعوا إلى ربهم، ويطلبوا أن يرفع هذا المَحْل[3] عنهم، وخرج عمر لذلك اليوم وعليه بردُ رسول الله ﷺ، حتى انتهى إلى المصلى، فخطب الناس فتضرع، وجعل النساء يلحّون، فما كان أكثر دعائه إلا استغفار حتى إذا قرب أن ينصرف، رفع يديه مدًّا وحوَّل رداءه، فجعل اليمين على اليسار، ثم اليسار على اليمين، ثم مد يديه وجعل يلح في الدعاء، ويبكي بكاء طويلاً حتى أخضلت لحيته[4].

وقد جاء في صحيح البخاري عن أنس: أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا[5]، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا[6]، وروي أن عمر لما استسقى عام الرمادة قال في آخر كلامه: اللهم إني قد عجزت وما عندك أوسع لهم، ثم أخذ بيد العباس فقال: نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: 82]، فحفظتهما لصلاح أبيهما؛ فاحفظ اللهم نبيك في عمه، فقال العباس وعيناه تنضحان: اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ وهذه أيدينا مبسوطة إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين يا أرحم الراحمين، اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة، فقد ضرع الصغير، وفرق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا؛ فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون[7]، فنشأت طريرةٌ من سحاب، فقال الناس: ترون، ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت، فوالله ما نزحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر، فطفق الناس بالعباس يقولون: هنيئاً لك يا سقي الحرمين. فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

---

(1) مجاديح السماء: أنواؤها ويقال: أرسلت السماء لمجاديحها.

(2) الشيخان من رواية البلاذري ص320.

(3) المحل: انقطاع المطر، ويبس الأرض.

(4) الطبقات (3/ 320، 321)، تاريخ المدينة المنورة ابن شبة (2/ 742).

(5) فتسقينا: أي بدعائه حيًّا، ولو كان يتوسل به ميتاً لتوسل به عمر، ولما احتاج لعمه العباس ليدعو له.

(6) البخاري رقم 1010.

(7) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رشيد رضا ص217.

بعَمِّي سَقَى اللهُ الحِجاز وَأَهْلَهُ عَشِيَّةَ يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرُ
تَوَجَّهَ بالعَبّاسِ في الجدْبِ راغباً إلَيْهِ فَما رامَ حَتى أتى المَطَرُ
وَمِنّا رَسُولُ الله فِينا تُراثُهُ فَهَلْ فَوْقَ هَذا لِلْمُفاخِرِ مُفْتَخَرُ

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

سَألَ الإمامُ وَقَدْ تَتابَعَ جَدْبُنا فَسُقي الغَمَام بِغُرَّةِ العَبَّاسِ
عمّ النبيِّ وَصِنْوِ وَالِدِه الذي وَرِثَ النبيَّ بذاكَ دونَ الناسِ
أحيا الإلهُ بِهِ البِلاد فَأصبَحَتْ مُخْضَرةَ الأجنابِ بَعْدَ اليَاسِ[1]

وقد جاء في رواية صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة: اللهم إنه لم ينزل بلاءٌ إلا بذنب، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض، وعاش الناس[2].

5 - وقفُ إقامة الحد عام المجاعة:

وقد قام عمر رضي الله عنه بوقف حد السرقة في عام الرمادة، وهذا ليس تعطيلاً لهذا الحد، كما يكتب البعض؛ لأن شروط تنفيذ الحد لم تكن متوفرة فأوقف تنفيذ حد السرقة، لهذا السبب، فالذي يأكل ما يكون ملكاً لغيره بسبب شدة الجوع وعجزه عن الحصول على الطعام يكون غير مختار فلا يقصد السرقة، ولهذا لم يقطع عمر يد الرقيق الذين أخذوا ناقة وذبحوها وأمر سيدهم حاطباً بدفع ثمن الناقة[3]، وقد قال عمر رضي الله عنه : (لا يقطع في عذق[4]، ولا عام السنة[5])[6].

وقد تأثرت المذاهب الفقهية بفقه عمر رضي الله عنه فقد جاء في المغني: قال أحمد: لا قطع في المجاعة، يعني: أن المحتاج إذا سرق ما يأكله فلا قطع عليه؛ لأنه كالمضطر.

وروى الجوزجاني عن عمر: أنه قال: لا قطع في عام السنة، وقال: سألت أحمد عنه فقلت: تقول به؟ قال: أي لعمري لا أقطعه إذا حملته الحاجة والناس في شدة ومجاعة[7].

---

(1) لفاروق عمر بن الخطاب ص217.
(2) لخلافة الراشدة والدولة الأموية، د.يحيى اليحيى ص302.
(3) لخلافة والخلفاء الراشدون، سالم البهنساوي ص165.
(4) عَذْقُ النَّخلة، ولا قطع فيه لأنه ما دام معلقاً في الشجرة فليس في حرز.
(5) لسنة: الجدب، المصباح المنير ص292.
(6) مصنف عبد الرزاق (10/ 242).
(7) المغني لابن قدامة (8/ 278).

وهذا فهم عمري عميق لمقاصد الشريعة، فقد نظر عمر إلى جوهر الموضوع ولم يكتف بالظواهر، نظر إلى السبب الدافع إلى السرقة فوجد أنه في الحالتين الجوع الذي يعتبر من الضرورات التي تبيح المحظورات، كما يدل على ذلك قول عمر في قصة غلمان حاطب: إنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم عليه حل له[1].

6 - تأخير دفع الزكاة في عام الرمادة:

أوقف عمر ﷺ إلزام الناس بالزكاة في عام الرمادة، ولما انتهت المجاعة وخصبت الأرض جمع الزكاة عن عام الرمادة، أي اعتبرها ديناً على القادرين حتى يسد العجز لدى الأفراد المحتاجين وليبقي في بيت المال رصيداً بعد أن أنفقه كله[2].

فعن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن عمر بن الخطاب ﷺ، أخَّر الصّدقة عام الرمادة، فلم يبعث السعاة، فلما كان قابل، ورفع الله ذلك الجدب، أمرهم أن يخرجوا، فأخذوا عقالين[3]، فأمرهم أن يقسموا عقالاً ويقدموا عليه بعقال، أي صدقة سنة[4].

ثالثاً: الطاعون:

في العام الثامن عشر من الهجرة[5] وقع شيء فظيع مروع، هو ما تذكره المصادر باسم (طاعون عمْوَاس) وقد سمي بطاعون عَمْوَاس نسبة إلى بلدة صغيرة يقال لها: عَمْوَاس وهي: بين القدس والرملة؛ لأنها كان أول ما نجم الداء بها، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها[6]، وأفضل من ذكر صفة هذا الداء على حسب علمي القاصر ابن حجر حيث قال بعد أن ذكر الأقوال في الطاعون: فهذا ما بلغنا من كلام أهل اللغة وأهل الفقه والأطباء في تعريفه، والحاصل: أن حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده، وأن غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمَّى طاعوناً بطريق المجاز؛ لاشتراكهما في عموم المرض به، أو كثرة الموت[7].

والغرض من هذا التفريق بين الوباء والطاعون، التدليل على صحة الحديث النبوي الذي

(1) إعلام الموقعين (3/ 11)، الاجتهاد في الفقه الإسلامي ص136.
(2) الخلافة والخلفاء الراشدون ص166.
(3) العقال: صدقة عام.
(4) الشيخان من رواية البلاذري ص324.
(5) تاريخ القضاعي ص294.
(6) خلاصة تاريخ ابن كثير، محمد كنعان ص236.
(7) الفتح (10/ 180).

يخبر: أن الطاعون لا يدخل المدينة النبوية، أما الوباء فقد يدخلها، وقد دخلها في القرون التي خلت[1].

وكان حصول الطاعون في ذلك الوقت بعد المعارك الطاحنة بين المسلمين والروم وكثرة القتلى وتعفن الجو وفساده بتلك الجثث أمراً طبيعيًّا قدره الله لحكمة أرادها[2].

1 - رجوع عمر من سَرْغ على حدود الحجاز والشام:

ففي سنة 17هـ أراد عمر رضي الله عنه أن يزور الشام للمرة الثانية، فخرج إليها ومعه المهاجرون والأنصار حتى نزل بسَرْغ على حدود الحجاز والشام، فلقيه أمراء الأجناد فأخبروه أن الأرض سقيمة وكان الطاعون بالشام، فشاور عمر رضي الله عنه واستقر رأيه على الرجوع[3].

وبعد انصراف عمر رضي الله عنه حصل الطاعون الجارف المعروف بطاعون عَمْوَاس وكانت شدته بالشام فهلك به خلق كثير، منهم: أبو عبيدة بن الجراح، وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وقيل: استشهد باليرموك، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشراف الناس، ولم يرتفع عنهم الوباء إلا بعد أن وليهم عمرو بن العاص، فخطب الناس وقال لهم: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النار فتجنبوا منه في الجبال، فخرج وخرج الناس فتفرقوا حتى رفعه الله عنهم، فبلغ عمر ما فعله عمرو فما كرهه[4].

2 - وفاة أبي عبيدة رضي الله عنه:

لما فشا الطاعون وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: سلام عليك، أما بعد: فإنه قد عرضت إليك حاجة أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إليَّ، فعرف أبو عبيدة: أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء إشفاقاً عليه وضنًّا به فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين! ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إليَّ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاه، فحللني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ قال: وكأن قد قال... ثم كتب إليه: سلام عليك أما بعد، فإنك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة، فلما

---

(1) أبو عبيدة عامر بن الجراح، محمد شُرّاب ص220.
(2) الخلفاء الراشدون للنجار ص224.
(3) المصدر نفسه ص222، 223.
(4) الخلفاء الراشدون للنجار ص225، تاريخ الطبري (5/ 36).

أتى كتابه دعا أبا موسى فقال: يا أبا موسى إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فاخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم، فرجع أبو موسى إلى منزله فوجد زوجته قد أصيبت فرجع إليه فأخبره الخبر فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طُعن فقال: والله لقد أصبت[1].

وعن عروة قال: إن وجع عَمواس كان معافى منه أبو عبيدة وأهله فقال: اللهم نصيبك في آل أبي عبيدة! فخرجت منه بثرة، فجعل ينظر إليها فقيل: إنها ليست بشيء، فقال: إني لأرجو أن يبارك الله فيها[2]، وقد قام قبل أن يصاب في الناس خطيباً فقال: أيها الناس! إن هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم محمد ﷺ وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه[3].

ولما طُعن رضي الله عنه دعا المسلمين فدخلوا عليه، فقال لهم: إني موصيكم بوصية، فإن قبلتموها لم تزالوا بخير ما بقيتم، وبعدما تهلكون: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا، وتصدقوا، وحجوا واعتمروا، وتواصلوا وتحابوا، واصدقوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا فإن امرأ لو عمر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الذي ترون، إن الله قد كتب الموت على بني آدم، فهم ميتون، فأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم لمعاده، ثم قال لمعاذ بن جبل: يا معاذ صلِّ بالناس، فصلّى معاذ بهم، ومات أبو عبيدة - رحمة الله عليه ومغفرته ورضوانه[4] - فقام معاذ في الناس: يا أيها الناس، توبوا إلى الله توبة نصوحاً، فإن عبداً إن يلق الله تائباً من ذنبه كان حقًّا على الله أن يغفر له ذنوبه، ومَن كان عليه دين فليقضه، فإن العبد مرتهنٌ بدينه، ومن أصبح منكم مصارماً مسلماً فليلقه فيصالحه إذا لقيه، وليصافحه، فإنه لا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام، والذنب في ذلك عظيم عند الله، وإنكم أيها المسلمون قد فجعتم برجل، والله ما أزعم أني رأيت منكم عبداً من عباد الله - قط - أقل غمراً، ولا أبرأ صدراً، ولا أبعد من الغائلة، ولا أنصح للعامة، ولا أشد عليهم تحنناً وشفقة منه، فترحموا عليه، ثم احضروا الصلاة عليه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، والله لا يلي عليكم مثله أبداً!

فاجتمع الناس، وأخرج أبو عبيدة، فتقدم معاذٌ فصلى عليه، حتى إذا أتي به إلى قبره، دخل قبره معاذ، وعمرو بن العاص، والضحاك بن قيس، فلما سفوا عليه التراب، قال معاذ: رحمك الله أبا عبيدة، فوالله لأثنين عليك بما علمت، والله لا أقولها باطلاً، وأخاف أن يلحقني من الله مقت، كنت والله ما علمت من الذاكرين الله كثيراً، ومن الذين يمشون على

(1) تاريخ الطبري (5/ 35).
(2) تاريخ الذهبي ص174.
(3) تاريخ الطبري (5/ 36).
(4) الاكتفاء (3/ 306).

الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، وكنت والله ما علمت من المخبتين المتواضعين، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الجفاة المتكبرين[1].

ولم يكن أحد من الناس أشد جزعاً على فقد أبي عبيدة من معاذ، ولا أطول حزناً عليه منه[2].

وكتب معاذ إلى عمر رضي الله عنه بوفاة أبي عبيدة فجاء في الرسالة: أما بعد، فاحتسب امرأ كان لله أميناً، وكان الله في نفسه عظيماً، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزاً، أبا عبيدة بن الجراح، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبه، وبالله نثق له، كتبت إليك وقد فشا الموت، وهذا الوباء في الناس، ولن يخطئ أحداً أجله، ومن لم يمت فسيموت، جعل الله ما عنده خيراً له من الدنيا، وإن أبقانا أو أهلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[3].

فلما وصل الكتاب إلى عمر فقرأه بكى بكاءً شديداً ونعى أبا عبيدة إلى جلسائه[4]، فبكى القوم وحزنوا حزناً شديداً مع التسليم بالقضاء والقدر.

3 - وفاة معاذ بن جبل رضي الله عنه:

بعد وفاة أبي عبيدة رضي الله عنه، صلى معاذٌ بالناس أياماً واشتد الطاعون، وكثر الموت في الناس، فقام خطيباً فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم وموت الصالحين من قبلكم، وإن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم، فطُعن ابنه عبد الرحمن بن معاذ[5]، فلما رآه قال ابنه: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: 147]، قال: يا بني، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: 102]، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات - يرحمه الله - وصلى عليه معاذ ودفنه، فلما رجع معاذ إلى بيته طعن، فاشتد به وجعه، وجعل أصحابه يختلفون إليه فإذا أتوه أقبل عليهم فقال لهم: اعملوا وأنتم في مهلة وحياة وفي بقية من آجالكم من قبل أن تَمَنَّوُا العمل فلا تجدوا إليه سبيلاً، وأنفقوا مما عندكم من قبل أن تهلكوا وتدعوا ذلك ميراثاً لمن بعدكم، واعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم وشربتم ولبستم وأنفقتم فأعطيتم فأمضيتم، وما سوى ذلك فللوارثين، فلما اشتد به وجعه جعل يقول: رب

(1) الاكتفاء (3/ 307).
(2) المصدر نفسه.
(3) الاكتفاء (3/ 309).
(4) المصدر نفسه (3/ 310).
(5) تاريخ الطبري (5/ 36).

اخنقني خنقك[1]، فأشهد أنك تعلم أني أحبك[2].

ولما حضرته الوفاة قال: مرحباً بالموت، مرحباً بزائر جاء على فاقة، لا أفلح مَنْ ندم، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكنني كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، وطول الساعات في النهار ولظمأ الهواجر، في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب في حِلَقِ الذكر[3]!

وكان عمره عند وفاته 38 عاماً[4]، واستخلف بعده عمرو بن العاص، فصلى عليه عمرو، ودخل قبره فوضعه في لحده، ودخل معه رجال من المسلمين، فلما خرج عمرو من قبره، قال: رحمك الله يا معاذ، فقد كنت ما علمناك من نصحاء المسلمين ومن خيارهم، وكنت مؤدباً للجاهل، شديداً على الفاجر، رحيماً بالمؤمنين[5].

وتولى قيادة الجيوش بعد موت أبي عبيدة ﷺ ومعاذ بن جبل عمرو بن العاص فقام في الناس خطيباً: أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبَّلوا منه في الجبل، ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا ورفعه الله عنهم[6]، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال له: سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو: أما بعد، فإن معاذ بن جبل رَحِمَهُ اللَّهُ مات، وقد فشا الموت في المسلمين، وقد استأذنوني في التنحي إلى البر، وقد علمت أن إقامة المقيم لا تُقربه من أجله، وإن هروب الهارب منه لا يباعده من أجله، ولا يدفع به قدره والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[7].

ولما وصل كتاب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين ينعي فيه معاذاً، وكانت وفاة معاذ على أثر أبي عبيدة ﷺ جزع عليه جزعاً شديداً، وبكى عمر والمسلمون، وحزنوا عليه حزناً عظيماً، وقال عمر ﷺ: رحم الله معاذاً، والله لقد رفع الله لهلاكه من هذه الأمة علماً جمًّا، ولرب مشورة له صالحة قد قبلناها منه، ورأيناها أدت إلى خير وبركة، ورب علم أفادناه، وخير دلنا عليه، جزاه الله جزاء الصالحين[8].

وأما ثالث القادة المشهورين الذين أصيبوا بالطاعون، وكان أفضل بني سفيان ويقال له يزيد الخير، فهو يزيد بن أبي سفيان، ومن القادة العظام الذين استشهدوا بطاعون عمواس شرحبيل بن حسنة[9].

---

(1) الاكتفاء (3/ 308)، المقصود: أمتني.
(2) الاكتفاء (3/ 308).
(3) حلية الأولياء (1/ 228 - 244).
(4) المصدر نفسه.
(5) الاكتفاء (3/ 309).
(6) البداية والنهاية (7/ 95).
(7) مجموعة الوثائق السياسية ص490.
(8) الاكتفاء (3/ 310).
(9) الكامل في التاريخ (2/ 171، 172)، تاريخ الذهبي ص181.

4 - خروج الفاروق إلى الشام وترتيبه للأمور:

تأثر الفاروق وحزن حزناً عظيماً لموت قادته العظام وجنوده البواسل بسبب الطاعون في الشام، وجاءته رسائل الأمراء من الشام تتساءل عن الميراث الذي تركه الأموات خلفهم، وعن أمور عديدة، فجمع الناس واستشارهم في ما جد من أمور، وعزم على أن يطوف على المسلمين في بلدانهم؛ لينظم لهم أمورهم، واستقر رأي عمر بعد تبادل وجهات النظر مع مجلس الشورى أن يبدأ بالشام، فقد قال: إن مواريث أهل الشام قد ضاعت فأبدأ بالشام فأقسم المواريث وأقيم لهم ما في نفسي ثم أرجع فأتقلب في البلاد وأبدي لهم أمري، فسار عن المدينة واستخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه [1]، فلما قدم الشام، قسم الأرزاق، وسمى الشراتي[2]، والصوائف[3]، وسد فروج الشام ومسالحها[4]، وولى الولاة، فعين عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة، واستعمل معاوية على دمشق، ورتب أمور الجند والقادة والناس، وورّث الأحياء من الأموات[5]، ولما حضرت الصلاة قال له الناس: لو أمرت بلالاً فأذن، فأمره فأذن فما بقي أحد أدرك النبي ﷺ وبلال يؤذن إلا وبكى حتى بلَّ لحيته وعمر أشدهم بكاء، وبكى مَنْ لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله ﷺ [6]، وقبل أن يرجع إلى المدينة خطب في الناس: ألا وإني قد وليت عليكم وقضيت الذي عليّ في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله، فبسطنا بينكم فيئكم، ومنازلكم، ومغازيكم، وأبلغناكم ما لدينا، فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم الفروج، وبوأنا لكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيئكم وما قلتم عليه من شامكم وسمينا لكم أطعماتكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئاً ينبغي العمل به، فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله[7]، وكانت هذه الخطبة قبل الصلاة المذكورة.

لقد كان طاعون عمواس عظيم الخطر على المسلمين وأفنى منهم أكثر من عشرين ألفاً وهو عدد يوازي نصفهم بالشام، وربما تخوف من ذلك المسلمون يومئذٍ واستشعروا الخطر من قبل الروم، وفي الحقيقة لو تنبه الروم لهذا النقص الذي أصاب جيش المسلمين بالشام يومئذٍ

(1) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رضا ص230.
(2) الشواتي: جمع شاتية وهي السرية التي تغزو في الشتاء.
(3) الصوائف: جمع صائفة وهي التي تغزو في الصيف.
(4) المسالح: الثغور.
(5) الخلفاء الراشدون للنجار ص325، الفاروق، محمد رشيد ص230.
(6) خلاصة تاريخ ابن كثير، الخلافة الراشدة ص236.
(7) البداية والنهاية (7/ 79).

وهاجموا البلاد لصعب على الجيوش المرابطة دفعهم، ولكن ربما كان اليأس تمكن من نفوس الروم فأقعدهم عن مهاجمة المسلمين، خصوصاً إذا كان أهل البلاد راضين بسلطة المسلمين مرتاحي القلوب إلى سلطانهم العادل وسيرتهم الطيبة الحسنة، وبدون الاستعانة بهم لا يتيسر للروم مهاجمة الشام لا سيما إذا أضفنا إلى هذا مَلَلَ القوم من الحرب وإخلادهم إلى الراحة من عناء المقاومة لقوم أصبح النصر حليفهم في كل مكان، ودب الرعب من سطوتهم في قلب كل إنسان[1].

5 - حكم الدخول والخروج في الأرض التي نزل بها الطاعون:

قال رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه**»[2]، وقد اختلف الصحابة في مفهوم النهي عن الخروج والدخول، فمنهم من عمل به على ظاهره، ومنهم مَنْ تأوَّله، والذين تأوَّلوا النهي أباحوا خروج مَنْ وقع في أرضه الطاعون، وقد مرّ علينا حرص الفاروق على إخراج أبي عبيدة من الأرض التي وقع فيها الطاعون إلا أن أبا عبيدة اعتذر رضي الله عنه، كما أن الفاروق طلب من أبي عبيدة أن يرتحل بالمسلمين من الأرض الغمقة التي تكثر فيها المياه والمستنقعات إلى أرض نزهة عالية، ففعل أبو عبيدة، وكانت كتابة عمر إلى أبي عبيدة بعد أن التقيا في سَرْغ، وسمعا حديث عبد الرحمن ابن عوف بالنهي عن الخروج والقدوم إلى أرض الوباء، ورجع عمر إلى المدينة، ويظهر أنّ الوباء كان في بدايته ولم يكن قد استشرى واشتعل لهيبه، فلما رجع عمر إلى المدينة وصلته أخبار بكثرة الموت من هذا الطاعون.

ومفهوم عمر رضي الله عنه بجواز الخروج من أرض الطاعون، نُقل أيضاً عن بعض الصحابة الذين عاصروا أبا عبيدة في الشام وعاشوا محنة المرض، كعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم، والخلاف جارٍ في مسألة الخروج من أرض الطاعون لا في الدخول إلى أرض الطاعون، فبعضهم أباح الخروج على ألا يكون الخروج فراراً من قدر الله، والاعتقاد بأن فراره هو الذي سلّمه من الموت، أما مَنْ خرج لحاجة متمحضة فهو جائز، ومَنْ خرج للتداوي فهو جائز؛ فإن ترك الأرض الوبئة والرحيل إلى الأرض النزهة مندوب إليه ومطلوب.

وأما تعليل أبي عبيدة رضي الله عنه بقاءه واعتذاره للفاروق عن الخروج، فراجع إلى أسباب صحيّة واجتماعية وسياسيّة وقيادية ينظمها الدين في نظامه؛ وتعدُّ مثلاً أعلى للقيادة الأمينة وأبو عبيدة أمين هذه الأمة؛ حيث قال معلّلاً سبب ثباته: إني في جند من المسلمين ولا أجد بنفسي

(1) أشهر المشاهير (2/ 361).

(2) مسلم، كتاب السلام رقم 2219.

رغبة عنهم، وقد أصاب بعض العلماء المفصل عندما ذكر في حكمة النهي عن الخروج فراراً من الطاعون: أن الناس لو تواردوا على الخروج، لصار مَنْ عجز عنه - بالمرض المذكور أو غيره - ضائع المصلحة، لفقد من يتعهده حيًّا وميّتاً، ولو أنّه شُرع الخروج فخرج الأقوياء، لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء، وقد قالوا: إن حكمة الوعيد من الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفرّ، وإدخال الرعب فيه بخذلانه.

والخلاصة: أن البقاء رخصة، والخروج رخصة، فمن كان في الوباء وأصيب، فلا فائدة من خروجه، وهو بخروجه ينقل المرض إلى الناس الأصحاء، ومن لم يُصَبْ فإنه يرخص له في الخروج من باب التداوي على ألا يخرج الناس جميعاً، فلا بد أن يبقى مَنْ يعتني بالمرضى[1].

(1) أبو عبيدة عامر بن الجراح، شرّاب ص232 - 237.